الطبعة الثانية

Twitter: @ketab_n
9.11.2011

الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre



الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج

الكتاب: **الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج**

المؤلف: مجموعة باحثين.

الناشر: مركز المسبار للدراسات والبحوث.

التصنيف:
- الدين والسياسة
- تاريخ معاصر
- الجماعات والأحزاب الإسلامية

الطبعة الثانية، يناير (كانون الثاني) 2011.

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9948-443-44-5

مركز المسبار للدراسات والبحوث هو مركز مستقل متخصص في دراسة الحركات الإسلامية والظاهرة الثقافية عموما، ببعديها الفكري والاجتماعي السياسي، يولي المركز اهتماماً خاصاً بالحركات الإسلامية المعاصرة، فكراً وممارسة، رموزاً وأفكاراً، كما يهتم بدراسة الحركات ذات الطابع التاريخي متى ظل تأثيرها حاضرا في الواقع المعيش.

يضم مركز المسبار مجموعة مختارة من الباحثين المتخصصين في الحركات الإسلامية المعاصرة والتاريخية والظواهر الثقافية والاستراتيجية، ويتعاون المركز في هذا الاتجاه مع الباحثين والمراكز والمؤسسات المختلفة التي تتقاطع اهتماماتها مع اهتمامه، وهو ما يضمن تبادل الخبرات وتطوير المهارات الذي يتم عبر تنشيط الحوار بين المتخصصين وتدوير الأفكار بين مختلف الآراء والاتجاهات.

مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

تقديم

الإسلاميون في الخليج صاروا محط أنظار العالم لاعتبارات كثيرة، يأتي بعضها في إطار دراسة ظاهرة الإسلام السياسي والراديكالية في الفكر الإسلامي ورصد الخطاب الديني. ولأن الجزيرة العربية هي مصدر الإشعاع الإسلامي بمختلف اتجاهاته، فإن الثابت أن دراسة الخارطة الإسلامية في منطقة الخليج العربي صارت أمراً لا مناص عنه، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وما أفرزته نتائجها من متغيرات تدعو لإعادة فهم المشهد الخليجي ورصد تحولات الخطاب الديني فيه.

أردنا لهذا الكتاب أن يرسم جزءاً من الخارطة الإسلامية في الخليج العربي، متناولاً التيارات الإسلامية السائدة فيه، فغطت الدراسات تجربة هذه التيارات، وبدا التنوع والاختلاف، وتعددت الملاحظات حتى في إطار التنظيم الواحد، فتجربة الإخوان في السعودية تختلف عن تجربتهم في الإمارات التي تغاير تجربتهم في الكويت والبحرين وتختلف كذلك عن قطر. لذلك احتاجت كل تجربة من هذه التجارب إلى دراسة مختصة، يتجلى ذلك بيّناً في مضامين هذا الكتاب الذي حاز نصيب الأسد في دراساته، تياران كبيران فاعلان، وهما الإخوان المسلمون، والسلفيون.

رئيس المركز

تركي الدخيل

الإخوان المسلمون والسعودية الهجرة والعلاقة

عبدالله بن بجاد العتيبي(*)

السعودية والإخوان المسلمون موضوع جديرٌ بالاهتمام والبحث، نظراً للغموض الذي يكتنف العلاقة بين الطرفين ما قبل الهجرة الإخوانية للسعودية وما بعدها، وحتى وقتنا الحاضر.

إنّ أوّل ما يعترض الباحث في تناول مثل هذا العنوان هو: شحّ المصادر المستقلة التي تتناوله مباشرةً، ثم ثانياً: السريّة التي تعتمد عليها هذه الجماعة أكثر من اعتمادها على العلنيّة، فما تعلنه لا يعبّر عن حقيقتها بالقدر الذي يعبر عنها ما تخفيه[1]، وثالثاً: إذا كان ما تخفيه هذه الجماعة في بعض الدول التي صُرّح لها بالعمل فيها من دول الخليج تحت مسمّى جمعية الإصلاح كالكويت[2] والبحرين والإمارات، يكتنفه الغموض فكيف بدولة كالمملكة العربية السعودية التي لا تسمح أبداً بقيام مثل هذه التنظيمات! رابعاً: تعذّر التواصل مع كثيرٍ من المصادر الشفوية التي يمكن من خلالها تغطية العديد من الجوانب الغامضة وجلاؤها للقارئ.

(*) كاتب وباحث سعودي.

(1) ولهذا أسبابٌ منها ما يتعلّق بالجماعة ومنها ما يتعلّق بالدول التي واجهتها.

(2) فلاح المديرس، جماعة الإخوان المسلمين في الكويت، دار قرطاس للنشر، الكويت، الطبعة الثانية 1999 ص6.

ثمة ثلاث هجراتٍ جديرةٍ بالعناية والبحث في التاريخ العربي الحديث:

الهجرة الأولى: هجرة اللبنانيين والسوريين وغيرهم من أهل الشام إلى مصر، والتي شاركت بقوةٍ في وضع بذور ما يعرف بعصر النهضة العربي[3].

الهجرة الثانية: سياسةٌ اتبعها الملك عبد العزيز لنقل القبائل العربية من البداوة إلى الحضارة، أو من التنقّل وعدم الاستقرار في الصحراء إلى المدنية والسكنى في مكانٍ محددٍ ومعروفٍ[4].

الهجرة الثالثة: هجرة الإخوان المسلمين من مصر بلد المنشأ وسوريا والعراق إلى السعودية، وهي موضوع هذا البحث.

كذلك يمكن الحديث عن الهجرة النفطية، أو هجرة الموظّفين والعمّال من شتى أنحاء العالم العربي للعمل في الخليج، وهي تتداخل مع الهجرة السابقة في عددٍ من النواحي، وكذلك الهجرة من الريف إلى المدن.

ما يهمنا في هذا البحث هو الهجرة الثالثة وهي هجرة الإخوان المسلمين إلى السعودية، وهي هجرةٌ ذات وجهين: الأول: اضطراري بالنسبة للإخوان المسلمين، والثاني: اختياري وسياسي بالنسبة للسعودية.

---

(3) راجع: ألبرت حوراني "الفكر العربي في عصر النهضة"، نوفل، بيروت، ومسعود ضاهر "هجرة الشوام"، القاهرة، دار الشروق.

(4) كل المصادر التي تناولت تلك الفترة تطرّقت لموضوع "الهجر"، ويمكن للتوسع مراجعة موضي بنت منصور بن عبد العزيز "الهجر ونتائجها في عصر الملك عبد العزيز"، دار الساقي. ومحمد بن صنيتان "السعودية: السياسي والقبيلة"، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، الطبعة الأولى 2008، ص111.

مع ملاحظة أن رعاية أو قبول الهجرة الاختياري يتمّ بناءً على تخطيطٍ مسبقٍ، وهدفٍ واضحٍ يتمّ السعي إليه، أو عن حسن نيةٍ وحبٍ لفعل الخير على أقلّ الأحوال، بعكس الهجرة الاضطرارية التي تكون مبنية على البحث عن أي سبيلٍ للخلاص وأي قشةٍ تنقذ الغريق.

منذ قيام الدولة السعودية الثالثة على يد الإمام[5] عبد العزيز آل سعود، رحمه الله، وثمة ارتباطٌ معلنٌ بين الديني والسياسي في البلاد وذلك امتداداً للدولتين السعوديتين الأولى (1744-1818) والثانية (1824-1891) وما عرف بالدعوة «الوهابية»[6].

(5) الإمام هو اللقب الذي كان يطلق على عبد العزيز في بداية تكوين الدولة، ثم تحوّل إلى "سلطان" ثم "ملك"، ولقب "الإمام" بدايته كما يقول الزركلي: "في عهد محمد بن سعود هذا، ابتدأ دور الإمامة في بيت آل سعود. وكان رؤساؤهم يدعون بالشيوخ أو الأمراء، وظل محمد كذلك أكثر من عشرين عاماً من إمارته. وإنما دعي بالإمامة بعد اصطباغ سياسته وحروبه بالصبغة الدينية الخالصة: حروبه (جهاد) وغاراته (غزوات) وانتصاراته (فتوحات) ورعاياه (المسلمون) والخروج عن طاعته (ردةً)"، (شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز ج1 ص35 الطبعة التاسعة سبتمبر 1999 دار العلم للملايين – بيروت). ويعلّق حافظ وهبة على هذه الحروب قائلاً: "هذه الحرب الدينية التي تشبه – في كثيرٍ من الوجوه– الحروب الدينية التي استعرت نيرانها بين الكاثوليك والبرتستانت في الغرب أكثر من ستّين عاماً" (جزيرة العرب في القرن العشرين ص 308) ويقارن وهبة بين لوثر وابن تيمية (المصدر نفسه، ص305). قارن بسعي جمال الدين الأفغاني لأن يكون لوثر الإسلام (انظر، ألبرت حوراني، "الفكر العربي في عصر النهضة" 131، نقلاً عن عبد القادر المغربي في كتاب "البيّنات" الصادر بالقاهرة 1925 ج1 ص4).

(6) التسمية بـ"الوهابية" صدرت ابتداء من خصومها، سواء من الخصوم الدينيين كالصوفية وغيرهم، أو من بعض المستشرقين، أو من الدولة العثمانية، وذلك بغرض تشويه الدعوة. أما الموقف من التسمية فاختلف في شأنه بين العلماء والسياسيين، فكان بعض علماء الدعوة يرفضون التسمية وبعضهم يوافق عليها، وممن وافق على التسمية: الشيخ سليمان بن سحمان وله كتابٌ بعنوان "الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية"، وقد قال في إحدى قصائده: نعم نحن وهّابيةٌ حنفيةٌ/ حنيفية نسقي لمن غاظنا المرّا. أما السياسيّون فكانوا يرفضون التسمية على الدوام، أولاً: لأنّها صدرت من الدولة العثمانية لتشويه الدعوة والدولة السعودية، ثانياً: لأن التسمية تلغي الدولة وهي الأصل وتشير للدعوة وهي الفرع والسياسي لا يقبل بهذا. وقد أشار الزركلي إلى الموافقة على التسمية "من باب المجاراة لما اصطلح عليه .. ولا ضير" (شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز ص 834).

كان هذا الارتباط نابعاً من قناعة الملك عبد العزيز بأهمية العامل الديني في تحريك شعوب الجزيرة، وعلى وجه الخصوص في نجد، لأنّه العامل السياسي المهم في توحيد كلمة علماء الدين، وتوحيد القبائل البدوية المختلفة وإخضاعها لسلطة الدولة، بل وتوظيفها كجيشٍ قوي مهيب يوطّد الأمن داخل الدولة، ويرهب الأعداء الخارجيين وذلك في ما عُرف بـ «حركة الإخوان»[7].

كان الملك عبد العزيز قائداً سياسياً فذّاً، وكان وعيه السياسي متقدماً على مجتمعه وعلى الأحداث التي تدور فيه وحوله، ومن الطبيعي أن تكون هناك صداماتٌ بينه وبين بعض علماء الدين حول بعض المسائل التي يتشدّدون فيها على الرغم من عظيم حاجة الدولة لها. أخذت هذه الصدامات شكلاً تصاعدياً مع اتساع الدولة، وضمّها للحجاز والجنوب والشمال. ونذكر على سبيل المثال: المنتجات الحديثة كالبرقية، واللاسلكي، والتلفون ونحوها، وتحريم تعليم الأولاد، والموقف من الشيعة، والموقف من علماء الحجاز الصوفية، والموقف من التعامل مع بريطانيا، ورفض استخراج ماء زمزم بالآلآت الحديثة،[8] وغيرها من المسائل التي ربما نظر إليها البعض اليوم على أنّها مسائل تافهةٌ، ولكنّها حينذاك كانت تتطلب الكثير من الحكمة المقرونة بالحزم في التعامل معها.

---

(7) يقول حافظ وهبة في كتابه جزيرة العرب في القرن العشرين ص 253 "باجتهاد ابن سعود في توسيع نطاق حركة الإخوان لتكون دعامته القوية في دفع كل عدوانٍ خارجي على بلاده".

(8) جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة، ص29.

عُني الملك عبد العزيز في ذلك الوقت بتحديث البلاد، واهتمّ بالتعليم والبعثات العلمية[9]، واستقطب الكثير من العقول العربية لمساعدته على بناء الدولة الحديثة، ومن أبرزهم: من العراق: عبدالله سعيد الدملوجي، ورشيد عالي الكيلاني، وموفّق الألوسي. ومن سوريا: يوسف ياسين، وخير الدين الزركلي، وخالد الحكيم، ورشاد فرعون. ومن مصر: حافظ وهبة. ومن فلسطين: رشدي ملحس. ومن لبنان: فؤاد حمزة. ومن ليبيا: بشير السعداوي، وخالد القرقني، وغيرهم كثيرٌ[10].

وقد قال الملك عبد العزيز ذات مرةٍ: «ويسرّني القول أن جُلّ رجالي هم من السوريين»[11].

قال أمين الريحاني في رسالة إلى الملك عبد العزيز العام 1923: «وكنت سمعت بأنكم ترحبون بكل من جاءكم من السوريين. وأنكم وكلتم

---

(9) "سنة 1346هـ 1927م كان إرسال أوّل بعثة من خريجي المدارس" الزركلي شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز ج2 ص637. قارن بأمين الريحاني "ملوك العرب" ص583، وإن كان عزم عبد العزيز على هذا الابتعاث قبل هذا التاريخ بسنوات وذلك في عام 1924م حيث جاء في كتاب: "الملك عبد العزيز آل سعود وأمين الريحاني: رسائل متبادلة" رسالةٌ من الريحاني يقول فيها: "وهناك أمر الأولاد الأذكياء الذين كان في نيّتكم إرسالهم ليتعلّموا في الجامعة الأمريكية في بيروت.. وحبذا هذا العمل والإسراع به ليكون مولاي أول ملوك العرب الذين أقدموا على مثله في تعليم الشبان الأذكياء وإدخال العلم وأسبابه إلى بلاده بهذه الطريقة الوطنية" ص43.

(10) يقول عبدالرحمن الشبيلي "وكان مما يذكر للملك عبد العزيز من البصائر المظفرة تفكيره بتوظيف خبرات وعقول عربية متنوعة التخصصات، لاستخلاص مواهبها وكفاياتها الذهنية، في زمن كانت الخبرات المحلية المثقفة تعد على الأصابع، فكان أن دمج تلك العقول - المحلية مع الخارجية - في "مطبخ" واحد "أسماه مجلس المستشارين"، ينبثق عن الشعبة السياسية في بلاطه، مجلس اجتمع فيه السعودي والعراقي واللبناني والفلسطيني والليبي والمصري والسوري وغيرهم، ويأخذ من خلاصة آرائهم ما يعينه على اتخاذ قراراته السياسية في علاقاته مع الدول الأخرى، وهي تجربة ندر أن أخذ بها قائد آخر في بلد آخر (جريدة الشرق الأوسط العدد: 10161 بتاريخ: 23 سبتمبر (أيلول) 2006).

(11) وذلك في مصر العام 1946 (الزركلي ص1237)، نقلاً عن كتاب "العرب في طريق الاتحاد" لمحمد شاكر الخردجي.

أحد رجالكم يجيء إلى سوريا باحثاً عن بعض الضبّاط والأطباء الذي يحبون أن يخدموا نجد»[12].

كما ربط أواصر الودّ مع كثيرٍ من المفكرين العرب حينها، ومنهم أمين الريحاني، ورشيد رضا[13]، وشكيب أرسلان وغيرهم، وكان حريصاً على توثيق صلاته بعلماء العالم الإسلامي من الهند وباكستان إلى مصر والشام والعراق وغيرها، وكان يقدّم كافة أنواع الدعم لهم، على شح ذات اليد في البدايات. وصارت هذه سياسةً سعوديةً ثابتةً[14].

كانت وسيلة عبد العزيز الأشهر لهذا الدعم هي طباعة الكتب، لنشر العلم أولاً، ولكسب الولاءات الدينية والسياسية ثانياً، وكان يستفيد من بعضهم للردّ على بعض تشدّدات علماء نجد[15].

---

(12) "الملك عبد العزيز آل سعود وأمين الريحاني: الرسائل المتبادلة"، ص37.

(13) كان محمد رشيد رضا مخالفاً للوهابية في أوّل أمره، ومن أمثلة ذلك قوله في عام 1322هـ في مجلته المنار"الطريقة المثلى في إرشاد المسلمين هي المجادلة بالحسنى، وقد أخطأ الوهابية فحاولوا بفرارة البداوة وقسوتها أن يرجعوا المسلمين عن البدع بالقوة القاهرة، فكانوا من الخائبين، وأساء الظن فيهم سائر المسلمين". إلا أنه عاد فغيّر رأيه بعد سنوات، وأخذ في الدفاع عن الوهابية حتى أصدر فيهم كتابه "الوهّابيون والحجاز"، الذي جمع فيه مقالاته في المنار والأهرام، وصدرت طبعته الأولى العام 1344هـ عن مطبعة المنار بمصر.

(14) يقول زكريا سليمان بيومي: "وسعى –أي عبد العزيز– لاستمالة بعض الكتّاب من أتباع الاتجاه الإسلامي بكل قياداته التي شملت الاتجاه السلفي الذي كان يمثله محمد رشيد رضا، مجلته المنار، وحتى أتباع الطرق الصوفية من أمثال الشيخ محمد ماضي أبو العزايم الدعوة السلفية الوهابية تعارضها، إلى جانب بعض مشايخ الأزهر" راجع: (زكريا بيومي، "موقف مصر من ضمّ ابن سعود للحجاز 1924 - 1926"، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، الطبعة الأولى 1989 ص15).

(15) انظر: شكيب أرسلان، "السيد رشيد رضا"، القاهرة، دار الفضيلة، بلا تاريخ نشر، ص361، وللإستزادة راجع: الزركلي، مصدر سابق: صـ1031 - 1032، وأرسلان، مصدر سابق، صـ422، 622 مساعدة مالية، المنار، المجلد 25 صـ119، والمجلد 35 صـ87 الفتح الرباني وغيرها كثير.

حذا حذوه أنجاله من بعده: الملك سعود والملك فيصل ثم خالد وفهد، وكان لكلٍ طريقته وسياسته التي تناسب الظروف المحيطة في عصره[16].

وتأتي علاقة السعودية بحسن البنّا[17] وجماعته «الإخوان المسلمون» ضمن هذا السياق، حتى قبل أن ينشئ الجماعة، وقبل أن تنتشر ويكون لها الصيت الذي حصلت عليه لاحقاً.

المشروعية السياسية

رغم قوّة العلاقة بين الديني والسياسي في الدولة السعودية بأطوارها الثلاثة إلا أنّ ثمة وعياً سياسياً لدى القائد السياسي يختلف تماماً عن العالم الديني، وبخاصةٍ في الدولتين السعوديتين الثانية والثالثة.

وتذكر ميّ الخليفة كشاهدٍ على الوعي السياسي بطبيعة العلاقة بين الديني والسياسي لدى القائد السياسي، عن الإمام فيصل بن تركي أنّه

---

(16) محمد بن أحمد سيد أحمد و عبده بن أحمد العلوي، "محمد نصيف حياته وآثاره" بيروت، الطبعة الأولى 1994 ص262، و 277، وفي الوثائق، ص575 وما بعدها.

(17) تنبئ مذكرات حسن البنّا أنّه كان حالماً بلا حدود، وقائداً ناجحاً، كما تنبىء أنه برغم حديثه الكثير عن الآخرة إلا أن هذه المذكرات تبرز اهتمامه الزائد بالدنيا، أمّا في مجموع الرسائل فيظهر البنّا ذكاء وبراغماتية عالية، ومن أمثلة هذا حديثه حين يتناول مسائل شائكة كالوطنية والقومية ونحوهما، فهو يتّبع أسلوباً غير واضح فتجده يقول إن كان المقصود بهذا المفهوم كذا من المعاني التي تناسبه والتي يستطيع بها الالتفاف على المعنى الظّاهر للمفهوم وجعله مناسباً لتوجهه، وربما أفرغ المفهوم من معناه، وقد اعتمد كثيراً على التناقضات في أقواله وأفعاله، ومن أمثلة هذا وهي كثيرةٌ تذمّره من تكرار توضيحه لدعوته، ومن تكرار التباسها على الناس (ص37 مثلا).

قال مخاطباً «بيلي» الإنجليزي الأول، الذي دخل عاصمة الدولة في نجد: «إننا لا نخلط بين الدين والسياسة»[18].

وينقل أمين الريحاني حواراً مع الملك عبد العزيز جاء فيه: «سؤالي الأوّل: هل ترون من الواجب الديني، وهل ترون من الواجب السياسي أن تحاربوا المشركين حتى يديّنوا؟ فأجابني قائلاً: السياسة غير الدين»[19].

ويقول في الكتاب نفسه عن الملك عبد العزيز: «ولا يبالي إذا كان المشايخ والعلماء لا يرضون دائماً عن هذه الخطة العمرانية إذ ليس لهم أن يعترضوه بشيء في سياسته الداخلية والخارجية»[20].

لقد فهم العلماء هذا الموقف من الملك عبد العزيز فهماً واضحاً، ينقله الملك عبد العزيز بنفسه، فمن كلمة له مع لجنة التحقيق الأمريكية البريطانية 9 مارس 1946 بالرياض علّق على كلمته التي ألقاها في مكة، ودعى فيها للوقوف مع بريطانيا قائلاً: «وعلى إثر ذلك تلقّى علماؤنا كتباً من

---

(18) مي الخليفة، سبزآباد ورجال الدولة البهية: قصة السيطرة البريطانية على الخليج، الطبعة الأولى 1998 المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 132.

(19) أمين الريحاني، ملوك العرب، الطبعة الثامنة بلا تاريخ نشر، بيروت، دار الجيل، ص584. ولإيضاح اختلاف التصوّر حول هذه المسألة بين السعودية والإخوان قارن كمثال فحسب بقول حسن البنّا في كتابه مذكرات الدعوة والداعية ص137 "ولا ذنب لنا أن تكون السياسة جزءاً من الدين". وقارن كذلك بقول يوسف القرضاوي في كتابه فتاوى معاصرة، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1994 الجزء الثاني ص624: "الإسلام لا يكون إلا سياسياً"، مع ملاحظة أن حسن البنّا سبق أن قال في حوار معه: "مالنا بالسياسة علاقة" (محمد التابعي، مجلة آخر ساعة، العدد الصادر بتاريخ 5 مارس 1946. بواسطة: يوسف القرضاوي، ابن القرية والكتّاب، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الأولى 2002 ج1 ص255).

(20) الريحاني، المصدر نفسه، ص 583.

العلماء في بلاد المسلمين، تنتقد موقفي. ففاتحوني بما جاءهم، وأبدوا لي أنّهم لا يتعرّضون للمسائل السياسية»[21].

ولمّا جاءه مرةً بعض المشايخ برسالة في الردّ على الشيعة يريدون السماح بنشرها، أخذها منهم، ثمّ في اليوم الآخر «سلّمهم الرسالة، مليئةً بالحذف والإثبات، بخطه وقلمه، وقال لهم: إنّكم أصحاب دينٍ ولستم أصحاب سياسةٍ»[22].

ويقول الملك عبد العزيز لحافظ وهبة إنه التقى بعض كبار رجال الدين في العام 1931 لمّا علموا بعزمه على إنشاء محطات لاسلكي في الرياض، وبعض المدن الكبيرة من نجد، «فقالوا له: ياطويل العمر، لقد غشّك من أشار عليك باستعمال التلغراف وإدخاله في بلادنا، وإن فلبي سيجرّ علينا المصائب، ونخشى أن يسلّم بلادنا للإنجليز[23]، فقال لهم الملك: لقد أخطأتم فلم يغشنا أحد، ولست – ولله الحمد- بضعيف العقل،

---

(21) الزركلي، مصدر سابق ج 4 ص 1254.

(22) الزركلي، مصدر سابق ج 2 ص 745، وقارن بقول الملك عبد العزيز للريحاني: "هذا الحسا، عندنا هناك أكثر من ثلاثين ألفاً من أهل الشيعة وهم يعيشون آمنين لا يتعرض لهم أحد. إلا أنا نسألهم ألا يكثروا من المظاهرات في احتفالاتهم" مصدر سابق، ص584.

(23) جاء في جريدة الإخوان المسلمين ما يؤيد هذا الانطباع عن فلبي، تحت عنوان، الحاج عبدالله فلبي: هل هو من المسلمين الأطهار أم من دعائم الاستعمار؟ ما نصّه: "أمّا أنا فلا ألوم المستر فلبي، فهو رجل قد وقف نفسه على خدمة أمته وبلاده، إنما ألوم العرب إذا انخدعوا بأمثال هؤلاء وغرتهم مظاهرهم. ألوم أولئك الذين لا يزالون يعتقدون بإخلاصهم وولائهم، وكم أرجو لو أعادوا النظر وفي ما بدر عبرة لمن اعتبر"(العدد: 211 ص5 المنشور بتاريخ: 1947/1/11) وقد رمز لاسم الكاتب بحرفين هما: (م.ع) ما يشير إما إلى مسلم عربي، أو مصري عربي، وقد تردد مثل هذا الرمز في كثير من أعداد الجريدة، ويبدو من استقراء الجريدة أن كاتبه إما حسن البنّا نفسه أو أحمد السكري أو أحد المقرّبين من البنّا.

أو قصير النظر لأخدع بخداع المخادعين، وما قلبي إلا تاجرٌ. وكان وسيطاً في هذه الصفقة، وإن بلادنا عزيزةٌ علينا لا نسلمها لأحدٍ إلا بالثمن الذي استلمناها به. إخواني المشايخ، أنتم الآن فوق رأسي. تماسكوا بعضكم ببعضٍ لا تدعوني أهزّ رأسي فيقع بعضكم أو أكثركم، وأنتم تعلمون أن من وقع على الأرض لايمكن أن يوضع فوق رأسي ثانيةً»[24].

اعتاد علماء الدين على مخالفة الملك عبد العزيز لهم في جملة من القضايا يدل على هذا ما قالوه لحافظ وهبة عندما ناقشهم في اعتراضهم على تعليم الأولاد بسبب: الرسم واللغة الأجنبية والجغرافيا، عن عبد العزيز: «وإن خالفنا فليست هذه أوّل مرةٍ يخالفنا فيها»[25].

ويذكر آرمسترونج المعنى نفسه عن الملك عبد العزيز قائلاً: «إن ابن سعود إنما خضع لإرادة العلماء في أمور الدين. لكنهم عندما قدّموا له النصح في أمورٍ سياسيةٍ وعسكريةٍ لا يرى رأيهم فيها، أمرهم بالرجوع إلى كتبهم»[26].

---

(24) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين،القاهرة، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى 2000 ص283.

(25) المصدر نفسه ص126.

(26) H C Armstrong Lord of Arabia (London: Arthur Barker Ltd. 1934) p. 214.
نقلاً عن أمين الياسيني، "الدين والدولة في المملكة العربية السعودية"، دار الساقي 1987.

السعودية وحسن البنّا

كان الملك عبد العزيز يسعى لعلاقاتٍ وطيدةٍ مع علماء المسلمين وقادتهم في شتى أنحاء العالم من الهند[27] إلى مصر وغيرها من البلدان، فكان من أصدقائه أمين الريحاني، وشكيب أرسلان، ومحمد رشيد رضا وغيرهم كثيرٌ، وكانت له علاقةٌ خاصةٌ برشيد رضا، وكانت بينهما مراسلاتٌ ومكاتباتٌ سياسية ودينية ونحوها، وكان رضا ناصحاً أميناً أحبّ السعودية بصدقٍ، وأخلص لها الولاء حتى آخر يومٍ في حياته.

وفي بواكير صلات الإخوان بالسعودية نبدأ برواية حسن البنّا نفسه، قال: «كما كان ينفّس عن نفسي التردد على المكتبة السلفية... حيث نلتقي الرجل المؤمن المجاهد العامل القوي العالم الفاضل والصحفي الإسلامي القدير السيد محبّ الدين الخطيب... كما نتردد على دار العلوم ونحضر في بعض مجالس الأستاذ السيد رشيد رضا»[28].

ويضيف: «أنّ فضيلة الشيخ حافظ وهبة مستشار جلالة الملك ابن آل سعود حضر إلى القاهرة رجاء انتداب بعض المدرّسين من وزارة المعارف إلى الحجاز ليقوموا بالتدريس في معاهدها الناشئة... واتصل الشيخ حافظ وهبة بجمعية الشبان المسلمين لتساعده في اختيار المدرسين، فاتصل بي

(27) يذكر حافظ وهبة: أن الهنود أسسوا معاهد في مكة والمدينة، ص124، وسكنوا الرياض في عهد فيصل بن تركي (جزيرة العرب في القرن العشرين، ص131 و 262 و 273).

(28) حسن البنّا، مذكرات الدعوة والداعية، الإسكندرية، دار الدعوة، الطبعة الأولى 2001 ص47.

السيّد محب الدين الخطيب وحدثني في هذا الشأن فوافقت مبدئياً... وجاءني بعد ذلك الخطاب التالي من الدكتور يحيى الدرديري المراقب العام للجمعية بتاريخ 6 نوفمبر سنة 1928 (هذا ونرجوكم التفضّل بالحضور يوم الخميس المقبل... وذلك لمقابلة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ حافظ وهبة مستشار جلالة الملك ابن آل سعود للإتفاق معه على السفر وشروط الخدمة للتدريس في المعهد السعودي بمكة) وفي الموعد التقينا وكان أهم شرطٍ وضعته أمام الشيخ حافظ ألا أعتبر موظفاً يتلقى مجرد تعليمات لتنفيذها، بل صاحب فكرة يعمل على أن تجد مجالها الصالح في دولة ناشئة هي أمل من آمال الإسلام والمسلمين، وشعارها العمل بكتاب الله وسنة رسوله وتحري سيرة السلف الصالح»[29].

وقد تعثر هذا المشروع لأسبابٍ بيروقراطية، واستمرّ البنّا مدرّساً في الإسماعيلية التي أنشأ فيها «جماعة الإخوان المسلمين».

قال البنّا: «كان الإخوان ينتهزون كل فرصةٍ فيتصلون برجال الدول العربية والإسلامية، توثيقاً للرابطة ونشراً للدعوة، ومن ذلك زيارتهم للسيد عباس القطان بمناسبة مرضه.. وتحدثوا ملياً في شئون الحجاز وشئون المسلمين عامةً»[30].

---

(29) المصدر نفسه ص72.

(30) حسن البنّا، مذكرات الدعوة والداعية ص161، والسيد عباس القطان كان محافظ المدينة المنورة.

وبعد محاولة الاعتداء على الملك عبد العزيز في الحرم من قبل أحد اليمنيين، قرّر المجتمعون في المؤتمر الثالث لجماعة الإخوان المسلمين 1934 «بأن يرفع مكتب الإرشاد باسمهم التهنئة الخالصة لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود على نجاته، واستنكار هذا العدوان الأثيم»[31].

في العام 1936 توجّه حسن البنّا للحج أوّل مرةٍ في حياته[32]، ويشير مؤرخ الإخوان، شبه الرسمي، محمود عبدالحليم إلى هذه الحجة فيقول: «الأستاذ المرشد قد كاشفنا بأنّ فكرة الهجرة بالدعوة إلى بلدٍ آخر من البلاد الإسلامية يكون أقرب إلى الإسلام من مصر قد سيطرت على تفكيره وملأت نفسه»[33].

ويضيف عبدالحليم نقلاً عن كلمة البنّا بعد عودته من الحج قوله: «وقد اتصلت بالمحكومين والحكّام في كل بلدٍ إسلامي، وخرجت من ذلك باقتناع تام بأنّ فكرة الهجرة بالدعوة أصبحت غير ذات موضوع وأن العدول عنها أمر واجب»[34].

ومن جانبه التقى البنّا، في هذه الحجة، بالملك عبد العزيز، ولهذا اللقاء قصةٌ يرويها عبدالحليم عن البنّا قائلاً: «اعتاد الملك عبد العزيز آل

---

(31) المصدر نفسه ص 189.

(32) المصدر نفسه ص 201.

(33) محمود عبدالحليم، "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ"، الإسكندرية، دار الدعوة، 2004 ج1 ص 109.

(34) المصدر نفسه، ج1 ص 111.

سعود أن يدعو كل عام كبار المسلمين الذين يفدون لأداء فريضة الحج إلى مؤتمر بمكة المكرمة تكريما لهم وليتدارسوا أحوال المسلمين في العالم... وطبعاً لم توجّه إلينا دعوةً باعتبارنا من عامة الحجاج.. قال: علمت بموعد هذا المؤتمر وبمكانه الذي سينعقد فيه، فأعددت نفسي والإخوان المائة في هيئة موحدة هي الجلباب الأبيض والطاقية البيضاء... وفي الموعد المحدد فوجئ علية القوم المجتمعون بمائة رجل في هذه الهيئة يخطون خطوةً واحدةً يتوسط الصف الأول منهم رجل منهم هو المرشد العام... فكان هذا حدثاً مثيراً للإلتفات» وتحدّث المتحدثون ثم يضيف البنّا: «فطلبت الكلمة واعتليت المنصة وارتجلت كلمة كانت أطول كلمة ألقيت وكانت الكلمة الوحيدة التي أيقظت الحاضرين وقوبلت بالإعجاب، واهتزت لها المشاعر.. وما كدت أنهي كلمتي حتى أقبلت علي جميع الوفود تعانقني وتشدّ على يدي، وتعاهدني وتطلب التعرف علي وعلى من معي وتفتح قلوبها للفكرة التي تضمّنتها كلمتي»[35].

وقد نشر هذا الخبر كما يشير محمود في العدد الأخير من «جريدة أمّ القرى وهي الجريدة الوحيدة التي تصدر في السعودية في ذلك الوقت وكانت جريدة شبه رسمية.. وتصفّحنا الجريدة وكانت قليلة الصفحات فوجدنا يشغل مكان الصدارة فيها خطاب للأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين»[36].

---

(35) المصدر نفسه ص 112.
(36) المصدر نفسه ص 109.

ويشير عبده دسوقي لتفاصيل هذا الخبر فيقول: « كما أن جريدة أم القرى كبرى الجرائد السعودية رحبت بالإمام البنا وصحبه فنشرت تحت عنوان: «على الرحب والسعة» تقول: «وصل على الباخرة كوثر التي أقلت الفوج الأخير من الحجاج المصريين كثير من الشخصيات المصرية المحترمة لم تسعفنا الظروف بالتعرف إليهم إلا بعد صدور العدد الماضي وإنا نذكر منهم الأستاذ الكبير حسن أفندي البنا المرشد العام لجمعية الإخوان المسلمين»[37].

ويعلّق محمود عبدالحليم على هذه الحادثة قائلاً: "وبدأ آل سعود يتعرفون على الداعية الجديد"[38].

ولعلّه في هذه السنة 1936 كان اللقاء الشهير بين حسن البنّا والملك عبد العزيز، والذي طلب فيه البنّا إنشاء فرع لجماعة الإخوان المسلمين في السعودية، فكان جواب الملك عبد العزيز ذكياً ودبلوماسياً حين رفض الطلب قائلاً للبنّا: «كلّنا إخوان مسلمون»[39].

---

(37) عبده دسوقي، "في رحاب الحج.. الإمام البنّا وبعثات الحج للإخوان المسلمين" موقع الشبكة الدعوية على الرابط التالي:

http://www.daawa-info.net

(38) محمود عبدالحليم ، مصدر سابق ص 115.

(39) لم أعثر على مصدر أصلي لهذه العبارة، ولكنّ حسام تمّام يقول: "ويتردّد في الأدبيات الإخوانية أنّ الملك عبد العزيز تعامل مع طلب البنّا لفتح فرع للجماعة بذكاء فلم يجبه إليه ولم يرفضه بصراحة أيضاً، وقال بدبلوماسيته المعروفة: كلنا إخوان مسلمون" ("تحوّلات الإخوان المسلمين" مدبولي، الطبعة الأولى 2006 ص70). وقد نقلت العبارة ذاتها عن الشيخ محمد بن عثيمين حيث قالها في لقاء الباب المفتوح رقم 45. والعبارة المشهورة للملك عبد العزيز هي "كلّنا إخوان وكلّنا مسلمون".

وجاءت الإشارة لهذا الموقف من إنشاء فرعٍ للإخوان المسلمين في السعودية عند هاشم عبدالرزاق صالح الطائي حيث يقول: «وعلى الرغم من ذلك لم يتمكّن تنظيم الإخوان المسلمين من فتح فرعٍ له في المملكة العربية السعودية، ورفضت كل الطلبات التي قدمت من قيادات الإخوان بهذا الشأن»[40].

وعن نشاط البنّا في مواسم الحج قال المجذوب: «وفي العام 1945 وفقني الله لأداء فريضة الحج... وهناك التقيت بالإمام الشهيد واستمعت إلى بعض محاضراته، التي كان يدعو إليها رؤساء الوفود الإسلامية سواء في مكة المكرمة أو في المدينة المنوّرة»[41].

وفي رحلة البنّا للحج العام 1946 يقول عبده دسوقي: «ولقد أقام الملك عبد العزيز مأدبة غداء لبعثة الإخوان، كما أقام الإخوان حفل شاي للأمراء والحجاج البارزين فى فندق بنك مصر»[42].

نشرت صحيفة الشرق الأوسط مذكرات الشاعر عبدالله بلخير[43] والتي قال فيها: «ومن الشخصيات البارزة التي أدّت فريضة الحج... في تلك

---

(40) "التيار الإسلامي في الخليج العربي: دراسة تاريخية"، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الأولى 2010 ص136.

(41) محمد المجذوب، "علماء ومفكرون عرفتهم"، الرياض، دار الشوّاف، الطبعة الرابعة بلا تاريخ نشر 99/2.

(42) عبده دسوقي، مرجع سابق.

(43) "مترجم الملك المؤسس وأول وزير إعلام سعودي" حسبما جاء في جريدة الشرق الأوسط، العدد:11003 بتاريخ: 12 يناير 2009.

الأيام»... وعرفنا واستمعنا إليها واجتمعنا بها مع ألوف المجتمعين والزائرين الأستاذ العظيم حسن البنّا... كان يحج في عددٍ قليلٍ من رجال الإخوان المسلمين، ويحرص أشدّ الحرص على لقاء الملك عبد العزيز والاجتماع به والتحدث إليه والإصغاء لما يفضي به إليه:[44].

وتشير جريدة الإخوان المسلمين إلى مراسلاتٍ «بين الملك ابن السعود وفضيلة المرشد العام»[45].

وذكر دسوقي عن حجة البنّا العام 1948 حكاية لم أجدها في مصادر أخرى فقال: «ومن ناحية أخرى فإن الحكومة المصرية أعدت العدة لقتله -أي البنّا- في السعودية على أن تنسب الجريمة إلى بعض اليمنيين! وكان أمير الحج المصري حامد جودة – رئيس مجلس النواب الذي ينتمي إلى الحزب السعدي – قد صحب معه بعض الأشخاص الخطرين، ولكن الحكومة السعودية استشعرت ذلك فأنزلت المرشد العام ضيفًا عليها وأحاطت مقره بحراسة شديدة وقدمت إليه سيارة خاصة بها جندي مسلح لمنع الاعتداء عليه»[46].

---

(44) جريدة الشرق الأوسط، الصفحة السابعة، بتاريخ الإثنين 1986/1/13، الحلقة 20 من كتب ومذكرات الشاعر عبدالله بلخير. نقلاً عن (عبّاس السيسي ج1 ص53، مصدر سابق).

(45) جريدة الإخوان المسلمين، العدد: 639 ص2 بتاريخ: 1948/7/21، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ جريدة الإخوان المسلمين كانت تصدر بمعدل خمسة أعداد كل شهر. وأنّها كانت تعتبر مسألة فلسطين أولويةً سياسيةً وفكريةً في خطابها، يتلوها مسألة الصراع السياسي المصري الداخلي، الذي يتضمّن مسألة الاغتيالات السياسية بشكلٍ واسع.

(46) عبده دسوقي، مرجع سابق.

كان حسن البنّا معجباً بالملك عبد العزيز يتضح ذلك من قوله فيه: «فمن كان يظن أنّ الملك عبد العزيز آل سعود وقد نفيت أسرته وشرّد أهله وسلب ملكه يستردّ هذا الملك ببضعة وعشرين رجلاً، ثم يكون أملاً من آمال العالم الإسلامي في إعادة مجده وإحياء وحدته؟»[47].

ويذكر عبّاس السيسي أنّه «حين زار الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية مصر عام 1945 استقبلته جوّالة الإخوان المسلمين في مطار القاهرة بالمشاعل والهتافات الإسلامية مرحّبين بمقدمه وحين تحدد موعد زيارته للإسكندرية... تجمّعت فرق جوّالة الإخوان بالإسكندرية في ملعب الأولمبي لتنظيم برنامج الاستقبال في الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم، وفي هذا الوقت المبكر قدم من القاهرة الأخ الأستاذ سعد الدين الوليلي المراقب العام للإشراف على تنظيم الاستقبال، فاستقبلته وأدّيت له التحية... ثم أمرني أن أجمع الإخوان الجوالة في طابور... وبعد أن أخذت التمام عدت إليه... قائلاً تمام يا أفندم العدد 850 من الإخوة. قال: نظّمهم فصائل... ثم قام مع الأخ حسن سالم مراقب جوالة الإسكندرية بتوزيع الإخوة على أماكن الاستقبال من محطة السكة الحديد إلى قصر الملك فاروق في رأس التين.. الاستقبال الذي فاق كل تصوّرٍ وكان يوماً مشهوداً للإخوان المسلمين»[48].

---

(47) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنّا ص 58.

(48) عبّاس السيسي، حكايات عن الإخوان، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1998، الجزء الثاني ص90، وقارن بما ذكره أحمد الزيّات، وحي الرسالة، الطبعة الخامسة، 1964، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ج3 ص260 حيث ذكر عظمة هذا الاستقبال وأنه جمع الألوف المؤلفة.

لمّا تحمّس الإخوان لعقد مؤتمرٍ عربيٍّ من أجل فلسطين، وجهت جماعة الإخوان المسلمين دعواتٍ لرجالات البلاد العربية، وحضر المؤتمر فارس الخوري من سوريا وغيره، وكما يروي محمود عبدالحليم فقد «صار يتوافد على المركز العام رجال كثيرون من زعماء البلاد العربية والإسلامية ومن ذوي الرأي فيها، وكان ممن توافد الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود والأمير أحمد بن يحيى ومعهما بعض إخوتهما، أوفدوا من قبل والديهم ملك السعودية وإمام اليمن، ليتفاهموا مع الحكومة المصرية ومع الإخوان المسلمين فيما يجب عمله لإنقاذ فلسطين»[49].

وهنا «طلبت –إنجلترا– عقد مؤتمر من أجل فلسطين في لندن يضمّ العرب واليهود وممثلي الحكومة البريطانية، وكان من ممثلي العرب عدا عرب فلسطين الأميران فيصل بن عبد العزيز وأحمد بن يحيى، واشترك الإخوان في المؤتمر باعتبارهم سكرتيرين للأميرين ومترجمين لهما، وأذكر أن ممن أوفد الإخوان الأخ محمود أبو السعود وكان طالباً بكلية التجارة ويجيد اللغة الإنجليزية كتابةً وتحدثاً، وسمي هذا المؤتمر بمؤتمر المائدة المستديرة»[50].

---

(49) محمود عبدالحليم، مصدر سابق، ج1 ص201.

(50) المصدر نفسه، غير أن المؤلف يعود في ج1 ص446 ليروي القصة بشكل آخر، ويذكر أن الإخوان أوفدوا مع السيوف أي سيف الإسلام أحمد وسيف الإسلام عبدالله أبناء إمام اليمن الأخ محمود أبو السعود، ولا أدري أي القصتين أصح!

كان لحسن البنّا علاقة وثيقة بمحمد رشيد رضا[51]، يذكرها محمود عبدالحليم فيقول: «لم يكن الأستاذ غريباً على أسرة الشيخ رشيد فلقد كان على صلة وثيقة بالشيخ منذ كان طالباً بدار العلوم، وكانت دار مجلة المنار ملتقاه بأكثر من التقى بهم من رجالات الحركة الإسلامية في ذلك العهد... وظلّ الأستاذ على اتصال بالشيخ بعد قيام دعوة الإخوان وكان يستشيره في كثيرٍ من الأمور»[52].

وقد كانت وفاة رشيد رضا في طريق عودته للقاهرة بعد رحلته للسويس لوداع الأمير سعود بن عبد العزيز حيث «أتعب ذهنه وجسده: أتعب ذهنه بإجهاده بالنصائح والوصايا لوليّ العهد – شأنه مع كل من يتوسّم فيه خيراً – وأتعب جسده بركوب السيارة إلى السويس ذهاباً وإياباً»[53].

وقد تولّى حسن البنّا إصدار الأعداد الأخيرة من المنار قبل توقفها النهائي[54].

---

(51) كانت لرشيد رضا علاقةٌ وثيقةٌ بالملك عبد العزيز وقد دعمه الملك بشتى أنواع الدعم، حتى أنّه كما ينقل رشيد رضا: "كتب إليّ أنّه يعدّني من الأسرة السعودية" (شكيب أرسلان، مصدر سابق، ص622) ويقول حمد الجاسر عنه: "محمد رشيد رضا العالم السلفي الذي كان ذا صلة قوية بالملك عبد العزيز، وبعلماء نجد، لمؤازرته للدعوة السلفية بنشرها والإشراف على طبع كتبها" (من سوانح الذكريات، مركز حمد الجاسر الثقافي الطبعة الأولى، 2006، ج1 ص316).

(52) محمود عبدالحليم، مصدر سابق ج1 ص275.

(53) شكيب أرسلان، مصدر سابق ص623.

(54) انظر: المجلد الخامس والثلاثين من مجلة المنار.

ثورة اليمن والإخوان والسعودية

كانت ثورة اليمن 1948 بداية توتّر العلاقة بين السعودية والإخوان المسلمين، وعن دور الإخوان في هذه الثورة يذكر محمود عبدالحليم أن «فكرة إعداد الشعب اليمني للثورة قد نبتت في المركز العام» ويضيف «عند تناول ثورة اليمن نجد أنفسنا أمام شخصيتين من غير اليمنيين كانا قطبي رحى هذه الثورة هما: الفضيل الورتلاني وعبدالحكيم عابدين»[55].

ويذكر عن دعوة الإخوان أنه قد «صار للدعوة وجودٌ في كل بلدٍ عربيٍّ»[56]، وأنّ «الإخوان يقيمون الدول ويسقطونها»[57].

أبدى الإخوان غضبهم من الملك عبد العزيز لوقوفه ضدّ هذه الثورة، يقول محمود عبدالحليم «وبعد هذا التلكؤ قام الوفد -أي وفد الجامعة العربية- ولم يتوجّه إلى اليمن مباشرةً كما كان ينتظر بل اتجه إلى السعودية ومكث في السعودية أياماً تلقى نصائح العاهل السعودي الذي قد لا يسعده أن يقوم حكم في جارته المتاخمة له يضرب بنظام الوراثة والأسر المالكة عرض الحائط ويختار الأصلح غير عابئ بالأسرة التي ينتمي إليها»[58] ويضيف عبدالحليم: «كان لهذه الثورة آثارٌ على المستوى المصري وأخرى على المستوى

---

(55) محمود عبدالحليم، مصدر سابق، ج1 ص447.

(56) المصدر نفسه ج1 ص 383.

(57) المصدر نفسه ج1 ص 453.

(58) المصدر نفسه ج1 ص 451.

العربي.. أما على المستوى المصري فإنها ألقت في روع القائمين على الحكم في مصر أنّ هذه الثورة نذيرٌ لهم بين يدي عذابٍ شديد، فليلقوا بثقلهم أولا لإحباطها ثم ليعدّوا العدّة للقضاء على مدبّريها وهم الإخوان المسلمون الذين بلغوا أشدّهم حتى أنّهم يقيمون الدول ويسقطونها. فوجد فاروق في مصر تجاوباً لأحاسيسه عند عبد العزيز آل سعود في السعودية وقد قرّبت ما بينهما وأنستهما الخلافات التي كانت بينهما»[59].

ومن هذا الموقف، أصبحت السعودية حذرةً في تعاملها مع حسن البنّا. قال فهمي أبو غدير: «سعدت بصحبة أستاذي الأستاذ البنّا في مكّة موسم حج 1948/1367هـ وتوثقت الصلة بيني وبين أحد النجديين المتحركين المتصلين.. نصحني لله ألا أعود لمصر هذا العام، الاعتقالات والسجون والمنافي والمحاكمات والمشانق والاغتيالات في انتظاركم!! وعهد الله أنني أجوب معك نجد والحجاز داعين إلى درب الإخوان المسلمين.. تبسّم البنّا عندما سمع بذلك وقال: «ألا تعلم أنّ الحكومة السعودية لم تسمح لي بالحج هذا العام إلا بعد أن تعهّدتُ بعدم الخطابة والكلام في السياسة» قلت: بلى «فكيف تسمح بالدعاية للإخوان؟»[60].

تطرّقت جريدة الإخوان المسلمين، في بعض أعدادها، لمشكلة اليمن، فمن ذلك قولها: «ولكنّا نقول لعلّ أفضل أساس تقترحه الجامعة العربية

---

(59) المصدر نفسه ج1 ص 453.

(60) في تقديمه لكتاب حسن البنّا "قضيتنا" ص1 منشور على موقع الشبكة الدعوية على الرابط التالي:
http://www.daawa-info.net

لوحدة الأمة اليمنية أن تتشدد أولاً في صورة نظام الحكم الذي يجب أن تكون عليه اليمن بحيث يكون حكماً إسلامياً دستورياً»[61]. وما ذكرته تحت عنوان «بعثة الإخوان المسلمين في اليمن: تصريحات للأستاذ عبدالحكيم عابدين رئيس البعثة»[62].

السعودية والإخوان بعد البنّا

تعاقب على منصب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين ثمانية من الإخوان هم:

حسن البنا: المرشد الأول ومؤسس الجماعة(1928-1949).
حسن الهضيبي: المرشد الثاني للجماعة (1949-1973).
عمر التلمساني: المرشد الثالث للجماعة (1973-1986).
محمد حامد أبو النصر المرشد الرابع للجماعة (1986-1996)
مصطفى مشهور: المرشد الخامس للجماعة (1996-2002).
مأمون الهضيبي: المرشد السادس للجماعة(2002-2004).
محمد مهدي عاكف: المرشد السابع للجماعة (2004-2010).
محمد بديع: المرشد العام الثامن (16 يناير 2010.حتى الآن).

---

(61) جريدة الإخوان المسلمين، العدد: 574 ص2 بتاريخ: 3/5/1948.
(62) المصدر نفسه، العدد: 636 ص3 بتاريخ 17/8/1948.

تقدم الحديث عن حسن البنّا، وأمّا حسن الهضيبي فقد تولّى منصب المرشد العام بعد اغتيال البنّا بعامين ونصف العام تقريباً، فقد اغتيل البنّا في 12 فبراير 1949 وتولّى الهضيبي في 19 أكتوبر 1951 وفي عصره مرّ الإخوان المسلمون بأسوأ لحظات تاريخهم فقد ناصبوا ثورة الضباط الأحرار العداء ولم تدّخر الثورة جهداً في ردّ العداء بعداءٍ أشرس وأقسى، فكان حلّ الجماعة الثاني ثم الاعتقالات في 1954 وفي 1964 وقبلها وبعدها. وقد أودع الإخوان السجون وتعرضوا للاعتقال والتعذيب والتنكيل، وأعدم بعض رموزهم، وهرب من استطاع النجاة منهم إلى الخارج، وخصوصاً إلى السعودية ودول الخليج.

وقال علي عشماوي وهو آخر قادة التنظيم الخاص: «لقد حضر الملك سعود للوساطة بين الإخوان والحكومة بعد الحلّ الأوّل، وفعلاً جامله أعضاء الثورة وفتحوا صفحة جديدةً مع الإخوان»[63].

قال نبيه عبدربه: «شاءت الأقدار أن يكون الأستاذ الهضيبي في سوريا ولبنان في صيف عام 1954 بعد زيارة للمملكة العربية السعودية قام بها في أوّل ذلك الصيف إجابةً لدعوةٍ من الملك السابق سعود بن عبد العزيز رحمه الله. كان الهضيبي موضع الحفاوة والتكريم في جميع الأوساط الدينية والاجتماعية والسياسية في البلدين الكريمين، متنقلاً بين المدن والقرى في أحفالٍ عامةٍ»[64].

---

(63) علي عشماوي، "التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين"، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية 2006، ص51.

(64) نبيه عبدربه، "حسن الهضيبي، المرشد الثاني للإخوان المسلمين"، الأردن، دار الضياء، الطبعة الأولى 1987، ص37.

كانت السعودية قد بنت خلال سنواتٍ طوالٍ علاقةً قويةً مع الإخوان المسلمين كأفرادٍ وليس كتنظيم، فاستقدمت الآلاف من قياداتهم وأفرادهم، ولم تكتف بإيوائهم بل سعت لتوفير الحياة الكريمة لهم ودعمتهم بشتى أنواع الدعم، فتولّوا مناصب الحسّاسة وحصل عددٌ منهم على الجنسية السعودية وبعضهم حظي بالجواز الدبلوماسي.

وبعد وفاة عبدالناصر والإفراج عن حسن الهضيبي والإخوان المسلمين 1971 «انتهز الهضيبي فرصة الحجّ سنة 1973 فعقد أوّل اجتماع موسّع للإخوان في مكة المكرّمة وكان هذا الاجتماع هو الأوّل من نوعه منذ محنةً 1954.. ونظراً لأن معظم الإخوان في الخارج قد هاجروا إلى منطقة الخليج والجزيرة العربية أو البلاد الأوروبية والأمريكية فقد تركّز عمل لجنة العضوية في تلك المناطق: فتشكّلت لجنة الكويت، ولجنة قطر، ولجنة الإمارات، وثلاث لجانٍ للسعودية في الرياض، وفي الدمّام، وفي جدّة»[65] وقد سهّل على الهضيبي هذه المهمة انتشار الإخوان في السعودية والخليج وتنظيماتهم المحكمة هناك.

ويذكر النفيسي أيضاً أنّ مجلس الشورى العام الذي يمثل السلطة التشريعية لجماعة الإخوان المسلمين « يتكوّن من 38 عضواً... ثلاثة أعضاء ثابتين بالتعيين مباشرةً من المرشد العام وبموافقة مجلس الشورى العام (أخ

---

(65) "الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية، أوراق في النقد الذاتي" مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 1989، ص233 من ورقة عبدالله النفيسي بعنوان: الإخوان المسلمون في مصر التجربة والخطأ. وقد أعاد نشرها في كتيبٍ مستقلٍ تحت عنوان "الفكر الحركي للتيارات الإسلامية"، عبدالله النفيسي، الكويت، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1995 ص36.

سعودي وآخر سوري والثالث مصري) و 2 من تنظيم الأردن و 2 من اليمن و 1 من العراق و 1 من الإمارات العربية المتحدة و 1 من البحرين و 2 من السعودية»[66].

وفي أمر تشكيل مجلس الشورى العام يذكر النفيسي ملاحظةً جديرة بالاهتمام، ألا وهي «أنّ أقطار الخليج والجزيرة ممثلة أيضاً بثقلٍ يفوق أهميتها بكثير فحاجة التنظيم الدولي للإخوان للمال يتمّ تلبيته من خلال ذلك.. فمندوبو السعودية وقطر والإمارات والبحرين والكويت وعددهم سبعةٌ يتمّ دائماً توظيفهم في عملية جباية الأموال للتنظيم الدولي للإخوان»[67].

بعد وفاة الهضيبي تولّى منصب المرشد العام عمر التلمساني بعد خروجه من السجن، وكانت له مواقف مع السعودية تستحق الذكر، فهو يقول: «ومرة كنت أؤدي فريضة الحج وفي جده قابلني الأخ «م.ص» وما يزال حيا أطال الله في حياته وقال: إن كبيراً يريد مقابلتي ليس من الأسرة السعودية وإن كان له بها صلةٌ فرحبت مؤملا في خير للدعوة وتحدد الميعاد وذهبت قبل الميعاد بخمس دقائق وهي عادتي في كل مواعيدي.. وحل الميعاد واستدعى الكبير سكرتيره ودعاني للدخول فوجدت أحد أبناء المرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود موجوداً معه... وجلس الكبير يتحدث عن الدعوة الإسلامية ثم عرج على مجلة الدعوة وكانت لم تصدر بعد وقال: إنه يريد

---

(66) المصدر نفسه، ص250.

(67) المصدر نفسه، ص 251.

تدعيمها فأدركت هدفه وقلت له مقاطعا: سيادتكم طلبتم مقابلتي كداعية لا كجابٍ ولو كنت أعلم أنك ستتحدث معي في مسألة نقود كنت أعتذر عن المقابلة ولذلك أرجو أن تسمح لي بالانصراف فتلقى الرجل هذه الغضبة في هدوء وقال: لم أقصد ماذهبت إليه ولكني كمسلم أردت تدعيم عمل إسلامي»[68] .

وينقل محمد عبدالحليم حامد عن التلمساني قوله: «طلبت المملكة العربية السعودية منّي عن طريق المرحوم عمر نصيف أن أعمل قاضياً بنجد لما تعرفه عن جدّي رحمه الله وصلته بالمذهب الوهّابي. فاعتذرت لأني لا أفضّل على مصر مكاناً أقيم فيه، أو أعمل به مهما لاقيت فيها من عنت»[69].

مع كل الدعم السعودي للإخوان واستقبال زعمائهم وكوادرهم في أحلك لحظات تاريخهم إلا أن التلمساني يزعم قائلاً: «وكم حملوا – أي الإخوان– على القصر في نشراتهم ورسائلهم وكم كتبوا إلى كل حكّام المسلمين يناشدونهم العودة إلى كتاب الله حتى ضاق كلّ حكّام العالم الإسلامي بالإخوان المسلمين وإلحاحهم على وجوب تطبيق كتاب الله وأوجس حكّام المسلمين خيفة من الإخوان المسلمين عندما رأوا شعوبهم تسارع إلى الانضواء تحت الدعوة السلفية النقية الطاهرة البريئة النزيهة دعوة الإخوان المسلمين وقد علم العالم كلّه أن المرحوم الملك عبد العزيز بن سعود عندما لمس قوة الإخوان وسريان دعوتهم في قلوب المسلمين قاطبة

---

(68) ذكريات لا مذكرات، نسخة إلكترونية ص22، منشورة على موقع الشبكة الدعوية.

(69) "مواقف من حياة المرشدين" ص30، نسخة إلكترونية منشورة على موقع الشبكة الدعوية.

عندما أحس بهذا الخطر الزاحف على الملكية المتسلطة المستغلة حذر الملك فاروق من خطورة دعوة حسن البنا وانتهى هذا التحذير بعد ذلك باغتيال الإمام الشهيد حسن البنّا وإقامة الملك فاروق للأفراح في قصوره عندما انتهى إليه نبأ الاغتيال»[70].

وفي عهد التلمساني وفي العام 1977 «بدأت وفود الجماعة تتحرك للخارج لتصل ما انقطع وجاء المرحوم كمال السنانيري (نظام خاص)[71] لمنطقة الخليج في هذه المهمة وقد نجح في مهمته لدى إخوان الخليج والجزيرة عموماً»[72].

بعد التلمساني جاء محمد حامد أبو النصر، وبعده مصطفى مشهور، ثم جاء مأمون الهضيبي، والأخير وصل للسعودية بفرض الحج ثم التحق بالعمل في قسم الحقوق العامة وقسم الحقوق الخاصة بوزارة الداخلية السعودية، ثم ذهب لمصر وعاد ثانيةً لعمله في السعودية، وبقي فيها

(70) من كتابه "قال الناس ولم أقل في حكم عبدالناصر" ص10 نسخة إلكترونية منشورةً، وفي هذا الكلام تناقضاتٌ ظاهرةٌ منها:

أ - كيف يزعم أن الملك عبد العزيز حذّر فاروق من الإخوان وهو الذي كان يكرمهم في بعثات الحج كما تقدّم!

ب - كيف يزعم أنّ هذا التحذير أدّى لاغتيال البنّا، والملك عبد العزيز قد وفّر للبنّا حمايةً أمنيةً خاصةً في حجته الأخيرة!

ت - كيف يقول واصفاً هذه الحكاية: "وقد علم العالم كلّه" وأنا لم أجد هذه القصة في كل المراجع التي رجعت إليها إلا لدى التلمساني.

(71) "النظام الخاص" أو "التنظيم السرّي" لقبٌ يطلق على تنظيم عسكري أسسه البنّا تحت شعار الإعداد لفلسطين وقد نفّذ عدداً من عمليات الاغتيال لشخصيات مصرية عامة.

(72) "الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية، أوراق في النقد الذاتي" مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 1989، ص242 من ورقة عبدالله النفيسي بعنوان: الإخوان المسلمون في مصر التجربة والخطأ.

حتى «زار الأستاذ عمر التلمساني مرشد الإخوان في ذلك الوقت السعودية للحج في منتصف الثمانينيات وقابلته وطلب مني النزول إلى القاهرة»[73] .

لماذا استقطبت السعودية الإخوان؟

كانت لدى السعودية أسبابها الواقعية في تلك المرحلة لاستقطاب الإخوان المسلمين من شتى البقاع، ونوجزها بخمسة أسبابٍ أولية:

الأول: مواصلة السعودية لسياسة الملك عبد العزيز في استقطاب النابهين من العالم العربي في شتى المجالات، مع تفريقٍ كان حاضراً في ذهن الملك عبد العزيز بين من يستقطبهم لرعاية شؤون الدولة وغالبيتهم من المثقفين العرب والأجانب كفلبي وخير الدين الزركلي وغيرهم كثير، ومن يستقطبهم بغرض تخفيف التوتّر الديني الداخلي كحافظ وهبة وغيره ممن لم يحضر للسعودية وإن زارها وقدّم لها الكثير من الحلول لمشكلاتها الشرعية مع الخطاب الديني المحلي، كمحمد رشيد رضا وغيره[74] .

الثاني: سعي المملكة لمواجهة المدّ الناصري الثوري خصوصاً وأنّ عبدالناصر ناصب الملكيات العربية العداء، وكان يصمها بالرجعية وسعى إلى الإطاحة بعروشها ونجح مسعاه في ليبيا واليمن وضربت طائراته المناطق الجنوبية في السعودية، فتبنّت السعودية دعم التضامن الإسلامي

---

(73) من حوارٍ له منشور على موقع موسوعة الإخوان المسلمين على الإنترنت.

(74) قارن أحمد عسّه، "معجزة فوق الرمال"، المطابع الأهلية اللبنانية، الطبعة الثالثة 1971 ص179.

في وجه المدّ الناصري. وكان أقوى خصوم عبدالناصر في الداخل حينها هم جماعة الإخوان المسلمين، فكان استقطاب الإخوان على مبدأ عدوّ عدوّي صديقي[75].

الثالث: سعي المملكة إلى تطوير الخطاب الديني المحلي، بعد الممانعة المستمرّة من قبل قادة هذا الخطاب لأغلب قرارات تطوير الدولة وتحديثها، وكمثالٍ يمكن مراجعة كتاب «فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ[76] ففيه الكثير من رفض الأنظمة الحديثة وإطلاق أحكام الكفر والردّة عليها، وقد انتقى من هذه الفتاوى كل ما يصبّ في هذا الاتجاه صاحب كتاب: الكواشف الجليّة في كفر الدولة السعودية[77] تحت فصلٍ أسماه «فاعتبروا يا أولي الأبصار»[78]. وكان الإخوان المسلمون يقدّمون حلولاً إسلاميةً وبحوثاً شرعيةً معمّقةً لتمرير مشاريع الدولة التي أعاقها الخطاب التقليدي.

---

(75) كتب الإخوان المسلمين في نقد القومية العربية من الكلاسيكيات المنتشرة بكثرة، كما كان لعلماء الدعوة الوهابية نصيبهم من المشاركة في هذا ومن ذلك كتاب الشيخ عبد العزيز بن باز "نقد القومية العربية".

(76) جمع وترتيب وتحقيق محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة بمكة المكرّمة 1399هـ، الطبعة الأولى.

(77) أبو البراء مرشد بن عبد العزيز بن سليمان النجدي، "الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية"، دار القصيم، 1994، ومعلوم أنّ كل هذه الأسماء مستعارة، وأنّ المؤلف الحقيقي للكتاب هو الفلسطيني عصام البرقاوي، المعروف بأبي محمد المقدسي، والذي أصبح لاحقاً أحد أشهر رموز تيّار "السلفية الجهادية"، وقد قام بتهذيب الكتاب والتعليق عليه محمد المسعري في كتاب أسماه "الأدلة القطعية على عدم شرعية الدولة السعودية" دار الشرعية، الطبعة الأولى 1995. مما يشير إلى أنّ بذرة التطرف ما تزال تنمو وتكبر ما لم يتمّ تداركها. وكمثالٍ على هذا يمكن مراجعة ما ذكره الشيخ محمد بن إبراهيم في ("فتاوى ورسائل" ج 12 ص254) من تهديد حولٍ نظام الغرف التجارية قال فيه: "بل هي كفيلةٌ بفض المجتمع الإسلامي وتفكيكه وسبب للشغب والفوضى والارتباك بل هي وسيلة إلى إعطاء رتبة الحكم لكل إنسان، وإعطائه الفرصة للخروج على الحكم وعدم القناعة به".

(78) "الكواشف الجلية" مصدر سابق، ص48.

الرابع: ما واجهته السعودية من تحديات داخلية تمثّلت في حركة أحد المتشددين الذي قام بضرب التلفزيون السعودي مع معاونيه والتي أشارت إلى تنامي خطاب التطرف داخل الخطاب التقليدي، وكان هذا الحادث اختراقاً لسلطة الملك وسيادة الدولة. وكذلك قيام تنظيمات حزبية ثورية منها القومي ومنها البعثي ومنها الشيوعي[79]، تبنّت معارضة النظام بصراحةٍ ووضوحٍ، وانتشر بعضها بين العمّال وبين طلبة الجامعات، وكان أفضل من يقوم بمواجهتهم حينذاك هي جماعة الإخوان المسلمين، نظراً لخبرتها بأطروحاتهم ومقدرتها على مقارعة حججهم بحجج دينية، وهي تجربة لم تنفرد بها السعودية بل استخدمتها أغلب الدول العربية في مواجهة المدّ اليساري.

الخامس: سعي المملكة المشروع لإثبات نفسها كدولةٍ قائدةٍ ورائدة، وكذلك تثبيت مكانتها وثقلها السياسي في العالمين العربي والإسلامي وفي العالم أجمع.

أهداف الإخوان في السعودية

كانت للإخوان أهدافٌ واضحةٌ في المهاجر التي لجأوا إليها وعلى رأسها السعودية، أهمها نشر دعوة الإخوان المسلمين فكراً وتنظيماً، ويمكن اختصار أساليبهم في تحقيق ذلك في الآتي:

---

(79) هناك الكثير من المصادر في هذا المجال، ونكتفي بالإشارة إلى مفيد الزيدي، "التيارات الفكرية في الخليج العربي" مفيد الزيدي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية 2003.

1 - السيطرة على العملية التربوية.

2 - السيطرة على الجمعيات الخيرية.

3 - السيطرة على المؤسسات ذات الطابع الشمولي، كالمؤسسات الإسلامية الكبرى ذات الأدوار السياسية.

4 - التغلغل في كل أعصاب المجتمع بشتى السبل.

التأثير السلفي على الإخوان

عندما جاء الإخوان المسلمون للسعودية بخطاب ديني مختلف عن الخطاب السلفي السائد، واجهوا معارضةً لأطروحاتهم، وعانوا من عدم التقبّل الشعبي لها، وقد وجدوا حلّهم الخاص لهذه المشكلة[80].

أثّر الإخوان على السعودية في مناح شتّى تقدّم بعضها، وكان تأثيرهم إيجابياً حيناً وسلبياً أحياناً، وسأشير هنا إلى التأثير السلفي على الإخوان الوافدين، وبأمثلة قصيرة، وأراه موضوعاً لم يبحث به مع أهميته:

السعيد الشربيني الشرباصي: «واستمعت إليه –أي ابن باز– وتأثرت به، ولا أقول إن أفكاري عن الدعوة السلفية ولدت هنا، ولكني أقول: إنها تركّزت وبرزت، وبدأت أراقب وأفكر وأقارن، وأكتب عن الالتزام بالشريعة كتاباً وسنةً»[81].

---

(80) وتمثّل هذا الحلّ في (محمد أحمد الراشد) الذي جمع بين الوعي الحركي والتنظيمي، والاطلاع العميق على كتب السلف والتراث الإسلامي. ولهذا أصبح هو الأب الروحي لإخوان السعودية والخليج دون منازع.

(81) علماء ومفكرون عرفتهم، مصدر سابق، 3/41.

عبدالرحمن حسن حنبكة: «بدأ تدريس هذه المادة أول الأمر على طريقة المتكلمين ثم اتجه لدراسة العقائد على منهج السلف غير ملتزم بآراء أشعرية أو ماتريدية خاصة، بل بما تدل عليه آيات القرآن وأحاديث الرسول الصحيحة الصريحة.. وبخاصة في موضوع الصفات»[82].

علي الطنطاوي: «أجل لقد ترددت ثم استقررت على مذهب السلف»[83].

هل أنشأ الإخوان تنظيماً سعودياً؟

من طبيعة الحركات الأيديولوجية المنظّمة أنّها لا تنفكّ عن أيديولوجيتها وأن سعيها على الدوام للتبشير برسالتها لا يتمّ إلا عبر رصّ صفوفها وإحكام تنظيمها في كل رقعةٍ تصل إليها.

يذكر حسن البنّا تحت عنوان: «دعوتنا في الأقطار الشقيقة» قائلاً: «كان أوّل مبعوثٍ للإخوان في الأقطار الشقيقة: فلسطين وسوريا ولبنان الأخوان الفاضلان: الأستاذ عبدالرحمن الساعاتي، والأستاذ محمد أسعد الحكيم»[84].

ويقول أيضاً: «والإخوان المسلمون لا يختصّون بهذه الدعوة قطراً من الأقطار الإسلامية»[85].

---

(82) المصدر نفسه 64/3.
(83) المصدر نفسه 206/3.
(84) مذكرات الدعوة والداعية، مصدر سابق، ص193.
(85) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنّا، مصدر سابق، ص52.

وأشار سعد الدين إبراهيم قائلاً: «حينما ضُربت حركة الإخوان المسلمين بواسطة الرئيس المصري جمال عبدالناصر في الخمسينيات وفي الستينيات، فرّ عددٌ كبيرٌ من الإخوان إلى المملكة العربية السعودية، المعقل الحصين للوهابية، حيث أحسنت وفادتهم وحمايتهم. كما أنّ عدداً كبيراً منهم شاركوا في بناء الدولة السعودية الثالثة، واستفادوا بقدر ما أفادوا أدبياً ومادياً»[86].

ويذكر علي عشماوي موقفاً له مع زينب الغزالي: «ثم تطرق الحديث إلى سؤالٍ منّي عن علاقتها بالمملكة العربية السعودية فأجابت: إن العلاقة الجيدة مهمة جداً لأمن الإخوان الموجودين في المملكة العربية السعودية»[87].

ويضيف: «وقد حمّلتني الحاجة زينب الغزالي رسالة شخصية بهذا المعنى إلى الأستاذ سعيد رمضان –إن وجدته بالمملكة- ورسالة أخرى إلى الشيخ عبدالرحمن أبو الخير، وقالت لي إنه سكرتير الملك سعود وأعطتني رقم تلفونه الخاص»[88].

وينقل تحت عنوان «قيادات المهجر» سؤاله لمحيي هلال، أحد الإخوان الذين هاجروا إلى السعودية قائلاً: «وبعد أن سمعت قصته سألته عن حال الإخوان، فأجاب: إن الإخوان في السعودية قد اختاروا

---

(86) من تقديمه لعلي عشماوي "التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين"، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية 2006 ص3.

(87) المصدر نفسه، ص146.

(88) المصدر نفسه، ص150.

منّاع قطّان مسئولاً عنهم، والإخوان في إمارت الخليج اختاروا الأخ سعد الدين إبراهيم[89] مسئولاً.. منّاع قطّان هو أحد إخوان المنوفية، وقيل إنّه أوّل مصري يجرؤ على تجنيد سعوديين في دعوة الإخوان في مصر للشباب السعودي، ولذلك فإنه قد فرض نفسه مسئولاً عن الإخوان بالسعودية دون استشارة أحدٍ»[90].

ويضيف: «أخذت الخطاب وذهبت للأستاذ سيد قطب[91] وطلبت مقابلته دون موعدٍ سابقٍ وقابلني، وقرأ الخطاب وأبدى إعجابه الشديد بالإخوة في السعوديّة وقال: إن هذا دليلٌ على أنّهم منظّمون جداً، وأنهم على كفاءة عاليةٍ من العمل.. والحقيقة أنني صرت أتحفظ معها –أي زينب الغزالي– ولا أخبرها بكل ما عندنا من أمور، بعدما أحسست أن أسرارنا من الممكن أن تتسرّب في اتجاه لا نريده، خاصةً أنّه –في هذه الفترة– قد صدر قرار من الأخ منّاع قطّان المسئول عن الإخوان في السعودية بفصل الأستاذ سعيد رمضان من الجماعة»[92].

ومن جانبها تتذكر زينب الغزالي قائلةً: «اللواء محمد نجيب الذي كان قد زارني قبل الانقلاب بأيام صحبة الأمير عبدالله الفيصل ويس[93]

(89) هكذا ورد اسمه في الكتاب، وهذا خطأ مطبعي دون شك فالنسخة مليئة بالأخطاء المطبعية، والصحيح هو عزّ الدين إبراهيم الإخواني 1 - المعروف، توفي العام 2009.

(90) المصدر نفسه، ص152.

(91) كان سيد قطب شخصية حادّة في كل أطواره، فقد كان من دعاة العريّ على الشواطئ قبل تديّنه، كما جاء في كتاب "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ" ص211، وكما كتب سيد قطب في جريدة الأهرام تحت عنوان "الشواطئ الميتة" بتاريخ: 10 يوليو 1938 ، إلى أن أصبح متطرفاً في تكفير الدول الإسلامية والمجتمعات الإسلامية في كتبه الأخيرة كمعالم في الطريق ونحوه.

(92) التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، مصدر سابق، ص200.

(93) في الأصل (وليس) وهو تصحيف، والصحيح (يس) أي ياسين، كما جاء في نسخة أخرى من الكتاب هي "أيام من حياتي" دار التوزيع والنشر الإسلامية الطبعة الأولى للناشر، 1999، ص30.

سراج الدين والشيخ الباقوري وشقيقي علي الغزالي بمناسبة وجود الأمير عبدالله الفيصل في مصر»[94] .

وتتذكر الغزالي أيضاً، في موسم الحج العام 1957: «في ليلة من ليالي ذي الحجة كنت على موعد بعد صلاة العشاء مع فضيلة المرحوم الشيخ الإمام محمد بن ابراهيم المفتي الأكبر للمملكة العربية السعودية حينذاك.. وكنّا نبحث معاً مذكرةً قدّمتها لجلالة الملك أشرح له فيها ضرورة تعليم البنات في المملكة، وأطلب منه الإسراع في تنفيذ هذا المشروع، مبينةً مصلحة المملكة في ذلك، وحوّلت المذكرة على فضيلة المفتي وطلب مقابلتي»[95] .

وأضافت: «طلبت من حميدة قطب أن تبلغ الأخ سيد قطب تحياتنا ورغبة الجماعة المجتمعة لدراسة منهج إسلامي في الاسترشاد بآرائه.. وأعطيتها قائمة بالمراجع التي ندرسها وكان فيها تفسير ابن كثير والمحلّى لابن حزم والأم للشافعي وكتبٌ في التوحيد لابن عبدالوهّاب وفي ظلال القرآن لسيد قطب.. وأعطتني ملزمةً من كتابٍ قالت: إن سيد يعدّه للطبع واسمه معالم في الطريق.. وعلمت أنّ المرشد اطلع على ملازم الكتاب وصرّح للشهيد سيد قطب بطبعه.. وحين سألته قال لي على بركة الله إن هذا الكتاب حصر أملي كلّه في سيد.. إن سيد قطب هو الأمل المرتجى للدعوة»[96] .

---

(94) زينب الغزالي، أيام من حياتي، ، دار الشروق، الطبعة الثالثة عشرة 1992 ص26.

(95) المصدر نفسه، ص31.

(96) المصدر نفسه، ص36.

وتضيف: «ودرسنا كذلك وضع العالم الإسلامي كله بحثاً عن أمثلة لما كان قائماً من قبل بخلافة الراشدين والتي نريدها نحن في جماعة الله الآن، فقررنا بعد دراسة واسعة للواقع القائم المؤلم، أن ليس هناك دولة واحدةٌ ينطبق عليها ذلك، واستثنينا المملكة العربية السعودية مع تحفّظاتٍ وملاحظاتٍ يجب أن تستدركها المملكة وتصححها»[97].

وتضيف: «كانت النقود أربعة آلاف جنيه، وهي قيمة اشتراكات مجموعةٍ من الإخوان في السودان والسعودية لمساعدة أسر المسجونين»[98].

وعن نشاط ودور زينب الغزالي قال مجذوب: «كانت الأخت الفاضلة في جولة دعوية لإلقاء الأحاديث الواعظة، في أوساط المدرسات والطالبات والجمعيات النسوية في هذه المملكة الإنسانية»[99].

ويذكر سعيد حوّى أنّه كان «حريصاً على ألا يحدث تغيير في السعودية لأن التغيير سيجعل مكة والمدينة وأرض العرب في مخاطر مجهولة، كتبت تحليلاً حول الوضع في السعودية، وبنيت عليه بعض الإقتراحات وقد وصل التحليل إلى الملك فيصل رحمه الله، وكانت له آثار طيبةٌ في نفسه كما نقل لي، وتجاوب مع بعض المقترحات، وبعض هذه المقترحات أصبحت الآن واقعاً في السعودية»[100].

---

(97) المصدر نفسه، ص37.

(98) المصدر نفسه، ص118.

(99) محمد المجذوب، مصدر سابق 123/2.

(100) سعيد حوّى، هذه تجربتي هذه حياتي، سعيد حوّى، دار عمّار، الطبعة الثانية 1988 ص94.

وهناك من أشار إلى صلة بين الوجود القوي للإخوان المسلمين في الجامعات السعودية وظهور قادة جدد للإخوان، وهو «أنّ القدرة التعبوية للجماعات الإخوانية في الجامعات السعودية، وتحديداً جامعة الملك سعود، وجامعة الملك فهد (البترول والمعادن سابقاً) وفي بريطانيا قد ساهمت مساهمة ملحوظةً، في الستينيات والسبعينيات من القرن المنصرم، في إطلاق قادة جدد للحركة»[101]. وينقل عن أحد المنظّمين السابقين لحركة الإخوان المسلمين قسم البحرين قوله: «لقد تمّ تنظيمي عن طريق خلايا الحركة التي كانت منتشرةً في حقبة السبعينيات في الجامعات السعودية، لقد كنّا نخضع فيها لاختبار في قدرات التحمّل.. كأن يطلب منّا الخروج في ليالي الرياض الباردة بملابس داخلية.. إلا أننا كثيراً ما ندخل دورات فكرية مختلطة الجنسيات من عرب الشام ومصر من المقيمين في المملكة العربية السعودية، أو من أساتذة جامعاتها المحسوبين على حركة الإخوان المسلمين من العرب الوافدين وقلة قليلة من السعوديين»[102].

إلا أنّ دور تنظيمات الإخوان المسلمين في الخليج في تنظيم الإخوان الأم، مثلما سبقت الإشارة إلى ملاحظة النفيسي، ظل يشبه دور البقرة الحلوب، يلعب دور المموّل بالمال فحسب، فالبرغم من «تدنّي موقعها مقارنةً بالجماعات العربية الأخرى كالمصرية والسورية والأردنية التي ما زالت تحتكر المواقع القيادية في التنظيم وتمارس فوقية معرفية وأيديولوجية في تعاملها مع فروعها الخليجية التي منذ تأسيسها في الأربعينيات حتى الآن، لم

(101) باقر النجّار، الحركات الدينية في الخليج العربي، دار الساقي، الطبعة الأولى 2007 ص33.
(102) المصدر السابق، نفس الصفحة.

تبارح دور المموّل و(البقرة الحلوب) للتنظيمات الإسلامية العربية الأخرى في مصر وبلاد الشام والمغرب والجزائر»[103].

يطرح بعض المراقبين تقسيمات للإخوان المسلمين في السعودية، فالبعض يقسمهم فكرياً باعتبار بعضهم بنائيين نسبةً للبنّا وقطبيين نسبة لسيد قطب، والبعض يطرح تقسيمهم حركياً لثلاثة أقسام كالآتي:

إخوان الحجاز: وهم منتشرون في الحجاز والجنوب والمنطقة الشرقية. ولهم وجودٌ لا بأس به في بقية المناطق. ويعدّون أقوى تنظيمات الإخوان في السعودية، فهم الأكثر تنظيماً وتأثيراً وانتشاراً.

إخوان الرياض أو القيادة العامة: وهي نخبة من الإخوان المسلمين ليس لهم تأثير أو انتشار كبيران، ويكاد نشاطهم يقتصر على المشاركة في بعض البيانات.

إخوان الزبير: وهي مجموعة من أهل الزبير[104]، الذين انتسب بعضهم للإخوان في الزبير وبعضهم لحق بالتنظيم أثناء الاجتماعات العائلية التي يعقدها أهل الزبير كآلية للتواصل الاجتماعي بينهم في السعودية. وهم في الغالبية مسالمون وبعيدون عن الصخب مع بعض الاستثناءات.

---

(103) المصدر نفسه، ص 40.

(104) "أهل الزبير" أو "الزبارا" هم مجموعة من العوائل السعودية هاجرت في السابق لبلدة الزبير في جنوب العراق، ثم عادوا فيما بعد لبلادهم.

ونميل للتقسيم الثاني بناء على متابعةٍ طويلةٍ لجماعة الإخوان في السعودية وحواراتٍ ونقاشاتٍ متعددة مع بعض عناصر الإخوان السابقين ومع بعض المراقبين والمهتمين بالموضوع. وثمة مجموعة من الأسماء تنسب لكل فرع من هذه الفروع الإخوانية، ولكننا لم نذكرها لعدم توفّر المصادر التي يمكن الاعتماد عليها.

غير أننا نجد في موقع «الموسوعة الإخوانية» النصّ الآتي: «من موسوعة الإخوان المسلميا ذهب إلى: تصفح، بحثبدأ نشاط تنظيم الإخوان المسلمين في السعودية بشكل واضح في فترة حكم الملك فيصل بن عبد العزيز ملك السعودية في الفترة بين (1964 - 1975). وقتها كانت العلاقات بين السعودية ومصر والتي كان يرأسها وقتئذ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في أقصى توترها بين الدولتين ذات النظامين السياسيين المختلفين جذريا. لاحقا وبعد رحيل الرئيس عبد الناصر، وحدوث تقارب بين خلفه الرئيس أنور السادات والملك فيصل بن عبد العزيز، سعى فيصل لإحداث تقارب بين الإخوان والسادات.

سيطر المنتمون للإخوان المسلمين على المناحي التعليمية في الجامعات تحديداً في عقدي السبعينيات والثمانينيات، وكذلك على المنابر الإعلامية خاصة في فترة حكم الملك فيصل في السعودية.

وجاء في الموقع نفسه أيضاً: «لا يعرف على وجه الدقة عدد المنتمين لجماعة الاخوان المسلمين في السعودية، كما أنه لايوجد لديهم مايسمى

«المراقب العام للجماعة» كما في الأردن وسوريا على سبيل المثال، من أعلام حركة الاخوان المسلمين في السعودية: علي بن عمر بادحدح، عبد الله بن عقيل بن سليمان العقيل، سلمان بن فهد بن عبد الله العودة[105]، فتحي الخولي، مناع بن خليل القطان»[106].

وقد ورد في مذكرة اتهام مصرية حول «التنظيم الدولي للإخوان المسلمين» والتي صدرت في منتصف عام 2009 إشارة إلى اسم الدكتور عوض القرني كأحد الناشطين في التنظيم الدولي، وقالت عنه المذكرة ما نصّه: «جناح التنظيم بالسعودية، ويضطلع بمسؤوليته الدكتور عوض محمد القرني، أستاذ الشريعة بجامعة الملك خالد، ويتخذ التنظيم من المكتبات المنتشرة بالمملكة غطاءً لحركته وستاراً لعقد لقاءاتٍ سريةٍ لتلافي الرصد الأمني».

كما ذكرت المذكرة من أسمته «فرحان بن فريج المولد» ونسبت إليه أنّه هو «الذي يتولّى مسؤولية التنظيم بمنطقة مكة المكرمة ويضم بعض السعوديين والمصريين العاملين بالمملكة»[107].

ثم أعادت لائحة اتهام صادرة عن النائب العام المصري أعلنت في يوم الأربعاء 21 أبريل 2010م اتهام عوض القرني بتهمةٍ جديدةٍ هي

---

(105) أرى في هذا النقل خلطاً، فسلمان العودة ليس من الإخوان المسلمين، بل كان من السرورية ثم انتحى بفكره عنها وانخرط في خط خاص به.

(106) يبدو أنّ هذا النص منقول بحذافيره عن الموسوعة العربية الحرة ويكيبيديا.

(107) نقلت هذا الاتهام أغلب وكالات الأنباء وكثيرٌ من الصحف في حينه.

تمويل التنظيم الدولي للإخوان، وقد نفى القرني التهمة واعتبرها مؤامرةً صهيونيةً[108].

وقد أخطأت لائحة الاتهام في اسم عوض القرني وجعلته عائض القرني، وقد تبرأ عائض من هذا الاتهام واعترف بانتمائه للإخوان المسلمين أثناء دراسته الجامعية وقال: "أنا انتميت إلى فكر الإخوان في الكلية يمكن في أول الكلية 3 سنوات أو 4 سنوات، وجلست مع الإخوان 4 سنوات"[109].

وعن التنظيم الدولي واستخدامه الأراضي السعودية يقول يوسف القرضاوي: "التنظيم الدولي للإخوان المسلمين كان يعقد اجتماعاتٍ في مكة المكرمة والمدينة المنوّرة أثناء مواسم العمرة والحج"[110].

السعودية والإخوان: هل أنكروا الجميل؟!

لقد آوت المملكة العربية السعودية الإخوان المسلمين في أقسى الظروف، التي تعرضّوا لها، ولم تكتف بهذا بل منحتهم الفرصة في الحصول على الحياة الكريمة عبر الوظائف والمناصب التي أتاحتها لهم، وترى السعودية أنهم أنكروا الجميل وعضّوا اليد التي مدّت لهم، ومن هذا تصريحٌ شديد الأهمية للأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودي

---

(108) جريدة عكاظ السعودية، 29 أبريل 2010م

(109) وذلك في حوارٍ أجراه مع قناة إم بي سي في برنامج نقطة تحوّل، و نشرته صحيفة سبق الإلكترونية على الرابط التالي:
http://www.sabq.org/sabq/user/news?section=5&id=9662

(110) كما صرّح في حوارٍ له مع صحيفة المصري اليوم نشر بتاريخ: 24 سبتمبر 2008.

لصحيفة السياسة الكويتية قال فيه: «جماعة الإخوان المسلمين أصل البلاء. كل مشاكلنا وإفرازاتنا جاءت من جماعة الإخوان المسلمين، فهم الذين خلقوا هذه التيارات وأشاعوا هذه الأفكار» ويضيف بمرارة «عندما اضطهد الإخوان وعلّقت لهم المشانق لجأوا إلى السعودية فتحمّلتهم، وحفظت محارمهم وجعلتهم آمنين» ويضيف «أحد الإخوان البارزين أقام 40 سنة عندنا، وتجنّس بالجنسية السعودية، وعندما سئل عن مثله الأعلى قال حسن البنّا»! ويكمل الأمير نايف تعليقا على الغزو العراقي للكويت: «جاءنا عبدالرحمن خليفة والغنوشي والزنداني فسألناهم هل تقبلون بغزو دولة لدولة واقتلاع شعبها؟ فقالوا نحن أتينا للاستماع وأخذ الآراء» ويضيف «بعد وصول الوفد الإسلامي إلى العراق فاجأنا ببيانٍ يؤيد الغزو»![111].

ولئن كان مستغرباً أن يقوم الإخوان بمثل هذه المواقف ضدّ السعودية فإن علي عشماوي يعتبرها سلوكاً إخوانياً فهو يقول: «فهم –أي الإخوان– يجيدون إيذاء كل من وقف معهم فترةً من الزمن، إذا حدث واختلف معهم مرةً، فقد ساعدتهم السعودية وقطر والكويت والكثير من الدول العربية، فما كان منهم إلا أن أساءوا إليهم وطعنوهم وانقلبوا عليهم.. فعلوا كذلك مع الدول التي آوتهم وأحسنت وفادتهم.. وكما قلنا كان مدرسو الإخوان في جميع هذه البلدان يجنّدون الشباب ويشحنونهم ضدّ حكّامهم وبلدانهم حتى ينقلبوا عليهم وكلما وجدوا فرصةً للإنقضاض انتهزوها»[112].

---

(111) صحيفة السياسة الكويتية، لقاء رئيس التحرير أحمد الجار الله مع الأمير نايف وزير الداخلية، العدد:12213 بتاريخ: 23 نوفمبر 2002.

(112) التاريخ السري لجماعة الإخون المسلمين، مصدر سابق، ص14.

ويضيف عشماوي: «لقد راقبوا جميع حكّام الدول العربية التي عملوا بها وفتحت لهم أبوابها، كما جمعوا عنهم معلومات؟! وكم استعملوا تلك المعلومات ضدّهم أحياناً أو للسيطرة والحصول على مزايا ومواقع في تلك الدول؟!.. لقد تعاونوا مع جميع الحكّام ما داموا يحصلون على ما يريدون، ثم ما يلبثون أن ينقلبوا عليهم حين تختلف المصالح»[113].

إحصائيات وأرقام

نحاول هنا تتبع الإخوان الذين وصلوا للسعودية من خلال مصدرين مهمين هما:

من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة لمؤلفه المستشار عبدالله عقيل سليمان العقيل.

علماء ومفكرون عرفتهم لمؤلفه محمد المجذوب.

أضفت إليهما، بعض المصادر التي رجعت إليها وذكرت بعض الأسماء المختلفة، وكان شرطي في هذا الإحصاء ذكر الشخصيات التي تجمع بين الانتماء للإخوان والتأثير في السعودية، إما من خلال المكث فيها أو التدريس أو تولي بعض المناصب أو بث برامج في الإذاعة أو التلفزيون أو العلاقة ببعض المسئولين أو نحو هذا. ولم أذكر من حجّ أو اعتمر من الإخوان إلا إن كان قد مارس الدعوة والتأثير أثناء زيارته للسعودية.

---

(114) المصدر نفسه، ص79.

رقم	الإسم	المصدر	الجزء والصفحة
1 -	المستشار عبدالله العقيل	من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة	5
2 -	عمر التلمساني	المصدر السابق	13
3 -	محمد الغزالي	المصدر السابق	25
4 -	محمد عبدالحميد أحمد (أبوالجامعيي)	المصدر السابق	47
5 -	محمد كمال الدين السنانيري	المصدر السابق	91
6 -	أحمد محمد جمال	المصدر السابق	143
7 -	عمر بهاء الدين الأميري	المصدر السابق	173
8 -	محمد محمود الصوّاف	المصدر السابق	205
9 -	سعيد رمضان	المصدر السابق	345
10 -	أحمد محمد الملط	المصدر السابق	367
11 -	عيسى عبده إبراهيم	المصدر السابق	401
12 -	عبدالرحمن الدوسري	المصدر السابق	437
13 -	سعيد حوّى	المصدر السابق	447
14 -	عبدالحكيم عابدين	المصدر السابق	513
15 -	مصطفى السباعي	المصدر السابق	537
16 -	عبدالفتّاح أبو غدّة	المصدر السابق	675
17 -	عبدالعزيز سعد الربيعة	المصدر السابق	695
18 -	عبدالله عزّام	المصدر السابق	703
19 -	السعيد الشربيني الشرباصي	علماء ومفكرون عرفتهم	3/35
20 -	عبدالرحمن الدوسري	المصدر السابق	3/67
21 -	معوّض عوض إبراهيم	المصدر السابق	3/269
22 -	يوسف العظم	المصدر السابق	3/327
23 -	محمد المبارك	المصدر السابق	3/337

رقم	الإسم	المصدر	الجزء والصفحة
24 -	زينب الغزالي	المصدر السابق	2/123
25 -	صلاح أبو اسماعيل	المصدر السابق	2/141
26 -	عمر التلمساني	المصدر السابق	2/227
27 -	محمد قطب	المصدر السابق	2/275
28 -	محمد محمود الصوّاف	المصدر السابق	2/295
29 -	أحمد محمد جمال	المصدر السابق	1/13
30 -	علي محمد جريشة	المصدر السابق	1/155
31 -	محمد الغزالي	المصدر السابق	1/265
32 -	منّاع القطّان	المصدر السابق	1/447
33 -	منير الغضبان	كشف المستور: أفكاري التي أحيا من أجلها	الكتاب
34 -	حسن الهضيبي	الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية، أوراق في النقد الذاتي، ورقة النفيسي	233
35 -	كمال السنانيري	المصدر السابق	242
36 -	عبدالله سليمان العقيل	المصدر السابق	249
37 -	زينب الغزالي	أيام من حياتي	
38 -	سعيد رمضان	المصدر السابق	17
39 -	مصطفى العالم	المصدر السابق	17
40 -	كامل الشريف	المصدر السابق	17
41 -	محمد العشماوي	المصدر السابق	17
42 -	فتحي الخولي	المصدر السابق	17
43 -	عبدالفتّاح اسماعيل	المصدر السابق	30
44 -	علي عشماوي	التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين	الكتاب

رقم	الإسم	المصدر	الجزء والصفحة
45 -	زينب الغزالي	المصدر السابق	146
46 -	محيي هلال	المصدر السابق	149
47 -	سعيد رمضان	المصدر السابق	150
48 -	منّاع القطّان	المصدر السابق	152
49 -	محمد محمود الصوّاف	المصدر السابق	153
50 -	محمود أبو السعود	المصدر السابق	154
51 -	عصام العطّار	المصدر السابق	155
52 -	مصطفى العالم	المصدر السابق	156
53 -	أسامة علاّم	المصدر السابق	156
54 -	تاج السرّ محجوب	المصدر السابق	199
55 -	حكايات عن الإخوان	عباس السيسي	----
56 -	محمد الأودن	المصدر السابق	28
57 -	محمد متولّي الشعراوي	المصدر السابق	136
58 -	يوسف القرضاوي	المصدر السابق	136
59 -	محمد الغزالي	المصدر السابق	136
60 -	محمد قطب	المصدر السابق	136
61 -	عبدالفتاح أبو غدة	المصدر السابق	136
62 -	معروف الدواليبي	المصدر السابق	136
63 -	علي الطنطاوي	المصدر السابق	136
64 -	كامل الشريف	المصدر السابق	136
65 -	يوسف العظم	المصدر السابق	136
66 -	عبدالمجيد الزنداني	المصدر السابق	136
67 -	حسن الترابي	المصدر السابق	136
68 -	عبد رب الرسول سيّاف	المصدر السابق	136

خاتمة

تظل الأسئلة مفتوحةً، هل كان مجيء الإخوان المسلمين للسعودية بغرض اللجوء من الظلم الذي نالوه فحسب؟ أم أنهم جاءوا لإعادة بناء تنظيمهم الأم؟ ولنشر تنظيمات موالية لهم داخل السعودية؟ وفي كلّ قطرٍ نزلوا فيه؟ وهل كان لهم هدفٌ آخر هو تعزيز قوّتهم ونفوذهم في العالم؟

ثمّ هل كانوا على وعيٍ بمحاولة عددٍ من الدول استخدامهم في ضرب التيارات القومية واليسارية فاستغلوا ذلك الوضع لبسط سيطرتهم ونفوذهم على المؤسسات وعقول الأجيال وتوفير مصادر الدخل للجماعة؟

تبقى هذه الأسئلة وأمثالها مفتوحةً وإن كان البحث والتنقيب كفيلٌ بانتقاء الإجابات الصادقة والموضوعية.

أخيراً، لم تزل البحوث حول جماعة الإخوان المسلمين في حاجة لمزيدٍ من التعمّق والتخصّص، فتاريخ الجماعة مليء بالتناقضات والتقلّبات والتنقّلات، على أكثر من مستوى منها السياسي والديني والاجتماعي والفكري والحركي وغيرها، ولم يزل في بطون المراجع الكثيرة والمتعددة منهلٌ لمن أراد تسليط الضوء على قضيةٍ مهملةٍ أو توجّهٍ محدّدٍ أو تاريخٍ مغفل.

الإخوان المسلمون السعوديون المشروعية المؤجلة

يوسف الديني(*)

كنت في الحادية عشرة من عمري، وقد بقي لي بضعة أشهر فقط لكي أتخرج من جمعية تحفيظ القرآن بجدة حين طرق سمعي ذكر جماعة الإخوان المسلمين من شيخ الحلقة التي كان ينتمي للتيار السلفي العلمي والذي كان يحذرنا بمناسبة وبغير مناسبة من هذه الجماعة (البدعة) حسب وصفه، والتي تصد عن طلب العلوم الشرعية وتغري الشبان الصغار بالأنشطة اللاصفية كالأناشيد والمسرحيات.يمكن من خلالها تغطية العديد من الجوانب الغامضة وجلاؤها للقارئ.

(*) كاتب وباحث في الفكر الإسلامي.

في ذلك الوقت، أواخر الثمانينات الميلادية كان المشهد الإسلاموي منقسماً بين تيار سلفي عريض، يتسيد الساحة، وبين تيارات حركية كالإخوان والسرورية[1] تعمل في الظل وبحذر شديد، ليس من السلطة السياسية بقدر ما كان يخاف كثيراً على شرعيته المعرضة للخطر أمام سطوة وسلطة التيار السلفي المحافظ في السعودية.

جماعة الإخوان كانت حاضرة وبقوة، إلا أن بداياتها المبكرة في السعودية كانت محل خلاف بين الباحثين في تأريخ الحركة الإسلامية في الخليج، وهناك ثلاثة اتجاهات لتحديد نقطة انطلاق الجماعة بشكل غير رسمي في السعودية.

الاتجاه الأول

يؤكد أن جماعة الإخوان المسلمين أو الجماعة الأم حرصت على تمددها الإقليمي والدولي منذ نشأتها في مصر في الثلاثينيات حيث كان هناك محاولة انتداب لحسن البنا ليعمل في حقل التعليم بالسعودية وهو ما يؤكده البنا ذاته في مذكراته[2] حيث قال إن فضيلة الشيخ حافظ وهبة[3]

---

(1) تنسب "السرورية" إلى السوري محمد سرور بن نايف زين العابدين، يؤكد ذلك خصوم سرور من "الإخوان المسلمين" ومن "السلفيين التقليديين"، وباحثون آخرون انخرطوا في ذلك التيار ، في حين يرفضها كثير من المنتسبين إلى هذا التيار ويقدمون أنفسهم كجماعة إسلامية سلفية ، للاستزادة طالع العدد الأول من كتاب المسبار بعنوان "السرورية" يناير 2007.

(2) انظر: مذكرات الدعوة والداعية ص 53 في فصل طويل بعنوان إلى الحجاز.

(3) حافظ وهبة (1889-1967) رجل خدم الدولة السعودية في بدايات تأسيسها، بعد حضوره إثر دعوة تلقاها من الملك عبد العزيز ، أُبعد عن بلاده الأم (مصر) وجال ودار في العالم حتى حل ضيفا على الملك المؤسس، فأصبح مستشاره وسفيره في الدولة التي أبعدته، ساعد على تطوير نظام تعليمي للدولة الناشئة، وألف كتابين يستند إليهما الكثير من الباحثين لأخذ معلومات تاريخية متعددة عن تلك المرحلة.

مستشار جلالة الملك ابن آل سعود حضر إلى القاهرة رجاء انتداب بعض المدرسين من وزارة المعارف إلى الحجاز ليقوموا بالتدريس في معاهدها الناشئة، وكانت الحكومة المصرية لم تعترف بعد بالحكومة السعودية تنفيذاً للسياسة الإنجليزية التي تفرق دائماً بين الأخوين، على حين كان الشعب المصري بأسره يستنكر هذا الوضع الشاذ، وكانت الطبقة المثقفة ترى في نهضة الحجاز الجديدة أملاً من آمالها وأمنية من أمانيها، فاتصل الشيخ حافظ وهبة بجمعية الشبان المسلمين لتساعده في اختيار المدرسين، فاتصل بي السيد محب الدين الخطيب وحدثني في هذا الشأن فوافقت مبدئياً.

إلا أن ذلك لم يتم بسبب أن البنا قد وضع شروطاً خاصة تتيح له أن يمارس نشاطات خارج وظيفة التعليم التقليدية، كما يؤكد ذلك محمد حسنين هيكل في مذكراته التي أشار فيها إلى رغبة حسن البنا لعب دور سياسي بارز، كما ذكر قصة سفره للحج عام 1936 على ظهر الباخرة (كوثر) حيث التقى وهو يلبس الإحرام الشيخ حسن البنا ولم يكن يعرفه من قبل، وقد ذكر له أنه أنشأ جماعة الإخوان لتهذيب الناس وعرض عليه رئاستها وكان يلقي الخطب والمواعظ طوال رحلة الحج وأبلغه أن له صلة قوية جداً بالحكومة السعودية وأنه يتلقى منها المعونة(4).

وهو الأمر الذي ذكره حسن البنا نفسه في مذكراته حيث يقول: وفي الموعد التقينا وكان أهم شرط وضعته أمام فضيلة الشيخ حافظ ألا أعتبر موظفاً يتلقى مجرد تعليمات لتنفيذها، بل صاحب فكرة يعمل

(4) انظر مذكرات محمد حسنين هيكل 182.

على أن تجد مجالها الصالح في دولة ناشئة هي أمل من آمال الإسلام والمسلمين، شعارها العمل بكتاب الله وسنة رسوله وتحري سيرة السلف الصالح وأما ما عدا ذلك من حيث المرتبات والامتيازات المادية وما إليها فلم أجعله موضع حديث فيما بيننا[5].

إلا أن مثل هذه الإشارات لا تعطي دلالات واضحة وقاطعة على حكاية التمدد تلك؛ لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار أن مرحلة التشكل والتكون لكل الثوارت والحركات الاحتجاجية تكون محصورة بالنطاق الجغرافي الضيق وهو ما يسمى في عرف الخطاب الإسلاموي بمرحلة "التمكين".

الاتجاه الثاني

يؤكد أصحاب هذا الاتجاه أن حضور الجماعة في دول الخليج والسعودية تحديداً جاء بعد فترة التمكين التي تحدثنا عنها لتليها فترة الهجرة لتي لاقى فيها تيار الإخوان في مصر - إثر تداعيات كثيرة مع السلطة - صنوفاً من المساجلات السياسية انتهت به إلى أن يكون خصم السلطة الأول، ومع زج كثير من قيادات التنظيم في السجون قرر عدد كبير منهم الهجرة إلى البلدان المجاورة، وكانت السعودية البلد المفضل لدى كثير منهم لأسباب تعود إلى طبيعة النظام السياسي والاجتماعي آنذاك؛ أما النظام السياسي فكان مجايلاً لنظام عبدالناصر بقوميته

---

(5) مذكرات الدعوة والداعية المصدر السابق.

واشتراكيته، وأما المجتمع المتدين فإن فطرته وثقافته الدينية السلفية لا تكترث بأي منافسة سياسية لها ما دامت تحقق شروط شرعيتها القائمة على مرتكزات الخطاب السلفي والتي تعود في مجملها إلى شرطي الهوية الدينية والسيادة الاجتماعية.

هذا الحضور الإخواني كان في مجمله على شكل انتدابات تعليمية استقطبت العديد من كوادر الإخوان وقياداتها لسد فراغ الحاجة التعليمية في وقت كان المجتمع السعودي يعيش طفرة مالية ونقصاً في الموارد البشرية المؤهلة في قطاع التعليم العام وفي الجامعات وصفوف الدراسات العليا، وليس بخافٍ أن كثيراً من كوادر الإخوان لم يكونوا فقط من حملة المؤهلات الشرعية بل على العكس تماماً كان كثير منهم قد حصل على تعليم مدني بحكم النظرة النقدية السائدة لدى الإخوان منذ قيام الجماعة بمهام التعليم الديني الرسمي في مصر ومدى تغلغل السلطة في المؤسسة الدينية، بدءاً من الأزهر وحتى المعاهد الدينية الدنيا، عدا عن أن هدف الإخوان كتيار سياسي شمولي كان يتطلب وجود كوادر مؤهلة في جميع المجالات، وهذا ما يفسر لنا سيطرة الجماعة في مفاصل عديدة من تاريخ مصر الحديث على أغلب النقابات والجمعيات الطلابية في الجامعات الرئيسية في مصر ومن ضمنها جامعة القاهرة المدنية.

إلا أن المفارقة أن حضور الإخوان في السياق السعودي المبكر لم يحفظ لنا أسماء شخصيات بارزة خارج الإطار الديني كالشيخ المفسر مناع القطان أو الشيخ السوري عبدالفتاح أبي غدة عالم الحديث الشهير

لسببين من وجهة نظري ،أولهما هو دخول الجماعة في نطاق السرية بسبب المرحلة الحرجة التي مروا بها داخل أوطانهم الأصلية، والثاني هو خوفهم من رفض المجتمع السعودي لأي قوالب تنظيمية بالإضافة إلى أسباب سياسية تحظر في مجتمع يقوم ولاؤه السياسي على فكرة العقد الاجتماعي في شكله التراثي القديم "البيعة" أو لأسباب هيمنة سلطة الخطاب السلفي الذي يرى في تشكيل أحزاب وتنظيمات مدنية، سواء ذات طابع سياسي أو اجتماعي، ضرباً من الخروج على نظرية "طاعة ولي الأمر" وهو الأمر الذي تفهمه الإخوان بذكاء شديد منذ البداية وكان كفيلاً ببقاء وجودهم في فترة (حضانة) طويلة لم يعكر صفوها سوى بعض الأحداث السياسية البارزة ،والتي كانت في غالبها ذات نوازع خارجية كقيام الثورة الإسلامية في إيران وتعاطف الإخوان معها أو غزو صدام حسين للكويت وصولاً لأحداث الحادي عشر من سبتمبر الذي نزع فتيل الأزمة القائمة بين حركات الإسلام السياسي وبين السلطة السياسية.

الاتجاه الثالث

وهو ما يتبناه الإخوان السعوديون أنفسهم ويلحون عليه في كل مرة يثار فيها موضوع حضورهم في السياق السعودي، حيث يرون أن الجماعة الأم لم تشكل أي صلات في السعودية، خلافاً لباقي المناطق نظراً لعلاقاتها الجيدة نسبياً بالسلطة السياسية في المملكة، ولمعرفتها بموقف خطاب مجتمع السعودية السلفي من تشكيل الأحزاب والتنظيمات، الذي عبر عنه كبار علمائها في مناسبات كثيرة كان من أبرزها الأثر القوي الذي خلفه كتاب الشيخ بكر أبو زيد (2008) أحد

كبار علماء المملكة والشخصية العلمية الأولى لدى طلبة العلم السلفيين من حيث التأصيل والتأليف المنهجي، هذا الكتاب الذي عنونه بـ: (حكم الإنتماء للفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية) والذي ذكر فيه أكثر من ثلاثين سبباً وحجة شرعية تمنع من قيام أي أحزاب أو جماعات داخل الدولة المسلمة، بل وقارن فيه بين الجماعات الإسلامية اليوم وبين الفرق العقائدية في صدر الإسلام التي خالفت الجماعة واستحقت الوعيد بالنار في إشارة إلى حديث الافتراق الشهير؛ وكان سبب تأليف الكتاب هو ما شهده المؤلف من صراع التيارات الدعوية على حد تعبيره، على اختطاف الشرعية الدينية فطريق الدعوة إلى الله قد التوى على كثير من الناس وتغير المفهوم في أفهامهم وصاروا لا ينظرون إلى طريق الدعوة إلا بمنظار ما ينتمون إليه من الفرق والجماعات والأحزاب[6].

هذه النظرة الصادمة لإخوان السعودية جعلتهم يتحدثون بما يشبه (التقية) حول حال التنظيم في السعودية وتاريخه ولم يخرجوا من هذه التقية القسرية إلا عبر كتابات مجهولة النسب على ساحات الإنترنت بعد مضي وقت طويل وبسبب الإنفراجة الكبيرة التي شهدها المجتمع السعودي ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر على مستوى الإعلام، أو حديث المجالس الذي انتقل من محدودية المكان إلى فضاءات الإنترنت الواسعة.

هذه التقية الإخوانية انتقلت من طور الإنكار التام في البدايات إلى الإقرار بوجود التنظيم من قبل كثير من أفرادها وربما كانت شبكة الأحرار على الإنترنت والتي استمرت لفترة محدودة أحد أهم المنابر التي

---

(6) مقدمة كتاب حكم الإنتماء، بكر أبوزيد 17 وانظر مهذب كتاب حكم الإنتماء للحصين.

كان يتحدث فيها الإخوان السعوديون بشفافية نسبية، اتخذت شكل الكتابة البحثية لكن بأسماء مستعارة وهذا أمر شائع في التاريخ الثقافي للجماعة في الخليج، فعبدالمنعم العزي الرمز الإخواني الأبرز لدى المجموعات التربوية للإخوان في الخليج كان يكتب كتبه باسم محمد أحمد الراشد، ومؤخراً ظهرت دراسة مطولة عن الإخوان في السعودية على الإنترنت، وكان هدف الدراسة حث الإخوان على تغيير استراتيجية الإنكار والسكوت[7] إسوة بما يفعله التيار المنشق عنهم في الخليج والذي أسسه الشيخ محمد سرور زين العابدين والذي عرف بالسرورية.

عمر العزي الاسم الحركي الذي كتب بحثه أكد أن غياب الإخوان عن الفاعلية لا يعني بالضرورة أنهم غير موجودين وأن كوادرهم تمثل الأغلبية الساحقة ، وعزا ذلك لأسباب كثيرة من أبرزها:

- سيطرة التيار السلفي على مؤسسات الدولة الرسمية وعلى آليات التحرك وسط الجماهير، واعتماد الدولة على هذا التيار.

- اختفاء القيادات الإخوانية السعودية من الظهور الإعلامي والفكري بصفتهم الإخوانية.

(7) في تعليق طريف للصحفي فارس بن حزام يصف حالة الصمت هذه بقوله : من اللطيف في الحالة "الإخوانية" المحلية أنها كيان غير مرئي، ولا أعلم سر الخجل الطاغي على أفرادها من التصريح بميولهم، وهم في ذلك أقرب إلى مسؤول حكومي يخجل من الكشف عن ميوله الهلالية في كرة القدم. فليس في الانتماء الفكري لمدرسة "الإخوان" أي عيب، ولا في تشجيع الهلال أي عيب أيضاً، فكلاهما شرف وتشريف. طالع مقاله انتفاضة إخوان السعودية جريدة الرياض 20 يناير 2009.

- بروز التيار «السروري» (نسبة إلى الشيخ محمد سرور زين العابدين وهذا ما اصطلح عليه إعلاميا) وسيطرة هذا التيار على أوساط الشباب وشرائح كثيرة من المثقفين، والظهور العلني له، الذي دمج بين السلفية والجهادية.

- صعوبة الانسلاخ الكلي من العباءة السلفية والتي تغطي معظم الشعب السعودي، فكان ظهور تيار إسلامي حركي في مجتمع ملتزم بالمنهج السلفي، فيه نوع من الاستهجان وعدم القبول المباشر. وهو يؤكد أن كل هذه العوامل وغيرها كثير، أدت إلى حالة الضمور لدى التيار الإخواني السعودي إعلامياً وجماهيريا."ولكنه في نفس الوقت كان ينمو عمودياً وحركياً"[8].

وفي نفس السياق يؤكد الكاتب الإسلامي خالد المشوح أن الإخوان السعوديين فضلوا الصمت دائما والعمل من خلال المنافذ المتاحة لهم فكرياً ودعوياً وإغاثياً من خلال مؤسساتهم أو مراكزهم العلمية والقيادية، كما أنهم حرصوا على افتعال معركة أيديولوجية مع تيارات الحداثة والليبرالية لكسب شريحة أكبر من المجتمع المحافظ عقدياً، لكن يبقى أن هناك سؤالاً ملحاً وهو أن الفكر الإخواني مبني على المشاركة الشعبية والسياسية الفاعلة بالدرجة الأولى والتصريح العلني بالمرجعية الإخوانية وهو الأمر الذي لا يمكن أن يوصف به إخوان السعودية أو يصرحوا به، فهل هو التكتيك السياسي أم الإستراتيجية المغايرة[9].

---

(8) المقال موجود في موقع مجلة العصر وفي موقع الأحرار ويمكن معرفة حجم انتشاره وأثره بالعدد الهائل من المواقع التي نقلته، حيث نشر في 2004/7/25، أنظر http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=5547

(9) خالد المشوح من مقالات عن الإسلاميين في جريدة الوطن، الحلقة الخامسة عن الإخوان طالع البحث كاملاً على موقعه الشخصي http://almushawah.net/news.php?action=show&id=12

بينما يرى محامي الإسلاميين، كما يطلق عليه، منتصر الزيات في موقف قد يثير نوعاً من الجدل في صفوف أبناء الحركة ومريديها أن للسعودية حقاً مشروعاً في رفض وجود أعضاء الحركة على أراضيها، على عكس وجودهم في الدول الأخرى، معللاً أن الإخوان المسلمين في مصر واضحون ولكن في السعودية غير واضحين، وهذا طبيعي لوجود حالة رفض أمني من قبل النظام في السعودية لتحركهم وانتشارهم، أو أن يتحركوا تنظيمياً، وهذا حق مشروع للدولة السعودية، ومن فطنة الإخوان أنهم لم يصطدموا مع الحكومة السعودية لأنهم قبلوا رغبة الدولة من دون أي نقاش[10].

من جهة أخرى يفصل الصحفي السعودي نواف القديمي في إحدى حوارته مؤكداً في البدء أن حركة الإخوان المسلمين هي حركة كبيرة وممتدة على طول العالم الإسلامي وعرضه، وهي لذلك تحمل بطبيعتها قدراً كبيراً من المرونة الفكرية، بحيث تجد أن الإخوان المسلمين في السعودية هم في حقيقتهم سلفيون بمسحة إخوانية، والإخوان المسلمون في تونس هم ليبراليون مؤمنون بالمرجعية الإسلامية، والإخوان المسلمون في تركيا هم أقرب للتصوف منهم للسلفية، وهكذا.. وكل ذلك يرجع إلى أن جماعة الإخوان هي قائمة في أساسها على إطارين اثنين.. الأول يعتمد على مرونة فكرية وفقهية. والثاني يعتمد على مسار أيديولوجي وسياسي وحركي أكثر دقة وتحديداً، ويرتكز بشكل رئيس على فكرة (تكوين حركة مُنظّمة

---

(10) منتصر الزيات في حوار مع جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 27 مايو 2010 عدد 11503، ويلاحظ أن في تصريحه اضطرابا بين إنكار وجودهم أو عدم شرعية ذلك بناء على رغبة السلطة السياسية.

تهدف إلى إعادة الحياة الإسلامية في المجتمعات المُسلمة، وإقامة الدولة الإسلامية..) لذا تجد أن ثمة تباينات واضحة عند جماعات الإخوان في الدول العربية والإسلامية بحسب البيئة والدولة التي تعمل بها، وبحسب طبيعة وضعها السياسي في تلك الدولة. حتى إن بعض الحركات الإخوانية في بعض الدول العربية صار هدفها الرئيس وأولويتها الكبرى تتمثل فقط في السعي لمجرد بقاء الحركة وتماسكها أمام قمع السلطة.. وهذه المرونة التي تتكئ عليها جماعة الإخوان يمكن اعتبارها (نقطة ضعف وهشاشة فكرية و نقطة تماسك وقوة حركية وسياسية)[11].

حرج متفهم

وإذا كان يمكن أن نتفهم حرج الإخوان في السعودية من الحديث عن أنفسهم بل وملاحقة وتصنيف كل من يتحدث عنهم ولو في إطار التحليل والبحث ،فإن من المرجح أن نشأة الإخوان في السعودية على الرغم مما مرت به من إخفاقات مرحلية كانت مبكرة جداً تعود إلى سنوات التأسيس في مصر ولا أدل على هذا الحضور من حديث شخصيات بارزة في الإخوان الجماعة الأم عن ذلك فعلي عشماوي والذي كان مقرباً من سيد قطب يؤكد أن (الإخوان في السعودية قد اختاروا الشيخ مناع قطان مسئولاً عنهم، والإخوان في إمارات الخليج اختاروا الأخ سعد الدين إبراهيم... والشيخ مناع قطان هو أحد إخوان المنوفية ، وقد هاجر ، وقيل إنه أول مصري يجرؤ

(11) من حوار مطول عن الإسلاميين على شبكة العصر والاقتباس جزء من حديثه عن الفرق بين التنويريين والإخوان في السعودية على الرابط

http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentid=11132

على تجنيد سعوديين في دعوة الإخوان في مصر للشباب السعودي ولذلك فإنه فرض نفسه مسئولاً عن الإخوان بالسعودية[12].

بل تحدث عشماوي عن خطاب سري بعثه إخوان السعودية إلى الجماعة الأم وقال: «أخذت الخطاب وذهبت للأستاذ سيد قطب، وطلبت مقابلته دون موعد سابق وقابلني، وقرأ الخطاب، وأبدى إعجابه الشديد بالإخوة في السعودية، وقال إن هذا دليل على أنهم منظمون جداً وأنهم على كفاءة عالية من العمل»[13]. أدرك الإخوان المسلمون منذ نشأة الدولة السعودية الثالثة أنها تمثل بيئة خصبة وثرية للعمل الإسلامي؛ وذلك أن مشروعية الدولة السياسية بنيت على التحالف مع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي لم يكن لحسن البنا رغم تصوفه موقف مضاد لها، وذلك بسبب الجهود المضنية التي بذلها رشيد رضا في تنميط (الوهابية) كتيار عقلاني.

حسن البنا كان دائم البحث عن بيئة أكثر ملاءمة لدعوته الأممية من مصر التي ضاق به المقام فيها وكان ثمة تردد كبير لديه في البحث عن بديل بين اختيار المملكة أو اليمن التي كانت خاضعة لحكم الأئمة الزيدية وقتذاك[14].

---

(12) التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين علي عشماوي، ط مركز ابن خلدون ص62.

(13) التاريخ السري ص 103 ـ 104.

(14) عن هذا التردد طالع دراسة حسام تمام عن الإخوان في السعودية الذي نشره في جريدة الأخبار اللبنانية تاريخ النشر.

إلا أن الانتشار الواسع الذي حققته الجماعة ومؤسسها بعد الإنتقال من الإسماعيلية إلى القاهرة إضافة إلى صعوبات الانتقال بنفس الوضع والمكانة جعله يواصل المضي في مشروعه في مصر قدماً، إلا أنه لم يزل حريصاً على بقاء علاقاته الخارجية خصوصاً بالسعودية في وضعية جيدة لا سيما وأن المملكة كما هي قبلة المسلمين الدينية فإن موسم الحج كان ملتقى كل الناشطين في الشأن الإسلامي حيث حرص البنا وعدد من قيادات الإخوان لاحقاً على عدم تفويت فرصة حضور تلك المواسم للتعرف على وفود الحج من كافة بلدان العالم الإسلامي وكان هذا يقتضي بالضرورة وجود علاقة جيدة مع الحكومة السعودية؛ هذه العلاقة لم تكن براغماتية من طرف الإخوان بقدر ما كانت السياسة السعودية آنذاك كانت حريصة على التعامل مع الإخوان كجماعة مناهضة للحكم الناصري وممثلة للوجود الإسلامي في مصر عدا عن أهمية الاستفادة من رموزها الدعوية والدينية في تأكيد الشرعية الدينية للمملكة بحكم اتساع رقعة أنصار الإخوان في العالم.

استقطاب متبادل

هذا الاستقطاب المتبادل كان قد بلغ ذروته بعد أن تلقت الجماعة أكبر ضربة موجعة لها عام 48 حين قررت الحكومة المصرية حل الجماعة في الثامن من ديسمبر، ويتداول مؤرخو تلك الفترة أن الشيخ البنا تلقى دعوة رسمية من السعودية للاستقرار فيها والعمل في قطاع التعليم، إلا أن اغتياله بعد أقل من شهرين كان صفحة جديدة في تاريخ الجماعة على المستوى المحلي والإقليمي.

تتداول الأدبيات المؤرخة لظهور جماعات الإسلام السياسي والإخوان على وجه الخصوص حادثة طريفة فيما يخص الموقف السعودي الرسمي من الترخيص لأحزاب سياسية أو دينية ذات صبغة تنظيمية حزبية حيث طلب الشيخ حسن البنا من الملك عبدالعزيز السماح للجماعة بالعمل بشكل رسمي إلا أن الملك أجابه بدبلوماسية ذكية بأنه لا حاجة لذلك لأن الشعب السعودي كله إخوانٌ ومسلمون في نفس الوقت.

وبقدر ما تحتوي هذه القصة - سواء صحت أم لا- من رغبة سياسية سعودية مبكرة في التأكيد على مسألة توحيد الهوية لضمانة توحيد الأرض في وقت كانت المملكة في أمس الحاجة إلى هذه الواحدية بمفهومها السياسي والسيادي تحديداً ،إلا أنني أعتقد أن سبب عدم تواجد الجماعة بشكل رسمي، رغم التعاطف الكبير معها في فترات ملاحقتها والدعم في فترات أخرى، لا يرجع إلى أسباب سياسية بقدر ما هو سياق سيسيوثقافي يتصل بتكرس السلفية كمرادف لمفهوم الإسلام الحق وبنائه للشرعية الدينية وصولاً للشرعية السياسية.

ممانعة سلفية

في هذا السياق أكد علماء المملكة في مناسبات عدة موقفهم من البيعة بمفهومها الشامل حتى تلك المسماة بـ (البيعة الحزبية والبيعة الصوفية لا يوجد في الإسلام إلا البيعة العامة أو البيعة الجامعة وتنعقد بموافقة أهل الشوكة والحل والعقد في الأمة)[15].

---

(15) انظر موسوعة فتاوى العلماء في الأحزاب والجماعات الإسلامية على الرابط
.http://www.fatwa1.com/anti-erhab/hezbeh/ftawa__jamaat.html

وحين سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالرزاق عفيفي والشيخ عبدالله بن غديان والشيخ عبدالله بن قعودعن حكم تعدد الجماعات والأحزاب في الإسلام وما حكم الإنتماء إليهاأجابت: (لا يجوز أن يتفرق المسلمون في دينهم شيعاً وأحزاباً ،فإنه مما نهى الله عنه وذم من أحدثه أو تابع أهله وتوعد فاعله بالعذاب الأليم ، أما إن كان ولي أمر المسلمين هو الذي نظمهم ووزع بينهم أعمال الحياة الدينية والدنيوية فهذا مشروع)[16].

وهو الأمر الذي شدد عليه مفتي البلاد الشيخ ابن باز حيث قال: (لا شك أن كثرة الفرق والجماعات في البلد المسلم مما يحرص عليه الشيطان أولاً وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً)[17].

ويقرر الشيخ ابن عثيمين كلامه عن الصحوة الإسلامية: (ليس في الكتاب والسنة ما يبيح تعدد الجماعات والأحزاب بل فيهما ذم لذلك)[18].

وليس الأمر مقتصراً على علماء السعودية بل إن المحدث الألباني الذي تحدث بالتفصيل طويلاً عن موضوع الحركات الإسلامية يرى أن (التحزب والتكتل في جماعات مختلفة المناهج والأساليب ليس من الإسلام في شيء بل ذلك مما نهى الله عنه)[19].

---

(16) موسوعة فتاوى العلماء ، مصدر سابق.
(17) فتاوى الشيخ ابن باز ج5 / ص122.
(18) ضوابط وتوجيهات للصحوة من كلام ابن عثيمين ص 154.
(19) فتاوى الألباني جمع عبدالمنان الطيبي ص 106 ، وانظر الجماعات الإسلامية بين العاطفة والتعقل جمع سعود العنزي ص 103.

وإذا كانت هذه الفتاوى اتخذت طابع الجواب الفقهي فإن الشيخ بكر أبوزيد صعد القضية ليجعلها مرادفة للإعتقاد حيث يقول: (الجماعات إن استشرى تعددها في جزيرة العرب فهو خطر داهم يهدد واقعها ويهدم مستقبلها.. ويجعلها مجمع صراع فكري وعقدي وسلوكي..) ويضيف (فواجب تنظيف هذه الجزيرة من تلكم المناهج الفكرية المبتدعة والأهواء الضالة ؛ وأن تبقى عنوان نصرة للكتاب والسنة والسير على هدى سلف الأمة حرباً للبدع والأهواء المضلة)[20] .

هذه الإقتبسات نحن بحاجة لها لمعرفة مزاج العقلية السلفية فيما يتصل بوجود أي تنظيم أو تيار قد ينافس سطوتها المطلقة، وإذا عدنا لفترة التسعينات والتي شهدت جدلاً واسعاً بين الحركات الإسلامية وبرزت آراء سياسية انتقلت فيها تلك التيارات من حالة الوئام والوفاق تحت لواء السلفية بمفهومها الاجتماعي الواسع إلى الاختلاف والافتراق حول مسألة الوضع الأفغاني والخلاف ما بين القادة الأفغان الذين كانوا ينتمون لتيارات وأحزاب إسلامية مختلفة ثم ما تلا ذلك من فترة ما قبل حرب الخليج ؛ إذا ما عدنا لتلك المخاضات يمكن أن نتفهم الأهمية الكبرى لكتاب حكم الإنتماء للشيخ بكر أبوزيد كمانفيستو للسلفية تجاه أي محاولات لشق عصا الطاعة الاجتماعية.

كان الشيخ بكر أبو زيد صريحاً في تسمية الأشياء بأسمائها وإيصال رسالة واضحة لهذه الجماعات بل وقطع الطريق عليها، بما يملكه

---

(20) راجع خصائص جزيرة العرب لبكر أبوزيد ص86.

من ثقل علمي كبير على المشهد السلفي برمته، فهو تحدث في كتابه عن أهمية لزوم السنة والجماعة، في إشارة إلى عدم الخروج على السياق السلفي العام كما أكد على ضرورة أن تكون «الدعوة» إلى الله وفق المنهج الصحيح فهذه الدعوة "توقيفية" أي تتوقف على النص وليست اجتهادية، وهو الشعار الذي كان يرفعه الإخوان في مسائل الاختلاف في المنهج أن كل تلك المسائل اجتهادية تنظيمية بل ذهب الشيخ بكر إلى أبعد من ذلك حيث تحدث بالنص عن ما أسماه " وحدة الاسم والانتماء" في إشارة إلى أن السلفية بمعناها الشمولي العام غير قابلة لأي انقسام من داخلها ولذلك فهو تحدث لاحقاً بعد تأسيسه لمفهوم الواحدية عن مخاطر وجود تنظيمات وأحزاب داخل المجتمعات الإسلامية بشكل عام والمجتمع السعودي بشكل خاص وكان من أبرزها أن عقد الولاء والبراء في حالة وجود أحزاب وتيارات سيكون للحزب وليس للإسلام ؛ كما أن فتح المجال لتأسيس أحزاب يقتضي دخول من ينتسب إلى الإسلام وهو يحاربه بدعوى الاجتهاد كما أنه تحدث عن أن هذه التيارات، في إشارة إلى الإخوان والجماعات الأخرى، هي اعتقال فكري وسجن داخل أفكار المؤسس للجماعة الذي تمنحه هذه الأحزاب التقديس والولاء المطلق لأفكاره ومواقفه ؛ ليقرر في النهاية أن وجود هذه الأحزاب في المجتمعات الإسلامية أمر بدعي محدث ومن التنابز بالألقاب المذموم شرعاً [21].

هذا الموقف الصارم في التسعينيات ازداد صرامة فيما بعدها بعد أن ألف الشيخ بكر أبو زيد كتابه المثير للجدل والذي سبب أزمات كثيرة

---

(21) ما سبق تلخيص مكثف لأبرز أفكار كتاب حكم الإنتماء ومن الضروري الرجوع إليه لمعرفة صرامة الموقف السلفي تجاه التعددية الحزبية.

حتى خارج الوسط النخبوي السلفي الذي كان بشكل حصري يتابع كتاباته ذات الطابع العلمي حيث اتهم الكتاب بأنه يؤسس للعنصرية الدينية، في هذا الكتاب «خصائص جزيرة العرب» ازدادت لهجة الشيخ بكر الممثل لصوت السلفية العلمي آنذاك حدة تجاه أي تعددية حزبية حيث اشتكى من خطر تعدد الجماعات الإسلامية في جزيرة العرب مؤكداً أن هذه (الجماعات إن استشرى تعددها في جزيرة العرب فهو خطر داهم يهدد واقعها ويهدم مستقبلها.. ويجعلها مجمع صراع فكري وعقدي وسلوكي).. مضيفاً (فواجب تنظيف هذه الجزيرة من تلكم المناهج الفكرية المبتدعة والأهواء الضالة؛ وأن تبقى عنوان نصرة للكتاب والسنة والسير على هدى سلف الأمة حرباً للبدع والأهواء المضلة)[22] .

الإخوان والسياسي

إذا كان مقتل الشيخ حسن البنا شكل نقطة حاسمة في مسيرة الجماعة، حيث كانت مختلفة قبله عن الفترة التي تلت اغتياله، فإن العلاقة بالسعودية لم تتأثر كثيراً إلا من حيث غياب الرمز الفاعل في الداخل المصري وتحول الجماعة من تيار مركزي يتمحور حول رمزه الأول إلى كيان حركي إسلاموي يتم التعامل معه كورقة سياسية مستقلة ومنها استمر النشاط الإخواني.

---

(22) انظر خصائص جزيرة العرب ص 84 والطريف أن استبدال مسمى المملكة بجزيرة العرب قد تلقفه تنظيم القاعدة والجماعات الإرهابية من هذا الكتاب الذي تحدث طويلاً عن مسألة أشكال وجود غير المسلمين داخل المجتمع المسلم وهو الأمر الذي تلقفه القاعديون بذكاء وجعلوه شعاراً لهم.

اغتيال الرمز

لم ينكفئ الإخوان بعد غياب البنا حيث ظلت روحه تحلق في الأجواء وتعاليمه تكتسب انتشاراً وصلابة ، ومضت الجماعة متجاوزة غياب الرمز تعقد الاجتماعات والندوات، واستمر توظيف موسم الحج، الملتقى الديني الأكبر سنوياً، في تمتين أواصر أنصارها وأتباعها في الخارج، وتم التداول بعد موسم الحج الذي تلى اغتيال البنا حيث إن عدداً من أعضاء الجماعة اقترحوا أسماء كثيرة وكان من أبرز الأسماء الشيخ أبو الحسن الندوي الداعية الأكثر حضوراً وشهرة في القارة الهندية والعالم الإسلامي، لكنه بحنكة اعتذر عن تولى منصب المرشد العام وشدد على ضرورة أن يختار المصريون مرشداً من أنفسهم من داخل الجمعة الأم بمصر.

التعاطف والاستقطاب

في هذه المرحلة يمكن القول إن الحضور المتبادل بين الإخوان والسعودية لم يكن ليخرج من مرحلة التعاطف والإشتراك في الأهداف العامة المبنية على تصورات إسلامية، لكن حدث الأحداث (ثورة 22 يوليو/تموز) فجر الأوضاع وقلب الطاولة وبعثر الكثير من أوراق الجماعة وبالتالي المشهد المصري والإقليمي، حيث وقعت الصدامات بين الجماعة والرئيس جمال عبدالناصر الابن العاق لتعاليم البنا كما كان يلقبه بعض قادة الإخوان عطفاً على تاريخ انتمائه للجماعة وتعاطفه معها في بداياته السياسية المبكرة وهي مسألة تاريخية لم تحسم بعد، فهناك من يرى أن

عبدالناصر كان مؤمناً بفكر الجماعة ومن ثم انقلب عليها، فيما يرى آخرون أن عبدالناصر كان براغماتياً استغل الإخوان في تأسيس سلطته بسبب جماهيرية الإخوان ومكتسباتهم في المشهد المصري يومذاك[23].

لا شك أن التوتر بين عبدالناصر وجماعة الإخوان بلغ مداه وذروته القصوى حين تم اتهام الجماعة بمحاولة الإغتيال في حادثة (المنشية) 54/10/26 والذي أسفر عن نتائج كارثية كادت أن تؤدي إلى تقويض الجماعة حيث تم اغتيال خمسة من كبار رموزها واعتقال الآلاف من الأتباع والمناصرين.

هذا التوتر انعكس على العلاقة بين الإخوان والسعودية فانتقل من مرحلة التعاطف والمشترك العام إلى مرحلة الاستقطاب السياسي عبر استفادة الإخوان من الهجرة والهروب من جحيم عبدالناصر واستفادت السعودية من الإخوان كورقة إسلامية فاعلة لتكوين جبهة حركية إسلامية مضادة للمد الناصري واليساري والقومي في ظل عجز التيار السلفي بمقولاته وأدواته التقليدية عن مقارعة الخطابات الجديدة (الوافدة) كما كان يطلق عليها آنذاك.

أصبحت المملكة لأسباب عديدة المحضن الأول لقيادات ورموز الإخوان الذين آثروا الهجرة من مصر والهروب من سطوة وقبضة

---

(23) انظر مقال محمد خير في الأخبار اللبنانية : هل كان عبدالناصر مشروعاً إخوانياً
http://www.al-akhbar.com/ar/node/9949

عبدالناصر الأمنية، إضافة إلى خصوبة الأراضي السعودية لإعادة ترميم ما تصدع والحفاظ على الكوادر النوعية للجماعة من أن تطالهم يد السجن أو الإعدام عدا أن وجود الإخوان في المملكة في تلك الفترة الصاعدة اقتصادياً يعد فرصة لهؤلاء أن يعيدوا ترتيب الأوراق بعد فترات عصيبة مروا بها، وبالفعل حضرت أعداد كبيرة منهم بعقود عمل كان السوق السعودي بحاجة ماسة لها لا سيما في قطاع التعليم العام والتعليم العالي، وسرعان ما استطاع الإخوان لأسباب موضوعية تتصل بتكوينهم العلمي الحديث واستيعابهم للعديد من التخصصات أن تكون لهم اليد الطولى في كثير من المؤسسات التربوية والتعليمية متسلحين بالكثير من البراغماتية والذرائعية العملية التي سهلت اندماجهم بشكل سلس للغاية داخل السياق السلفي المتحسس من أي أفكار جديدة.

الأبوة الروحية

أسماء عديدة تذكر أثناء الحديث عن مرحلة هجرة الإخوان المسلمين إلى السعودية منهم على سبيل المثال (يوسف القرضاوي، محمد الغزالي، محمد قطب، عبدالفتاح أبو غدة، علي الطنطاوي، معروف الدواليبي، يوسف العظم، حسن الترابي، عبدالمجيد الزنداني.. الخ)[24] إلا أن التركيز عادة ينصب على الشخصيات الشرعية والدعوية بحكم أنها الأكثر تأثيراً ، ويأتي الشيخ مناع القطان كأحد أبرز الأسماء وأهمها

---

(24) انظر مقال شاكر النابلسي الإخوان والأصولية السعودية على الإنترنت ، التيار الإسلامي في الخليج العربي هاشم الطائي136.

في تاريخ هجرة الإخوان مع أن هناك أسماء أخرى أكثر أهمية في تراتبية الجماعة من الناحية التنظيمية والحزبية إلا أن (أبوية) مناع القطان الروحية للتيار الإخواني في السعودية جاءت بفضل عدد من العوامل أبرزها تأسيسه للشرعية الإخوانية داخل المجتمع العلمي السلفي المغلق والمستعصي على الاختراق.

هذا الاستنبات للشرعية الإخوانية لم يكن للقطان أن ينجح فيه لولا عوامل عديدة اجتمعت في شخصيته العلمية :

- تتلمذه مبكراً على الشيخ عبدالرزاق عفيفي (1907-1994) عضو هيئة كبار العلماء في السعودية الذي شغل منصب نائب المفتي ، والرئيس العام لجماعة أنصار السنة النبوية المصرية وكان أحد أبرز المؤثرين في المشهد العلمي الديني في السعودية لا سيما إذا علمنا أن جميع أعضاء هيئة كبار العلماء باستثناء الشيخ عبدالعزيز بن باز هم من تلاميذه الذين تلقوا عنه بصفة منهجية أكاديمية أو من خلال الدراسة التقليدية.

- علاقة القطان بالشيخ عبدالرزاق عفيفي مبكرة حيث تعود أصولهما إلى قرية شنشور بمحافظة المنوفية في مصر، وقد درس عليه في المعهد الديني التابع للأزهر لينتقل لاحقا إلى كلية أصول الدين في القاهرة، ومع تلقيه عن عفيفي وملازمته الدائمة له في بلده الأصلي ،عاد فالتقى به حين تم تعيين الشيخ مناع للتدريس في كلية الشريعة ، وفي المعهد العالي للقضاء بالرياض.

- تخصصه العلمي : أحد أهم العوامل التي هيأت له الحضور القوي في المشهد السلفي حيث تخصص في التفسير وعلوم القرآن باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وعرف بعنايته بالإعجاز التشريعي وعلاقته بتأسيس الحضارات ، في وقت كان التيار السلفي بشكل عام قد انحاز إلى الإغراق في علوم السنة رواية أو في التفاصيل الفقهية داخل المذهب الحنبلي والتخريج عليها.

- التجربة الحزبية : مع التسليم بمكانة الشيخ مناع العلمية إلا أن من الأسباب التي هيأته لنقل تجربة الإخوان إلى السعودية هو تاريخه مع الجماعة حيث التحق بها أثناء دراسته، وعمل في صفوفها في محيط الطلاب والوعظ والإرشاد ، بل انتخب رئيساً للطلبة بكلية أصول الدين، وقد شارك في نشاط الإخوان الوطني سنة 1946م في التصدي للاستعمار.

كما شارك في التطوع للجهاد في فلسطين سنة 1948م، وقد دخل السجن بعدها، كما شارك في المقاومة السرية ضد الاحتلال الإنجليزي في منطقة قناة السويس سنة 1951-1952م، وكل هذه المشاركات كانت من خلال جماعة الإخوان المسلمين وشبابها.

سعودة التجربة

وكما كان الشيخ مناع القطان نشطاً وحاضراً في مصر ،كذلك كان شعلة متقدة في السعودية منذ أن غادر مصر سنة 1953م إلى السعودية للتدريس في مدارسها ومعاهدها حيث انتقل للتدريس في كلية الشريعة بالرياض ، ثم في كلية اللغة العربية ، وحين افتتح المعهد العالي للقضاء عام 1967 أصبح عضواً في مجلس المعهد ثم أميناً لسر المجلس ثم مديراً له، إلى جانب عضوية هيئة التدريس بدرجة أستاذ ثم مديراً للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود..يضاف إلى ذلك عضويته في كل من مجلس جامعة الإمام والمجلس الأعلى لهذه الجامعة سابقاً.. ثم رئاسة اللجنة العلمية لكلية البنات ، وكذلك إشرافه على مواد التشريع الإسلامية بكلية قوى الأمن الداخلي ، ثم عضويته في مجلس الإدارة لمدارس الرياض، كما اختير عضواً في اللجنة الفرعية للتعليم بالمملكة العربية السعودية عندما صدر الأمر الملكي بتشكيلها ، لوضع السياسة التعليمية. ومن مهام هذه اللجنة النظر في مناهج التعليم بمراحله المختلفة ، وصياغتها صياغة جديدة تنبثق من السياسة التعليمية العليا، وتراعي أحدث النظريات والأساليب التربوية ، وقد اختارته هذه اللجنة الفرعية للتعليم مقرراً لها.

ولا شك أن هذه المسيرة الحافلة بالعمل والإنجاز انعكست على طبيعة القطاعات التي انتسب إليها الشيخ مناع ومنحها من رؤيته الفكرية والتربوية المؤسسة على فكر الإخوان المسلمين، وإن كان أكثر النتائج وضوحاً للعيان في مناهج التعليم التي صبغت في مرحلة الثمانينيات الميلادية

بصبغة إخوانية لا سيما تلك المناهج التي ألفها مناع القطان أو محمد قطب وهو الأمر الذي تم تغييره لاحقاً لتعود المناهج إلى الفكر السلفي صياغة وتحريراً مع بعض التعديلات العصرية على مستوى الشكل والمضمون استجابة للكثير من النقد الذي طال تلك المناهج ورغبة في إصلاحها[25].

مأسسة التنظيم

أبوية مناع القطان الروحية للتيار الإخواني لا تجعلنا نربط وجود التنظيم بشخصه كما هو الحال فيمن يتحدث عن الارتباط التنظيمي الهرمي في الجماعات والأحزاب التقليدية ، فالوضع أكثر تعقيداً بالنسبة للمشهد السعودي بحكم أن ثمة امتداداً داخل مؤسسات التعليم والجمعيات الخيرية، لذا فالوجود الإخواني في معظم الجامعات السعودية جاء بناء على وجود حاجة في استكمال الهياكل الإدارية والأكاديمية أكثر من كونه استقطاباً سياسياً واعياً.

كما أن هذا الوجود الإخواني انتقل إلى المؤسسات ذات الصبغة الدعوية وهي المجال الأرحب للعمل وفق أفكار الإخوان، مع الحذر الشديد من الخروج عن السياق السلفي أو المساس به، ومن أهم هذه المؤسسات غير الرسمية «الندوة العالمية للشباب الإسلامي» التي ما زالت محسوبة

(25) فيما يخص مسألة المناهج ونقدها يمكن العودة إلى بحث عبدالعزيز القاسم وإبراهيم السكران في نقد المناهج وقد فتحت ورقتهما الجدل على مصراعيه حول المناهج وكانت حديث الإعلام في تلك المرحلة ، في الضفة الأخرى ساجل الإسلاميون هذه الورقة بعشرات الردود والمؤلفات يمكن الاطلاع عليها في موقع صيد الفوائد على الرابط: http://www.saaid.net/manahej/index.htm

على الإخوان. كما أسس عدد من الإخوان مجموعة مدارس ودور نشر وإصدارات صحافية استوعبت عدداً كبيراً من كوادرهم.

رأس مال الدعوة

في الجانب الإقتصادي يرى الباحث المصري حسام تمام أن مشاركة الإخوان في الداخل السعودي امتد إلى النشاط الإقتصادي حيث استوعبت السوق السعودية عدداً من مشاريع الجماعة بواسطة (عبد العظيم لقمة، يوسف ندا ومصطفى مؤمن... وغيرهم من الإخوان الذين أسسوا عدداً من الشركات العاملة في قطاع البناء والتشييد غالباً بحكم التوسع العمراني الذي ساعدت عليه الطفرة البترولية والارتفاع الهائل في أسعار النفط بعد حرب 1973[26].

تأثير متبادل

لم يكتف الإخوان المسلمون بالحضور في المشهد السعودي فقط ؛ لكنهم أيضاً تاثروا بالتيار السلفي السائد، لا سيما المنتمين لجماعة الإخوان من السعوديين وحتى من المصريين، حيث أصبح مع الحديث عن الأمة وأسلمة المجتمع ونقد الأنظمة العربية جنباً إلى جنب الحديث عن العقيدة السلفية ومحاربة الشرك والقبورية، وارتأى الإخوان أن ثمة

---

(26) مقال حسام تمام الإخوان والسعودية منشور بموقع إسلاميون.

في السلفية امتيازا (توحيدية) يمكن الإتكاء عليها في دعوتهم إن على مستوى العقائد أو التشريعات العامة المتصلة بالنواحي الإجتماعية، ذابت الفوارق الإخوانية والسلفية تقريباً؛ فأصبح الموقف من قضايا تحكيم الشريعة ومثيلاتها رديفاً للموقف من القضايا الفقهية التي تدعم التشدد الإجتماعي كالحجاب والموقف من الفنون -عدا استثناءات قليلة- كانت تجابه بأنها اختيارات شخصية لبعض الإخوان ولا تمثل الجماعة.

تسييس الحالة السعودية

إلا أن تأثير الإخوان كان أكبر حيث دخل الإسلاميون السعوديون بفضل الإخوان بوابة السياسة وقضايا الهوية وحمل هم الأمة من أوسع الأبواب وأعرضها ، دعم ذلك انتشار مصادر تلقي الجماعة من الكتب والأبحاث والأشرطة السمعية ؛ حتى مذكرات شخصية لشخصيات إخوانية كانت تحكي ما يلاقيه الإخوان على أيدي الأنظمة السياسية التي اصطدموا بها من صنوف العذاب والقهر.

وفي مقابل هذا الانتشار والحضور لم يكترث الإخوان المسلمون بالإعلان عن كوادر الإخوان من السعوديين ، خوفاً على نبذهم من السياق السلفي أكثر من خوفهم من ردة فعل السياسي، إلا في مراحل تاريخية معينة تأزم فيها وضع الإخوان ، وبرزت على السطح تيارات سلفية مناهضة لفكر الإخوان كتيار السرورية الذي أذاق الإخوان الأمرين حيث (عانى التيار الإخواني صراعا طويلا وخفيا مع التيار "السروري" الذي

كان يحاول الجمع بين عباءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين «بنطال» سيد قطب ومحمد قطب. وتنوع هذا الصراع بين تبادل التهم والتقارير الإستخبارية وبين جذب الشباب والشرائح الاجتماعية)[27]. وتيار ما عرف بالجامية التي كان لها الفضل الأكبر بالتحذير من الإخوان ، بل واعتبارها جماعة بدعية مخالفة للإسلام ، وكان للشيخين محمد أمان الجامي وربيع بن هادي المدخلي جهود حثيثة جداً في الكشف عن ما أسموه «مخططات تدميرية» من قبل الإخوان المسلمين وعزوا تحذيراتهم تلك إلى خبرة شخصية حيث صرح الجامي أنه كان متعاطفاً لفترة مع الإخوان وعلى علاقة حسنة برموزهم ؛ وأكثر منه تصريحاً الشيخ ربيع الذي قال إنه انتمى للجماعة في شبابه قبل أن يكتشف ضلالها.

علاقات حذرة

على مستوى العلاقة مع السلطة ، كانت الجماعة دائماً على حذر شديد في التصريح ضد المملكة إلى ما قبل حرب الخليج؛ بل أكثر من ذلك حرصت الجماعة ممثلة في تصريح مرشديها المتعاقبين على الإشادة بدور المملكة الإسلامي ودعمها للصحوة الإسلامية حتى خارج نطاق الدولة، صحيح أنها لم تكن في يوم ما في نظر الجماعة نموذجاً للتصور الإسلامي وفق الصحيح وفق رؤيتها السياسية إلا أنها كانت حريصة على عدم ثلم التعاطف والدعم، وتم تداول أن الجماعة كانت حريصة على عدم ذكر

(27) انظر مقالة عمر العزي التاريخية ‹الإخوان السعوديون›.. التيار الذي لم يقل كلمته بعد موقع العصر، وكان قد كتبه أصلاً في موقع الأحرار المحسوب على إخوان السعودية والذي توقف بعد ذلك.

أي من الإخوان السعوديين في خطاباتها، فضلاً عن كونها لم تفكر على الإطلاق في تأسيس حزب معلن على غرار ما حدث في دول الخليج الأخرى، ليس فقط لطبيعة النظام السياسي المحافظ، بل خوفاً من أن يسبب ذلك مزاحمة للتيار السلفي العريض المبني على مفهوم «البيعة».

لمن تؤخذ البيعة؟

بناء على تلك الحساسية الإخوانية من نقل التجربة بالكامل على الأراضي السعودية طفت على السطح مسألة (البيعة) للمرشد العام وهو أحد أهم عقود الولاء للجماعة فتم الإنقسام حيال تلك الفكرة إلى فريقين:

الفريق الأول

ويمثله القيادات الإخوانية التي حملت الجنسية السعودية لاحقاً كالشيخ مناع القطان والشيخ عبدالفتاح أبو غدة ومنير الغضبان وآخرين يرون بأن ثمة فرق بين البيعة الشرعية التي تمنح لخليفة المسلمين ، وبين البيعة التنظيمية الحركية التي هي أقرب إلى العهد والمواثيق منها إلى عقد الطاعة وأن وجود مثل هذه البيعة مهم جداً لكوادر الجماعة للتمييز بين العاملين وفق منهج الجماعة الحركي وبين المتعاطفين مع فكر الجماعة، وقد استعان كوادر الإخوان السعوديون بالعديد من الدراسات والنقولات عن ابن تيمية أتت من تجارب الإخوان الخليجيين أو من التنظيمات غير الإخوانية التي لم تكن تجد حرجاً في مسألة البيعة ، وأبرز تلك الدراسات

التي كان يتم تداولها في صفوف شباب الإخوان في السعودية ، كتاب الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق (مشروعية العمل الجماعي)[28].

الفريق الثاني

ويمثله أغلبية الإخوان السعوديين الذين انضموا إلى الإخوان في نشأتهم المبكرة أو انضموا لاحقاً قادمين من التيارات السلفية الأخرى حيث كان هؤلاء معجونين بالأفكار السلفية السائدة حول مسألة البيعة وارتباطها بالولاية الكبرى ، وكانوا يرون أن طرح مسألة البيعة محرج لهم وقد يسبب في نبذهم من قبل التيار السلفي التقليدي أو يعرضهم لإشكالات سياسية، واكتفوا بتأييد موقف الإخوان من العمل الجماعي وقضايا التنظيم الإداري وتبنوا مواقف الإخوان غير السلفية فيما يخص العمل الدعوي أو الموقف من الدول والتنظيمات والمسائل الاجتماعية.

الثورة الملهمة

ظلت هذه العلاقة الإيجابية بين الإخوان المسلمين وبين السلفية من جهة والسلطة السياسية حتى كدرت مزاجها أحداث سياسية إقليمية ودولية كان من أبرزها قيام الثورة الإيرانية عام 1979 التي أبهجت الجماعة معتبرة أن التجربة هي تجربة إسلامية وإن كان ثمة خلاف عقدي مع الثورة

(28) رسالة عبدالرحمن عبدالخالق أثارت الكثير من الجدل والردود حين صدرت في الثمانينات، انظر تقريراً مفصلاً عنها في:
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&pagename=Zone-Arabic-Daawa/DWALayout&cid=1176271689537

الإيرانية ، بل قاموا بإرسال وفد من الإخوان لزيارة إيران والمباركة لقادة الثورة الإيرانية على الإنجاز الكبير ، وكان إخوان المهجر هم أكثر الناس فرحاً بقيام الثورة لما شكلته من تحد وصدمة كبيرة في الأوساط الغربية من جهة ولتحررهم من حساسية الإخوان في البلدان السنية من جهة ثانية، لذا كان الإتحاد العالمي للطلاب المسلمين التابع للجماعة من أكثر المبادرين لدعم الصلات مع إيران. وبناء صلات مع حركة الطلبة في إيران من خلال الاتحاد العالمي للطلبة المسلمين التابع للجماعة.

والباحث عن هذه الفترة الهامة والحرجة في تاريخ علاقة الإخوان بالخليج وبالسعودية تحديداً لا يفاجأ كثيراً بموقف الإخوان هذا الذي أغضب الأنظمة العربية السنية ومنها السعودية لما يمثله من اختراق لأحد أكثر التيارات الإسلامية قوة وحضوراً ، ذلك أن العلاقة مع إيران ما بعد الثورة ظلت علاقة شائكة وخفية.

علاقات معقدة

الإشكالية في تلك العلاقة تبدأ ولا تنتهي من حيثيات متعددة لعل من أبرزها أن هوية جماعة الإخوان المسلمين هي هوية سنية على مستوى البنية العقائدية ومع ذلك فقد كانت تتمتع بعلاقة جيدة وحيوية مع أبرز المراجع الشيعية آنذاك، على الأقل على مستوى المركز أي الجماعة الأم في مصر ، ولعل أبرز ما ساهم في إنجاح تلك العلاقة أن مؤسس جماعة الإخوان المسلمين الأستاذ حسن البنا كان أحد أهم الناشطين في لجان التقريب بين السنة والشيعة ، ولاحقاً جرت مياه الساقية بخلاف ما كان يخطط له.

وضعفت تلك العلاقة بعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية بالرغم من أن الجماعة كانت من أكثر المؤيدين للثورة الخمينية ، والآن ثمة بوادر كثيرة لإعادة ذلك التقارب التاريخي إلى حيويته السابقة وذلك عبر بوابة " حماس " التي ترى في النظام الإيراني " المخلص" من مأزق الحصار السياسي والاقتصادي في ظل عدم رغبتها للتنازل عن ايدلوجيتها التي باتت تشكل عائقاً في نظر الحكومات الغربية وحجر عثرة أمام مفاوضات التطبيع والحل الشامل الذي بات قناعة لدى العديد من الدول العربية.

وكما كانت إيران ترى نفسها قلب العالم الإسلامي الشيعي، فإنها كانت ترى في جماعة الإخوان في مصر أحد أهم مراكز القوة في العالم السني، لما يشكله كلا البلدين من ثقل سكاني وإرث حضاري وموقع جغرافي متميز، يضاف إلى ذلك وجود شخصيات مصرية تشيعت مبكراً حتى قبل ما عرف بمرحلة تصدير الثورة ، كما أن بين الفكر الإخواني وفكرة الثورة الإيرانية العديد من نقاط الإلتقاء لا يمكن إنكارها أبرزها: الإيمان بالفكرة الوحدوية، الموقف المشترك من أغلب القضايا القومية ، الموقف المتطابق من القضية الفلسطينية، ففي إطار الفكر الوحدي فإن الإخوان لا يحملون موقفاً مضاداً للتشيع كالحركات السلفية وفي هذا السياق يمكن الاستشهاد بأقوال العديد من قادة الإخوان وعلى رأسهم المؤسس حسن البنا مفادها التسامح مع التشيع واعتبار أنه من الخلاف في الفروع.

كما أن نقد القومية مثلاً هو أحد عوامل المشترك الفكري بين الإخوان وإيران؛ فهي سبب سقوط الخلافة الإسلامية وضياع فلسطين

وأيضاً هي من دعمت نظام الشاهنشاه كما مهدت الطريق للأفكار الغربية لتتخذ طريقها إلى الجسد الإسلامي كالاشتراكية الملحدة من وجهة نظر الطرفين.

صحيح أن وقوف الإخوان لاحقاً مع صدام وأيضاً عدم إيمانهم بالمعسكر الشرقي الداعم لعبدالناصر عدوهم اللدود كان أحد أبرز نقاط الخلاف إلا أنه يمكن القول أن نقطة الخلاف المركزية بين الفكرين هو الاختلاف في الإصلاح وطريقة التغيير بين الثورية الإيرانية وبين المحافظة الإخوانية ؛ فالإخوان من وجهة نظرهم م يكونوا يوماً ما حركة انقلابية بل قامت حركتهم على أساس التغيير التربوي من خلال تحويل السلوكيات غير الإسلامية لأفراد المجتمع وهي ما بات يعرف لاحقاً بأساليب العمل السلمي ، أما الحركة الإسلامية الإيرانية فإنها لم تزل تسخر من ذلك الأسلوب الإصلاحي الذي لم يقدم شيئاً يذكر بعد قرابة القرن على انطلاقه وهنا يورد المؤلف تساؤله على لسان الذهنية الإيرانية: أليس ذلك ثمناً باهضاً أن يمضي كل هذا الوقت الطويل على حركة الإخوان دون أن تغير الحكومات وتكتفي بخلق قاعدة جماهيرية عريضة ؟.

لكن الإيجابية تسود العلاقة بإيران اليوم بعد امتلاكها للسلاح النووي ومقارعتها للولايات المتحدة وتقهقر قوة ونفوذ السياسية المصرية[29].

---

(29) في العلاقة بين الإخوان وإيران أغلب هذه المعلومات مستمدة من أطروحة أكاديمية "إيران والاخوان المسلمين لعباس خامه يار 2 1997م مركز الدراسات الإستراتيجية للبحوث والتوثيق.

العودة للديار

وإذا كانت العلاقة بين الإخوان وإيران قد أزمت الوضع كثيراً فيما يخص علاقة الجماعة الأم بالمملكة ؛ فإن إخوان السعودية نجحوا كثيراً في استغلال هذه الفجوة للتأكيد على استقلاليتهم وأن رؤيتهم السياسة ليست بالضرورة متطابقة مع رؤية الجماعة الأم ، وهي مسألة طويلة تتعلق في حدود العلاقة بين الجماعة المركزية وبين امتداداتها العالمية ، ولم يكن إخوان السعودية بدعاً من سائر إخوانيٍّ العالم ؛ حيث يجد الباحث مثل ذلك التقاطع بين الإخوان وحماس وإخوان الأردن حتى إخوان الخليج ، وكان من آثار هذا التقاطع أن دعا المفكر الكويتي المتجاوز لفكر الإخوان عبدالله النفيسي إلى حل كل التنظيمات القُطرية للإخوان المسلمين في مبادرة شهدت الكثير من الجدل.

استقلال الأخوان السعوديين

عزز إخوان السعودية نجاحهم في الاستقلالية الجزئية بأن كانوا المبادرين إلى دعم موقف المملكة من حرب أفغانستان ووقوفها الكامل وتأييدها آنذاك للمجاهدين في أفغانستان، فهب الإخوان من كل مكان لنصرة القضية الأفغانية وحشد إخوان السعودية كل طاقاتهم باتجاه دعم القضية في موقف منقطع النظير، وهنا سجل الإخوان موقفاً تباطأ فيه منافسوهم في الساحة السعودية وهم فريقان:

- (السرورية) وكان موقفهم المعلن والمضمر هو حصر الدعم لقضية أفغانستان بالدعم المعنوي فقط دون النصرة التي تقتضي الإيعاز

إلى الشباب المنضوين تحت لوائها بالقتال ، وسجل الدكتورسفر الحوالي موقفاً أربك الساحة السعودية آنذاك حيث قام وفي درسه الشهير في شرح العقيدة الطحاوية بالرد على كتاب الشيخ عبدالله عزام (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) معتبراً أن ما يجري لعبة أمريكية الصنع وأن الأفضل للشباب هو التفرغ لطلب العلم والدعوة مع دعم المجاهدين مالياً ومعنوياً ، حتى إن التيار الجهادي في الإخوان المسلمين دشن حملة تشويه كبيرة وجهت للدكتور سفر الحوالي وبلغت ذورتها حين سرت أنباء عن أن بعض الشباب الجهادي المتحمس كان مستعداً لتهديد حياته.

- (السلفية العلمية) وبالأخص تيار طلبة العلم وأهل الحديث الذين كانوا يرون أن الساحة الأفغانية ليست بساحة جهاد شرعي ، وبالتالي فهي كما يطلق عليه في التعبير الشرعي راية غير نقية،هذا التعليل جاء بناء على تقارير قدمها عدد من طلبة العلم الذين سافروا إلى أفغانستان بهدف القتال لكن خابت آمالهم حين وجدوا أن تلك الأساطير التي كانت تروى عن المجاهدين لم تلامس الواقع من قريب أو بعيد عدا أن كثيراً من الأفغان كانوا بعيدين تماما عن فهم العقيدة السلفية التي لها مقام الأولية في التراتبية الدينية ، فلا جهاد دون عقيدة ولا يمكن القتال تحت راية ليست بنقية.

صراع الرايات

صحيح أن هذا الجدل ضمر تماماً في هذا القطاع من السلفيين بسبب بروز جبهات كانت ترفع شعار الدعوة السلفية ومن أبرزها جماعة

الشيخ جميل الرحمن، إلا أنها سرعان ما اصطدمت ببقية الجماعات الأفغانية مما أدى إلى نشوب حرب أهلية دامية بين الفريقين فانتقل الموقف من التحفظ على الجهاد الأفغاني بسبب غياب الأولوية العقدية إلى تحذير من السفر والقتال بحجة حقن الدماء وعدم المساهمة في قتل المسلمين ، ومن ثم جرت في الساقية مياه كثيرة أثمرت انفصال الشأن الجهادي برمته عن الدعوي والشرعي لتنشأ ما سمي لاحقاً بالسلفية الجهادية وقابله تنظيم القاعدة ونظيراتها ممن كانت أصولها إخوانية لم تكترث كثيراً بتلك الأولويات.

حرب الخليج

تغير الحال لاحقاً فالإخوان في بداية عقد التسعينات تحولوا إلى قوة ضاربة على مستوى الانتشار والحضور ، لكن كان ينظر إليها بكثير من الريبة بسبب ظهور حركات ترفع لواء السلفية (السرورية / الجامية) وهما العدوان اللدودان اللذان اجتمعا على بغض الإخوان وعدائهم بشكل تنافسي ليظفر كل منهما بكعكة الشرعية في تمثيل الخطاب السلفي المحلي.

جاءت حرب الخليج لتلقي بظلالها الكثيفة على مشهد بات أكثر تعقيداً حيث نحن بإزاء جماعات وصراطات لا تبدو مستقيمة من وجهة نظر كل فريق ، إلا أن رفض الإخوان الهزيل لغزو الكويت ومطالبة العراق بالانسحاب كان في مقدمة لوضعية جديدة مكنت الجماعة من الخروج من صمتها الطويل لتؤكد رفضها فكرة الاستعانة بالقوات الأجنبية والتنديد

بوجودها في السعودية وهو الموقف الذي جاء صريحاً ومباشراً من قبل الجماعة الأم وامتداداتها في بيانات حملت لأول مرة لهجة متصلبة ونفساً استعدائياً ، جعل موقف إخوان الخليج - باستثناء إخوان قطر الذين دعموا العراق- بالغ الحرج وبالأخص إخوان الكويت الذين احتجوا عن على تخلي الجماعة عنهم ، وإخوان السعودية الذين أصيبوا بذهول شديد عدا أن كثيراً من كوادرهم كانت قد تحولت بفضل التجربة الأفغانية إلى جهاديين وحتى خصومهم من تيار الإسلام السياسي كالسرروية مثلاً كانوا قد وقفوا ذات الموقف المتصلب.

في الضفة الأخرى

في هذه الفترة الحرجة كان الهجوم على فكر الإخوان في السعودية على أشده باعتباره فكراً بدعياً دخيلاً ، ولم يكن الهجوم هذه المرة سياسياً كما كان متوقعاً بقدر ما كان معبرا عن فقدان الإخوان لشرعيتهم الدعوية في الميدان وتعملق خصومهم من التيار الجامي وأصبحت تلك التنبوءات والمؤامرات التي كانوا يتداولونها في فترة الصراع على أفغانستان شائعة حتى لدى التيار السلفي العريض الذي كان يرى في الجامية مصدراً غير أمين بسبب التشكك في مصداقيته.

هطلت فتاوى تجريم الإخوان وكتيبات التحذير من الجماعات المحدثة في كل مكان وأصبح التحذير من الحديث عن الانضمام إلى جماعة الإخوان أو مدح رموزها أمراً محرماً بعد أن كان سائغاً قبل ذلك

حتى في المناهج التعليمية أو المحاضرات الدعوية أو في الاستشهاد برموز وكتابات الإخوان.

وبإزاء تهشم شرعية الإخوان في الأوساط الدينية في السعودية تضخمت أدوار جماعات العنف المسلح وأبرزها القاعدة وكان من السهل على خصوم الإخوان الإشارة إلى انتساب كثير من رموز القاعدة وكوادرها إلى الإخوان ولو في فترة مبكرة لم يكن الجهاد (بمفهومه في المرحلة الأفغانية) جريمة، مما ضاعف من تراجع صورة الجماعة، إلا أن لواذ إخوان السعودية بالصمت وتنكرهم لأي انتساب للجماعة وفي أحسن الأحوال يتم الإشارة إلى إيجابيات الجماعة وحسناتها التاريخية في مشهد لعب فيه تيار السلفية العلمية بتنوعاته وتيار الجامية بالأخص دور محاكم التفتيش عبر تتبع واتهام مشايخ ودعاة بأنهم من الإخوان عطفاً على مجرد ذكرهم لسيد قطب أو حسن البنا في محاضرة أو كتاب، وأصبح نتاج هذا التيار مجرد قائمة من النقولات والاقتباسات عمن نسبوا إلى الإخوان مع إيراد فتاوى العلماء الكبار تجاه الجماعات وهي فتاوى لو تتبعنا سياقها التاريخي لوجدنا أنها حديثة ومرحلية كانت مواكبة تماماً لمواقف الإخوان السياسية.

الصدام السياسي

الحديث عن الإخوان بشكل رسمي ومعلن جاء مع تصريحات[30] وزير الداخلية الأمير نايف بن عبدالعزيز الذي ألقى باللائمة في مشكلة

---

(30) تصريحات الأمير نايف كانت في مناسبات عديدة وكان من أصرحها حواره المطول مع جريدة السياسة الكويتية.

العنف على فكر الإخوان دون أن يسمي أحداً من السعودية، وذهب الأمير نايف إلى أن كثيراً من أزمات العالم الإسلامي فيما يخص ملف التطرف والعنف كانت بسبب فكر الإخوان الصدامي(31).

وذكر من قادة الإخوان المسلمين في الخارج حسن الترابي وراشد الغنوشي وعبد الرحمن خليفة ونجم الدين أربكان، متهما إياهم بأنهم ناصبوا المملكة السعودية العداء أثناء حرب الخليج عام 1991..

وقد تحدث الأمير نايف بصراحة بالغة عن علاقة الإخوان بالمشهد السعودي حيث ذكر أنهم (من أوائل قوى الإسلام السياسي التي دخلت إلى المملكة، عندما فر العديد من عناصر الإخوان من الاعتقال في مصر في عهد عبد الناصر). الأمر الذي لم يقابله الإخوان سوى بالجحود وطبقاً لعبارة وزير الداخلية أنهم قاموا (بعضّ اليد التي امتدت إليهم بالإحسان وبأنهم لم يكونوا موالين أو حتى أصدقاء مخلصين للسعودية).

تصريحات الأمير نايف صادفت وفاة المرشد العام الخامس الأستاذ مصطفى مشهور ولم تكن الجماعة قد اختارت مرشدها الجديد، الذي مكث حتى استقرت الأمور، وأشيع أن تأجيله للرد كان بسبب حرصه الشخصي على تولي ملف العلاقة مع السعودية، خاصة وأن المستشار مأمون

---

(31) فيما يخص تصريحات الأمير نايف انظر بحث غراهام فولر الأمير نايف والإخوان في موقع الجزيرة:
-9112-41C8-4F67-http://www.aljazeera.net/NR/exeres/4939E393
46CDC1B04BFA.htm

الهضيبي كان على صلة وثيقة بملف العلاقة مع السعودية ، ويذكر الإخوان أنفسهم أنه كان مستشارًا خاصًا للأمير نايف أثناء وجوده بالمملكة[32].

تلطيف الأجواء

رد المستشار مأمون الهضيبي كان متوقعاً حيث استطاع بدبلوماسيته المعروفة عنه وبحرصه على بقاء العلاقة جيدة أن يكون هادئاً في رده إلا أنه في ذات الوقت نفى بشدة أن يكون الإخوان أو أي فصيل في الجماعة الأم قد أساء إلى المملكة، واستدل على ذلك بأن عدم طرد أي شخص من المملكة من الإخوان هو أكبر دليل على ذلك، وهو أمر غريب يفترض أن الرد السعودي حيال الإساءة يستلزم الإبعاد!

لكن المهم في رد الهضيبي هو تأكيده على أن جماعة الإخوان تعي تماماً الخطوط الحمراء جيداً وتراعي الخصوصية السعودية، حيث ذكر أنه على مدى تاريخ الجماعة الطويل لم تحاول أبداً تكوين أية تشكيلات إخوانية في الداخل السعودي باعتباره كما يقول الهضيبي خطأً أحمرَ لطالما التزم به الإخوان المسلمون.

دبلوماسية الهضيبي لم تمنع عصام العريان أن يرسل الاتهامات الحادة دون أن يسمي أحداً حيث صرح في حوار جريء مع صحفية قدس

(32) انظر مقال إبراهيم غالي بموقع الإسلام أون لاين بعنوان : استراتيجية أمريكا للتعامل مع الإسلام
http://www.islamonline.net/Arabic/news/article03.shtml/20/04/2005

برس أن (أطرافا مؤثرة في القرار السعودي تحاول زرع الفتنة بين الحكومة السعودية وجماعة الإخوان المسلمين خدمة لأجندة أمريكية، وأكد أن التباينات في المواقف السياسية لا تعكس عداء للملكة العربية السعودية.. مؤكداً أن بعض الأفراد داخل الأسرة الحاكمة وأطراف "علمانية متخرجة من الجامعات الأمريكية"! لها تأثير على القرار السعودي هي التي تثير الفتنة دون أن ينسى العريان في خضم اتهاماته أن أولئك يقومون بناء على رغبتهم في خدمة مصالح الأمريكيين والاسرائيليين، فهؤلاء يعملون لمصلحة الأجندة الأمريكية وضد المصلحة السعودية والعربية والإسلامية)[33].

صمت الحملان

وبين حديث الأمير نايف ورد الهضيبي المتودد، واتهامات العريان المتشنجة ، طال صمت إخوان السعودية أمام هذه التصريحات ، لم يكن صمت الحكمة أو حتى فقدان الأمل بقدر ما كان صمت الحيرة التي تملكتهم ذلك أنهم في العادة كانوا قلقين جداً من شرعيتهم الدعوية التي لطالما انتهكت بفعل فتاوى وردود التيار السلفي السائد؛ إلا أنهم كانوا جذلين بأن هذه التيارات السلفية تعبر عن نفسها وأن كل هذا الخلاف يظل داخل البيت السلفي الذي يرقدون بخجل عند بوابته، إلا أن انتقال الجدل حول مشروعيتهم السياسية وعلى لسان شخصية محورية كوزير الداخلية سبب الكثير من الحرج، وكانت هناك مطالبات عديدة على الإنترنت وبصوت

---

(33) انظر حوار عصام العريان مع جريدة قدس برس بتاريخ 2008/12/02.

عال أن يتم حسم الجدل حول ارتباطهم بالجماعة الأم التي يزداد ضعفها كل يوم بسبب انكماشها وتمركزها على الحالة المصرية واستنفاذ طاقتها في معركتها حول وضعها في المشهد السياسي المصري بعد ولادة أحزاب منافسة، كـ (كفاية) وبعد ظهور ملف التوريث والانتخابات كاستحقاق سياسي مصيري ينتظرهم ، وهو الأمر الذي لا يعني كثيراً إخوان السعودية.

كسر القيود

خرج الإخوان من صمتهم مع تفاقم الوضع في غزة حيث خرجت بيانات منددة بما يجري في غزة، وأصبح نصرة حماس كفصيل إخواني أكثر من كونه ممثلاً للمقاومة حتى في الخلاف الدموي والسياسي مع فتح كان الإخوان في السعودية وعبر بيانات ومقالات مطولة تكتب على الإنترنت يدعمون حركة حماس كما يعتبرون أن المعركة هي بين مقدسين ومدنسين، وتوج هذا الحماس الإخواني بفتوى لشخصية تنسب للإخوان بإباحة دم أي إسرائيلي حتى لو كان مدنياً[34].

استمرت الأزمة بين جماعة الإخوان المسلمين وبين السعودية على حالها ، بل ودخلت في حالة سكون ساهم الإخوان في تكريسها بعدم التعرض

---

(34) لفتوى للدكتور عوض القرني الذي أعلن مؤخراً عن قيام الحكومية المصرية بإدانته بجمع أموال للتنظيم في حين أنكر صلته بذلك ، وقبلاً بفترة ليست بالطويلة أنكر في حوار مع عبدالعزيز قاسم" ببرنامج البيان التالي" أن يكون إخوانياً أصلاً ، وينظر في "رصد أثر قضية غزة على الإخوان" مقال فارس بن حزام : انتفاضة الإخوان المسلمين في السعودية. جريدة الرياض 20 يناير 2009، وله ويقول ابن حزام : هي ليست تهمة؛ بل شرف.. لكننا في السعودية لا توجد الحاجة للانضمام للتنظيم الدولي للاخوان المسلمين ولا غيره من التنظيمات الاسلامية، اما جماعة الاخوان المسلمين فهي جماعة تاريخها مشرف في الإسهام في حفظ هوية الامة والدفاع عن قضاياها ومصالحها. موقع علماء الشريعة على الإنترنت
http://www.olamaashareah.net/nawah.php?tid=7679

للسعودية بشكل سلبي حتى في المواقع الإلكترونية الناطقة باسم الجماعة في حين أن النقد عادة ما يأتي بصيغ تعميمية إلى أن تفجرت الأوضاع مجدداً مع حرب السعودية ضد جماعة الحوثي، الذي مع دعوته لعودة الإمامة والزيدية في صورتها التقليدية ، كان قد انضم إلى جماعة الإخوان واستفاد كثيراً من فكرهم قبيل تأسيسه لتنظيمه الخاص الذي يشبه الطابع المؤسسي هرميةً وطريقةً تنظيم الجماعة.

تدخلات سيادية

الإخوان طالبوا هذه المرة عبر بيان باسم المرشد العام بوقف القتال مع الحوثيين فوراً مع التسليم بحق المملكة في الدفاع عن نفسها ، وهما أمران متناقضان إلا أنه يمكن استنباط حالة الارتباك التي عانتها الجماعة في هذا الموقف لا سيما وأنها لم تعد ترغب بفتح جبهة جديدة مع السعودية وفي نفس الوقت كانت تواجه ضغوطاً كبيرة من قبل جناح الصقور في الجماعة المتعاطف مع قضية الحوثي ، علل المرشد هذه الازدواجية بأن دور السعودية أكبر من ذلك بكثير؛ وهو دور الإصلاح بين المتخاصمين، ورأب الصدع بين المتقاتلين، وليس الاستدراج إلى دخول ساحة المعارك[35].

هذه التطورات في العلاقة بين الإخوان والسعودية يرى الإخوان أنفسهم أنها سحابة صيف سرعان ما تنقشع بينما يرى آخرون أن أنها بداية تصحيحية لمسار العلاقة، وأن ذلك جزء من وعي عام لدى كثير من الأنظمة التي تعاطفت ودعمت الإخوان في مرحلة ما ، إن لم يكن عن قناعة

(35) انظر نص البيان بالكامل في موقع إسلام أون لاين وفي الصحف الصادرة 8 نوفمبر 2009.

راسخة فعلى الأقل بسبب ملفات واستحقاقات دولية وواقع جديد تعيشه حركات الإسلام السياسي ، ويؤكد اللواء فؤاد علام في دراسة مطولة قدمها لندوة عن الإخوان في مصر ان هذا الإنكماش في العلاقة أمر طبيعي، لأن السعودية والكويت كانوا هم الرعاة الأساسيين لهم فى المنطقة والداعمين لهم وكون وجود توتر بين السعودية وبينهم فإن ذلك سيؤدى إلى مراجعات من الآخرين نحو الإخوان وسيكون هناك ثمة حرص وتخوف من أى تحرك للإخوان على الساحة، لأن مراجعة دولة بحجم السعودية لعلاقاتها مع الإخوان سيجعل الآخرين يعيدون النظر فى هذه العلاقة[36].

زهايمر مبكر

تبقى كل المؤشرات على أن الإخوان يعانون من الدوران حول ذات النقطة وهي محاولة خجولة لتأسيس شرعية فكرية في مشهد تتسيد فيه السلفية بتنويعاتها المشهد ، وتزداد الهوة بين الجماعة وبين السياسي الذي بدأت تترسخ قناعاته بأن الجماعة أقرب إلى التيار السياسي منه إلى الديني أو الدعوى ، ويأتي ذلك كله في ظل تقهقر الجماعة الأم وتذررها إلى مجموعة من الأجنحة الهشة - بفعل الشيخوخة وغياب الدماء الجديدة - تتصارع فيما بينها على كرسي البقاء في مملكة المعارضة المحظورة ، وهو ما يعيد إلى الأذهان اللفتة الذكية التي طرحها الدكتور النفيسي واعتبرت في حينها ضرباً من التجديف الدعوي ، حينما قال بضرورة أن تحل الجماعة

(36) من مشاركة للواء فؤاد علام في دراسة جماعة الإخوان المسلمين.. المفترى عليهم والمفترى علينا موقع شباب مصر
http://www.shbabmisr.net/XPage.asp

نفسها ، معتبراً أنها ككيان تاريخي أصبحت عبئا على الحالة الاسلامية والسياسية العربية بشكل عام.. بينما علق جمال سلطان في مجلته التي نشرت مبادرة النفيسي أن ما طرحه النفيسي "هو ترجمة لما يدور في عقول كثير من الإسلاميين".

فيما يخص إخوان السعودية تبدو الصورة أكثر قتامة حيث يلحظ المراقب تراجع حضور الأسماء التي حاولت بعث ما اندثر ، بل إن كثيراً من المواقع على الإنترنت أغلقت بناء على رغبة القائمين عليها[37].

وكما تحولت جماعة الدعوة والتبليغ في السابق إلى جسر يعبره المتدينون حديثاً ومن ثم يشق كل طريقه إما لتيارات العنف أو التيارات الحركية أو التصوف ، أصبح الإخوان محطة للانتقال إلى تيارات أخرى بسبب غياب الفاعلية.. ويظل المشهد الفكري السعودي والإسلامي على وجه الخصوص موارا بالجديد.

---

(37) من أشهر تلك المواقع التي كانت تصرح بالانتماء للجماعة موقع الأحرار وهو غير موجود الآن.

الإخوان المسلمون في الإمارات التمدد والانحسار

منصور النقيدان(*)

في السادس عشر من مايو 2010، أذاعت قناة «الحوار» حلقة من برنامج «أبعاد خليجية» وكان موضوعها (دعوة الإصلاح في الإمارات، ماذا تريد؟). استضافت الحلقة اثنين من قيادات جماعة الإخوان المسلمين في الإمارات، وكانت هي المرة الأولى التي تقرر فيها الجماعة الظهور على الإعلام المرئي لشرح أفكارها، وتوضيح حقيقة انتمائها الفكري والسياسي والعقدي.

(*) كاتب صحفي وباحث، عضو هيئة التحرير في مركز المسبار.

تتعرض الجماعة لحصار إعلامي ولتقليص مناشطها الداخلية والخارجية منذ قامت الحكومة الإماراتية بإجراءاتها الإصلاحية في عام 1994[1]. وفي السابع عشر من يوليو (تموز) 2009 أصدرت نيابة أمن الدولة العليا في مصر قائمة بأسماء ستة وثلاثين متهماً في ما سمّي بـ «التنظيم الدولي للإخوان»، وشملت القائمة ثلاثة رجال أعمال، ذكرت اللائحة أنهم من الإخوان المسلمين الإماراتيين، واتهمتهم بالقيام بتهريب أموال إلى داخل مصر، وأشار الاتهام إلى أنه قد سبق وألقيَ القبض عليهم في يناير 2009 في مطار الإسكندرية وبحوزتهم أموال تمت مصادرتها[2].

يغري هذا الاتهام من قبل المحكمة المصرية بإثارة قصة الإخوان في الإمارات، ومعرفة حقيقة وجود إخوان مسلمين في الإمارات، فضلاً عن قيامهم بأنشطة خارج الدولة.

كانت الحكومة الاتحادية قد جمَّدت جميع الأنشطة الخارجية لجمعية الإصلاح في العام 1994، أتبعتها بقرار حل مجلس إدارتها، وإسناد الإشراف على فروع المؤسسة إلى وزارة الشؤون الاجتماعية. أنهى القرار فصول قصة استمرت لما يقارب واحداً وعشرين عاماً من إنشاء الإخوان المسلمين الإماراتيين لـ (جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي) بدبي وفروعها، وهو تحول تاريخي ترجعه قيادات بارزة في الجماعة اليوم

---

(1) برنامج أبعاد خليجية.قناة الحوار 16 مايو 2010. تقديم خلف صقر.واستضافت الحلقة د.أحمد بن صالح الحمادي، وحمد الرقيط، والرقيط من المؤسسين للجماعة. بالإمكان مشاهدة الحلقة على هذا الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=qr5NSU-Aj4c&feature=related

(2) جريدة الشرق الأوسط 18 يوليو 2009، والجزيرة نت.
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/DE3D60E2-6FC-44A4-8988-03FDEB38A5.html

إلى شكوى ضد الجماعة، كانت الحكومة المصرية قد تقدمت بها، بعد زيارة للرئيس المصري حسني مبارك إلى الإمارات في العام نفسه، وبعد أن كشفت تحقيقات أجهزة الأمن المصري أن أفراداً متورطين بعمليات إرهابية من جماعة الجهاد المصرية، قد تلقوا تبرعات مالية عبر لجنة الإغاثة والأنشطة الخارجية لجمعية الإصلاح الإماراتية.

يذكر محمد بن علي المنصوري عضو مجلس إدارة جمعية الإصلاح في رأس الخيمة، وهو من قيادات الإخوان المسلمين في الإمارات، أن قرار الحكومة الإماراتية جاء بعد أن أمر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة (ت 2 نوفمبر 2004)، بتشكيل لجنة أمنية للتحقيق في صحة الاتهامات المصرية في العام 1994، وبعد ستة شهور صدر التقرير بتأكيد تسرب أموال من الجمعية إلى أشخاص متورطين في قضايا عنف على الأراضي المصرية، تبعه قرار رئاسي بحل مجلس إدارة الجمعية، وأسند الإشراف عليها إلى وزارة الشؤون الاجتماعية، وتجميد أنشطة الجمعية الخارجية، لكن حكومة دبي استجابت لالتماس قدمته الجماعة بتشكيل لجنة أخرى أصدرت تقريرها في العام نفسه يبرّئ الجمعية من التورط في دعم أي أنشطة خارجية غير مشروعة[3].

كان الدكتور عبد الله النفيسي، الأستاذ السابق للعلوم السياسية بجامعة الكويت، قد نشر مقالاً في يناير 2007[4] دعا فيه الإخوان المسلمين

---

(3) محمد المنصوري. لقاء خاص أجراه الباحث معه في 5 مايو 2009 في منزله برأس الخيمة. والمنصوري حاصل على دكتوراه في القانون الدولي العام، وهو الرئيس السابق لجمعية الحقوقيين الإماراتيين.وخطيب وإمام مسجد، وقد تولى مناصب قيادية متعددة في جمعية الإصلاح في رأس الخيمة.وستكون الإشارة لاحقاً إلى لقاء الباحث بالمنصوري بـ (لقاء)لكثرة تكرارها.

(4) عبدالله النفيسي. الحالة الإسلامية في قطر، مجلة المنار الجديد يناير 2007؛ عدد 37، المقال موجود على هذا الرابط: http://www.almanaraljadeed.com/show.asp?newid=31783&pageid=18

في الخليج إلى حل تنظيمهم، تأسّياً بما فعله نظراؤهم في قطر نهاية 1999. وذكر النفيسي، وهو صاحب تجربة سابقة مع إخوان الكويت، أنه اعتمد في ما ذكره من معلومات على ما أفضى به إليه أحد القيادات الشابة لجماعة الإخوان المسلمين القطرية، وبرر دعوته تلك بالطبيعة الخاصة للأنظمة السياسية الخليجية، التي تتوجس من أي تنظيم، وبما يعاني منه التنظيم الأم نفسه في مصر من انقسام داخلي، وجمود وتجميد للطاقات، موصياً في الوقت نفسه بتحويل الجماعة إلى تيار متعدد الأطياف، تجمعه أهداف واحدة من دون أي تنسيق حزبي، مؤكداً أن هذا سيكون مصدر قوة للجماعة بدلاً من بقائها تنظيماً أو تحويلها إلى حزب سياسي[5].

دعوة النفيسي تلك، جديرة بالاهتمام من شخص مخضرم مرَّ خلال الأربعين عاماً الماضية بتجارب عديدة، من التعاطف مع الثوار اليساريين في ظفار إلى تأثره بالإخوان المسلمين في بداية الثمانينات، وقربه من السلفية المحتسبة وجماعة جهيمان العتيبي، التي احتلت المسجد الحرام في 1979، ثم خلافه مع الإخوان منتصف الثمانينات إلى تعاطفه مع القاعدة منذ نهاية التسعينات وحتى اليوم[6].

---

(5) المصدر السابق.

(6) علي العميم، عبدالله النفيسي الرجل ..الفكرة التقلبات، مجلة المجلة (عدد 1286 حتى 1289، أعداد أكتوبر 2004) وحول آراء النفيسي في الإسلام السياسي انظر أيضاً علي العميم.العلمانية والممانعة الإسلامية.دار الساقي. ط1 1999 ص 31.

وعن علاقة النفيسي بجيهمان العتيبي قائد محتلي الحرم في نوفمبر 1979 انظر: منصور النقيدان، جهيمان العتيبي نهاية أسطورة، جريدة الوقت البحرينية 6 مارس 2007.

استشهد النفيسي بالواقع الذي يعاني منه الإخوان المسلمون في الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان، مبيناً أن الإخوان القطريين الذين تبنّوا قرار حل الجماعة، بعد دراسة ومراجعة صارمة لفكرها، نصحوا الإماراتيين أكثر من مرة أن يتخلوا عن فكرة التنظيم، لأن تبعات ذلك تُعتبر خطيرة وثقيلة.

لقيت هذه الدعوة ترحيباً من قبل بعض الأسماء البارزة من الإسلاميين، من خارج الجماعة أو المنشقين عليها، وقوبلت باستنكار من قبل بعض ممثلي الإخوان، بينما لاذت جماعة ثالثة بالصمت، وتوسطت فئة رابعة فشجعت على حل فروع الجماعة في الخليج، وعلى الإبقاء على التنظيم الأم في مصر، وأما مرشد الإخوان المسلمين السابق، محمد مهدي عاكف، فقد اعتبر صمود الإخوان المسلمين، في وجه الضغوطات المحلية والدولية، يعود الفضل فيه إلى وجود تنظيم الجماعة القائم على مبدأ الشورى والمؤسسات(7). بينما اختار إخوان الإمارات الصمت والترقب، وعدم إبداء أي موقف معلن سلباً أو إيجاباً.

---

(7) مهدي عاكف.حوار مع راديو البي بي سي العربية: 10 مارس 2007 على هذا الرابط:
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/talking_point/newsid_6370000/6370217.stm
وقد أثارت مقالة النفيسي جدلاً كثيراً بين الإسلاميين على اختلاف مواقفهم. انظر جمال سلطان .مراجعات الإخوان المنتظرة.جريدة المصريون 20 فبراير 2007، ومحمد العبدة .الجماعات الإسلامية انفصلت عن جماعة الأمة وأغرقتها في الحزبية. الإسلام اليوم. 5 مايو 2007، رفيق حبيب، الإخوان والتنظيم، جريدة المصريون 26 فبراير 2007، عصام تليمة .الحركة الإسلامية رؤية نقدية، نشر في موقع مرصد الظاهرة الإسلامية. http://www.islamismscope.com/index.php?do=art&id=276

البدايات

يرجع الدكتور محمد الركن أستاذ القانون الدولي السابق، وهو من الأسماء البارزة من الإخوان الإماراتيين، فكرة إنشاء جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي، إلى تأثرهم بتجارب الإخوان المسلمين في مصر والكويت[8]؛ بعد عودة بعض الطلبة الإماراتيين في أواخر الستينات من دراستهم في مصر والكويت، يحدوهم أمل إنشاء جماعة تمارس أنشطتها وتنشىء مؤسساتها ومحاضنها التربوية في البلاد، لتستقطب الشباب إلى أفكار الجماعة، وتهيئهم ليكونوا كوادر مؤثرة في المجتمع الإماراتي الوليد[9]، وقد نجحت الجماعة في جهودها واستطاعت عبر كسب تعاطف ودعم نخبة من رجال الأعمال والوجهاء وعلماء الدين أن تنشىء إحدى أقدم الجمعيات الأهلية في الإمارات. تلقت الجمعية الوليدة رعاية أبوية ومساهمة رمزية من إخوان الكويت، حيث ساهمت جمعية الإصلاح الكويتية بتأثيث مقرها، وقد استمر هذا الترابط العضوي بين فرعي الإمارات والكويت، عبر اللقاءات والزيارات وإقامة المخيمات الصيفية في الكويت، وتنظيم الرحلات [10].

---

(8) محمد الركن لقاء أجراه الباحث معه في دبي في 29 أبريل، 7 مايو 2009. انظر أيضا: محمد علي المنصوري، دعوة الإصلاح في الإمارات 2004، ص33 - 34، بدون اسم ناشر. ومحمد الركن أستاذ سابق بجامعة الإمارات حاصل على دكتوراه في القانون الدولي العام. وهو كاتب ومؤلف وعضو في جمعية الحقوقيين الإماراتيين.

(9) محمد الركن، مصدر سابق. وذكر أن الشيخ عجيل النشمي حضر الافتتاح ممثلاً لجمعية الإصلاح الكويتية.

10) محمد الركن. مصدر سابق. ومحمد المنصوري. دعوة الإصلاح في الإمارات، ص 34..أيضاً راشد أحمد الجميري. لقاء أجراه معه الباحث في دبي في 13 أبريل 2009. والجميري كان من كوادر الجماعة الصغار الذين شاركوا في أنشطتها منذ سنوات مراهقته عام 1996 حتى انفصاله عنها في السنة الأولى من دراسته الجامعية في 2003.

وفي عام 1974 تقدمت مجموعة من رجال الأعمال والوجهاء وشيوخ الدين والدعاة -ومنهم الإخوان القدامى مثل سلطان بن كايد القاسمي، ومحمد بن عبدالله العجلان[11]، وعبد الرحمن البكر وحمد حسن رقيط آل علي، وحسن الدقي، وسعيد عبد الله حارب المهيري- تقدمت هذه المجموعة بطلب إلى الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم نائب رئيس الدولة حاكم دبي بإشهار الجمعية.

تولى الشيخ محمد بن خليفة آل مكتوم منصب أول رئيس لمجلس إدارة الجمعية[12]. وتبرع الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم بإنشاء المقر الرئيسي بدبي، تلاه إنشاء فرعين للجمعية في إمارتي رأس الخيمة والفجيرة، وقد تبرع الشيخ راشد آل مكتوم أيضاً بتكاليف إنشائهما، ويقال إن رئيس الدولة الراحل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان تبرع بأرض لإنشاء فرع للجمعية في أبوظبي نهاية السبعينات، ولكن قرار إنشاء الفرع جُمّد لاحقاً[13].

أما إمارة الشارقة فقد أغلقت الباب في وجه الإخوان، ولم تسمح بافتتاح فرع للجمعية، ويعيد المنصوري تمنُّع الشارقة إلى غلبة المزاج القومي والعروبي على مفاصل الثقافة في الإمارة المحافظة في السبعينات، متأثرة

---

(11) محمد بن عبدالله العجلان من مواليد بريدة وسط السعودية، كان مدير المعهد الديني في رأس الخيمة التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وانضم إلى الإخوان المسلمين مبكراً وشارك في تأسيس جمعية الإصلاح الإماراتية، وأصبح مدير فرع الجمعية في رأس الخيمة قبل عام 1987. محمد المنصوري، لقاء.

(12) محمد الركن، مصدر سابق.

(13) محمد المنصوري، لقاء.

بأجواء الخصومة التاريخية بين الناصريين والإخوان في تلك الفترة التي استمرت حتى نهاية الثمانينات[14]. وفي عجمان لم تؤسس جمعية الإصلاح فرعاً لها، واكتفى الإخوان بتبعية لجنة الإرشاد والتوجيه الاجتماعي لهم، وبقيت تعمل حتى اليوم تحت هذا المسمّى[15].

نشوة التمدد

عملت جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي، منذ تأسيسها على استقطاب الطلاب والناشئة واستهداف مؤسسات التعليم، واستحوذ أتباعها على الأنشطة الطلابية الكشفية والمراكز الصيفية، ومع بداية عقد الثمانينات سيطرت الجماعة على قطاع التعليم العام وإدارة المناهج والتأليف في وزارة التربية والتعليم[16]، وفي العام 1988 أصبح الإخوان المسلمون هم الصوت الأوحد والأقوى في مؤسسات الدولة التعليمية وفي جامعة الإمارات.

مع تأسيس مجلة «الإصلاح»، عام 1978، بدأت جمعية الإصلاح بالعمل على ضرب خصومها الفكريين من التيارات الأخرى، وقد دخلت الجماعة في صراع منذ بداية تأسيس الجمعية مع القوميين واليساريين، وبعد صدور مجلة الإصلاح نهاية السبعينات، هاجمت المجلة وكتّابها

(14) محمد المنصوري.لقاء.

(15) تولى إدارة جمعية الإرشاد بعجمان خالد بن عبدالله الشيبة، وهو اليوم نائب رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح في رأس الخيمة.

(16) محمد المنصوري.دعوة الإصلاح في الإمارات. ص 47. أيضا (لقاء خاص وصريح مع الشيخ الدكتور سلطان بن كايد القاسمي، موقع مركز الإمارات للدراسات والإعلام 27 ديسمبر 2005).

خصومها التقليديين من القوميين واليساريين، وكتبت أكثر من مرة عن تغلغل الشيوعيين في مفاصل الدولة وتأثيرهم في الثقافة والتعليم. وقامت بالتشكيك في إسلام بعض مسؤولي الحكومة -كما سيأتي في استعراض مقالات مجلة الإصلاح- ونشرت المجلة فتاوى حول جواز تولي بعض المسؤولين للمناصب الحكومية. وفي اتحاد الطلبة كانت الصدامات لاتتوقف بينهم وبين من وصفوهم بذوي التوجه اليساري[17]، كما عملت المجلة على إظهار صورة نقية للجماعة وأتباعها، بالحفاظ على قيم المجتمع والتحذير من الغزو الثقافي، الذي سيتمثل بنظرهم في إصلاحات الحكومة في مجال التعليم والمناهج، وفي وسائل الإعلام وبرامج التليفزيون المحلي، وقد انشغلت المجلة بالتحذير من القائمين على الصحف المحلية من كتّاب ومحرّرين ومن أهدافهم السرية بالسعي إلى الحرب على الإسلام وإفساد شباب الأمة.

التوغل

تمكن الإخوان المسلمون في الإمارات من المشاركة بوزير واحد، في أول تشكيل حكومي العام 1971، حيث جرى تعيين سعيد عبد الله سلمان، وهو من الإخوان المؤسسين لجمعية الإصلاح، وزيراً للإسكان بترشيح من نائب رئيس الدولة الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، وفي عام 1977 أصبح

---

(17) انظر: صلاح الدين موسى، القومية العربية في مدارسنا والإسلام، مجلة الإصلاح عدد 23 ربيع الأول 1400هـ.. إنهم يطمسون الفكر الأصيل، مجلة الإصلاح عدد 136 سبتمبر 1989 ص 36. اعترف ولم يصرح، مجلة الإصلاح، عدد 125 مايو 1988 ص 40. وقد نشرت المجلة مقالاً ذكر أن أحد أعضاء لجنة إعداد المناهج في وزارة التربية متهم بالشيوعية عدد 122 مارس 1988. وهذا الصراع بين جمعية لإصلاح وفرقائهم أكده كل من محمد الركن ومحمد المنصوري في لقاء الباحث بهما.

محمد عبد الرحمن البكر وزيراً للعدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، بترشيح من الشيخ راشد بن سعيد أيضاً، والبكر هو ثاني وزير من جمعية الإصلاح يتولى وزارة حكومية، وفي التشكيل الحكومي الثالث في يوليو 1979 تولى سلمان وزارة التربية والتعليم ومنصب رئيس جامعة الإمارات بعد تأسيسها بسنتين، ومع التشكيل الوزاري اللاحق في يوليو 1983 لم يجدَّد للوزيرين[18].

وقد شرح النائب السابق لرئيس جمعية الإصلاح في رأس الخيمة محمد المنصوري الآثار التي ترتبت على تولي سعيد سلمان منصب الوزارة؛ مشيراً إلى أن الإخوان المسلمين في الإمارات بدؤوا كحركة إسلامية بخوض العمل السياسي في وقت مبكر، "حيث تمكنت الجماعة من إيصال أحد أبناء الحركة إلى منصب وزير الإسكان، وتولى أحد المؤيدين الأقوياء للحركة وزارة التربية، وقام هو والمسؤولون في الوزارة -وكان أكثرهم من أعضاء جمعية الإصلاح- بالعمل على نشر الحجاب والكتاب الإسلامي والتواصل مع رئيس الدولة ومحاورته بشأن الاختلاط في الجامعات، وصدر قرار يمنع الاختلاط في الجامعات وهو مستمر إلى اليوم"[19].

---

(18) حوار مدونة حراك مع د. محمد المنصوري 26 ديسمبر 2008
http://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:ZIlsB1YR-wEJ:mohasisi.maktoobblog.com/1534650/
وقد كان الحوار جريئاً كاشفاً بعض ما أجرته الجماعة من لقاءات خاصة مع مسؤولين من الحكومة حول الجماعة، وقد أكد المنصوري في رسالة للباحث صحة ماجاء في حديثه لحراك.

(19) مصدر سابق.

تولى سعيد سلمان وزارة التربية والتعليم بعد عبد الله عمران تريم، وقد كان من منظور الإخوان خصماً فكرياً لهم، ويذكر المنصوري أن حملتهم ضد تريم قد ساهمت في إبعاده من الوزارة [20].

بعد العام 1977 هيمن الإخوان المسلمون على إدارة المناهج في وزارة التربية والتعليم، وتولى -الرئيس الحالي لفرع جمعية الإصلاح برأس الخيمة- الشيخ سلطان بن كايد القاسمي إدارة المناهج في الدولة لسبع سنوات حتى نهاية 1983، وهي السنة التي أقيل فيها سعيد سلمان من منصبه، في هذه الفترة تمكن الإخوان المسلمون من السيطرة على لجنة المناهج، عبر إصدار 120 مقرراً دراسياً اعتبرها الإخوان أحد أكبر إنجازاتهم [21].

وفي الفترة التي كان فيها سعيد سلمان رئيساً لجامعة الإمارات، تأسس اتحاد الطلبة الإماراتيين في جامعة العين العام 1982 [22]. إلا أن اهتمام إخوان الإمارات بقطاع الطلبة كان قد بدأ منذ فترة مبكرة تعود إلى 1968، وهي السنة التي يؤكد فيها المنصوري أن دعوة الإخوان رأت فيها النور [23]، وبحكم المزايا التنظيمية لطلبة الإخوان في الجامعة، فقد اكتسح أعضاء جمعية الإصلاح نتائج انتخابات اللجان الطلابية عام 1977، وقد

---

(20) تولى عبدالله عمران تريم وزير التربية والتعليم منذ 23-12-1973 حتى 1-7-1979. وكان لمجلة الإصلاح مواقف مناوئة لقرارات عمران أثناء فترة وزارته (المنصوري، لقاء).

(21) لقاء خاص وصريح مع الشيخ الدكتور سلطان بن كايد القاسمي، مركز الإمارات للدراسات والإعلام؛ 27 ديسمبر 2005:
http://www.emasc.com/content.asp?contentid=43

(22) موقع الاتحاد الوطني لطلبة الإمارات: http://ensu.info/site/?page__id=2

(23) المنصوري.حوار مع موقع حراك.

تأسست اللجان في السنة الأولى من تأسيس جامعة الإمارات، وبعد إنشاء اتحاد الطلبة هيمن الإخوان على الانتخابات حتى عام 1992[24]. كان الصراع فيه شرساً بين الإخوان والطلاب من ذوي التوجه اليساري، ولكن النتائج كانت دائماً لصالح الإخوان[25]، ولا يزال أتباع الإخوان حتى اليوم يشكلون القوة الضاربة في اتحاد الطلاب، رغم تجميد الكثير من أنشطته في السنوات الأخيرة.

عبر مجلة «الإصلاح»، والإبراق إلى شيوخ الإمارات ومراسلتهم ووفود الزيارات لحكام الاتحاد، وقف الإخوان ضد قرارات لا تتوافق مع توجهاتهم الفكرية وفي 5 مارس 1979 قام مجلس إدارة جمعية الإصلاح بكتابة رسالة إلى حكام الاتحاد بمناسبة اجتماع المجلس الأعلى لحكام البلاد أعضاء المجلس الأعلى، وفيه يدعونهم إلى تولية الصالحين وتنظيف البلاد من الفساد والمفسدين، ويدعونهم إلى إنفاق أموال البترول في سبيل الله وفي طاعته. وستكون أموال البترول ووجوه إنفاقها أحد المواضيع الأثيرة لمجلة الإصلاح[26]، وسعوا إلى إنفاذ قرارات أخرى تدفع نحو تأييد توجهاتهم الحزبية والفكرية.

---

(24) محمد الركن.مصدر سابق.

(25) مصدر سابق، ومحمد المنصوري، لقاء.(26) محمد المنصوري، دعوة الإصلاح في الإمارات، ص47. أيضاً المنصوري، لقاء.

وقد نشرت المجلة في العدد 28 ص 45 شعبان 1400 هج/يونيو 1980 قصيدة لمحمد الأمين الشيخ يقول فيها: «أيثرى بنو صهيون من مال نفطكم... وتثرى به البيضاء في الغرب والشقرا.. ويحيا بنو الإسلام في كل موطن.. يعانون مر الجوع والجهل والفقرا».

(26) محمد المنصوري، دعوة الإصلاح في الإمارات، ص47. أيضاً المنصوري، لقاء.

وقد نشرت المجلة في العدد 28 ص 45 شعبان 1400 هج/يونيو 1980 قصيدة لمحمد الأمين الشيخ يقول فيها: «أيثرى بنو صهيون من مال نفطكم... وتثرى به البيضاء في الغرب والشقرا.. ويحيا بنو الإسلام في كل موطن.. يعانون مر الجوع والجهل والفقرا».

بعد تولي عبد الله عمران وزارة التربية سعت الجماعة إلى إفشال تدريس اللغة الإنجليزية في المراحل الأولى الابتدائية[27]، ووقفت ضد قرار توحيد لباس طلاب التعليم العام[28]، كما وقفت ضد حصص تعليم الموسيقى[29]، وحرّضت الطالبات وأولياء أمورهن على عدم حضور حصص الرقص والموسيقى[30]، وتمكنوا في النهاية من إيقاف هذه الحصص، التي تقوم بها الطالبات في الأنشطة اللاصفّية، وأقامت في المدارس محاضرات وندوات حول خطر التغريب والغزو الفكري، كما قامت مجموعات من "الأخوات" والشباب بعقد مهرجانات في المدارس لجمع التبرعات للمجاهدين الأفغان ودعم الانتفاضة الفلسطينية.

تمكنت الجماعة من الاستحواذ على الأنشطة المدرسية عبر الأخوات في مدارس البنات، والجمعيات الطلابية، وإقصاء من لا ينتمي إليها[31]. وكان للأخوات تأثير كبير على المعلمات والطالبات في الإمارات الشمالية وفي عجمان على وجه الخصوص، حيث مقر جمعية الإرشاد والتوجيه، ومع تولي أحمد حميد الطاير مهام وزارة التربية بالوكالة منذ 1987 بدأت مجلة «الإصلاح» حملة ضد قرار الطاير بنقل 25 موظفاً في إدارة المناهج إلى وظائف أخرى[32]، وقد نشرت جريدة الخليج في تلك

---

(27) مجلة الإصلاح عدد 130؛ أكتوبر 1988.

(28) عدد 9 ؛1399 هـ/مارس 1979.

(29) عدد 12؛ ربيع الثاني 1399/ مارس 1979. ص 44.

(30) ص 9 العدد 136؛ سبتمبر 1989.

(31) المنصوري.دعوة الإصلاح في الإمارات، ص 48.

(32) – مطلوب تأجيل النظر في مشروع قانون التعليم(مجلة الإصلاح عدد 130 أكتوبر 1988).أيضاً مقابلات المعلمين على ساحة التطوير والتحديث(عدد 122 مارس 1988) وفيه يتساءل المقال عن الأسس التي بني عليها استبعاد بعض الموجهين عن ساحة المقابلات. (المنصوري، لقاء).

الفترة خبراً عن أن خطيب جمعة في رأس الخيمة، قام بتكفير وزير التربية والتعليم، وكان المقصود بخطيب الجمعة هو محمد المنصوري، وحسب رواية المنصوري فقد استدعاه الوزير، ووبخه واتهمه بتكفيره واستغلال المنبر، وقد كان المنصوري حينها مدير مدرسة في رأس الخيمة، وموظفاً في وزارة التربية[33]، كما قاموا في 1988-1989 بحملة ضارية ضد قرار مشروع التعليم الأساسي لطلاب جامعة الإمارات، وهي دروس تقوية للطلاب في مادتي الرياضيات والإنجليزي واللغة العربية قبل التحاقهم بالجامعة.

كان إنشاء فصول التعليم الأساسي يعني فشل السياسة التعليمية في التعليم العام، الذي هيمن الإخوان المسلمون عليه سنوات طويلة، لهذا بدؤوا بحملات تشويه منظمة للمشروع في مدارس التعليم العام، وبين طلاب جامعة الإمارات، فقامت كوادرهم بتوزيع نشرات مجهولة المصدر وخطب ومحاضرات، تتحدث عن الخطط الرامية إلى إفساد أخلاق وعقائد الطلاب والطالبات عبر التعليم الأساسي، الذي يقوده الطاير وفريق من المتغربين الذين يسعون إلى انحلال البلاد وتدجين العباد. صور الإخوان المسلمون والأخوات المسلمات، للطلاب ولأولياء الأمور فصول التعليم الأساسي على أنها أوكار رذيلة، تقوم فيها المعلمات الأجنبيات بتعليم الفتيات الرقص والتمرد على الأخلاق وتقاليد المجتمع. من أشهر خطب الكاسيت التي انتشرت في عام 1989 كاسيت «مآسي التعليم الأساسي»، لأحد مدرسي اللغة العربية وهو أحمد صقر السويدي، وهو اليوم عضو جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

---

(33) المنصوري.لقاء.

يعتبر محمد الركن ما حدث في تلك الفترة عدم نضج من الجماعة مقارنة بحال أبناء الجماعة اليوم. فهو يرى أن معظم الإخوان المسلمين يسعون إلى ابتعاث أبنائهم للدراسة في الخارج وهم أنفسهم يتعلمون اللغة الإنجليزية ويتحدثون بها، ويرى المنصوري أن الجماعة اليوم قد نضجت كثيراً قياساً بما كان عليه الحال في الثمانينات وأوائل التسعينات.[34].

ومع بلوغ التصعيد ذروته، واستمرار التمرد الذي قاده أعضاء جمعية الإصلاح في مؤسسات التعليم ضد إصلاحات الحكومة، التي استمرت في إبعاد الإخوان عن لجنة التأليف والمناهج في الوزارة، عقدت قيادات الإخوان في منتصف 1989 اجتماعاً قررت فيه التهدئة، واتُّخِذَ قرار بالإجماع على أن يكون أسلوب الرفق واللين هو النهج المتبع[35]، ولكن الوقت كان متأخراً لتدارك ماحصل وترميم الشرخ، فقد تنبهت الحكومة إلى خطورة ما يمكن أن يقوم به هذا التنظيم.

جاءت أولى الضربات بتوقف مجلة «الإصلاح» عن الصدور مدة ستة شهور منذ أكتوبر (تشرين الأول) 1988 حتى أبريل (نيسان) 1989، وبعد عودتها للصدور مرة أخرى بقيت المجلة على خطها ولكن بوتيرة أكثر هدوءاً.

في الفترة مابين 1989 حتى 1994 أصبحت معظم القضايا، التي تتطرق إليها المجلة، هي ترشيد السياحة وضوابطها الأخلاقية، وخطر

---

(34) محمد الركن.مصدر سابق.ومحمد المنصوري.لقاء.

(35) محمد المنصوري، لقاء.

الأجانب على الثقافة والهوية الإماراتية[36]، مع انتقاد لبرامج وسائل الإعلام المحلية[37] والعودة، ما بين فينة وأخرى، إلى ملف التعليم ولجنة مراجعة المناهج، حيث دعا رئيس تحرير المجلة إلى توسيع دائرة المشاركين في اللجنة الوطنية[38].

العام 1994 قامت الحكومة بحل مجلس إدارة جمعية الإصلاح، وتعرضت فروع الجمعية، في دبي والفجيرة ورأس الخيمة إضافة إلى جمعية الإرشاد في عجمان، لتقليص أنشطتها الداخلية والخارجية، وقامت الحكومة بإسناد الإشراف عليها إلى وزارة الشؤون الاجتماعية، ماعدا فرع رأس الخيمة الذي لم يزل حتى اليوم يحظى باستقلالية تحت حماية وتعاطف حاكمها الشيخ صقر القاسمي.

الصدام

منذ أن قام الإخوان المسلمون بتأسيس جمعية الإصلاح عام 1974، والجمعية تختار أعضاء مجلس إدارتها بانتخابات داخلية مستقلة، وبعد واحد وعشرين عاماً هيمنت الحكومة على مفاصل الجمعية، وانعكس ذلك على سياسة تحرير المجلة، التي كانت اللسان الناطق للجماعة، وقد

---

(36) محمد رحمة العامري. إجراءات طيبة ولكنها ناقصة. عدد 213 . 19 نوفمبر 1992.

(37) مريم عبدالله، الإعلام وفقدان الهوية، عدد 215 تاريخ 9 ديسمبر 1992. ترافق لك مع صدور بيان اتحاد طلبة الإمارات، الذي دعا المجلس الوطني إلى تحديد سياسة إعلامية واضحة المعالم للاتحاد، عدد 215 ديسمبر 1992.

(38) محمد رحمة العامري. مستقبل الأجيال ومهمة اللجنة العتيدة. عدد 214: 26 نوفمبر 1992.

كتب حمد الرقيط، وهو من قيادات الجماعة، مقالاً في نوفمبر 2008 بمناسبة مرور 34 عاماً على تأسيس الجمعية، ذكر فيه أنه لم تتح الفرصة للحوار والمراجعة حول قرار الحكومة مع المسؤولين، واعتبر إسناد الإشراف إلى وزارة الشؤون الاجتماعية تدخلاً في شؤون الجمعية بإبعاد أصحابها الشرعيين عن قيادتها[39]، ويشير المنصوري إلى أن ذلك تسبب بهبوط أرقام توزيع المجلة، خلافاً لما كان عليه الحال طوال عقد الثمانينات وأوائل التسعينات في أزهى عصورها حيث كانت تحظى بقرّاء ومتابعين من شتى أنحاء العالم العربي[40].

ومنذ عام 2003 بدأت عملية نقل واسعة داخل وزارة التربية والتعليم، لأكثر من مئة وسبعين من الإخوان المسلمين وتحويلهم إلى دوائر حكومية أخرى، كان منهم 83 موظفاً، انشغلت وسائل إعلام محلية وغيرها بالحديث عنهم.

يرى المسؤولون الإماراتيون أن ذلك جاء ضمن رؤية استراتيجية، تهدف إلى نقلة كبرى في التعليم العام، تتماشى مع التحولات الكبيرة الاقتصادية والثقافية التي تمر بها البلاد منذ أواخر التسعينات من القرن الماضي، وقد كانت السنوات التسع التالية (1994-2003) لحل مجلس الجمعية مشوبة بالتوتر الصامت، والضغوط الناعمة وضبط النفس، والرسائل المتبادلة. كما أن حماية بعض الحكام لبعض الشخصيات

---

(39) حمد الرقيط، 8 نوفمبر 2008: http://manaraat.net/play.php?catsmktba=5947

(40) يذكر الركن أن أرقام التوزيع قبل عام 1994 كانت تصل إلى خمسين ألف نسخة، وقد كانت الإصلاح في عهدها الزاهر تنافس مجلة «المجتمع» الكويتية على الساحة الإسلامية الخليجية، تصدر مجلة «المجتمع» من قبل جمعية الإصلاح الكويتية.

الإخوانية، واعتبار العشيرة والوجاهة النابعة من تقاليد المجتمع الإماراتي، كانت تفعل فعلها، وهي تقاليد كانت تمثل جوهر التوافق والانسجام الذي ضمن دوام الاتحاد وتماسكه منذ قيامه.

كان للشيخ صقر القاسمي حاكم رأس الخيمة دور كبير في الاستقلال النسبي الذي يتمتع به فرع جمعية الإصلاح في إمارته، خلافاً لباقي الفروع. يرأس جمعية الإصلاح في رأس الخيمة الشيخ سلطان بن كايد القاسمي مدير جامعة الاتحاد، ويعتبر الإخوان الإماراتيون هذا الفرع هو الممثل الوحيد لهم، خلافاً لباقي الفروع، وله موقع على الإنترنت.

تسببت هذه العلاقة الخاصة بين حاكم رأس الخيمة والإخوان وحمايته لهم، في توتر العلاقة مع أبوظبي عام 1996 بعد صدور مذكرة توقيف بحق المنصوري، ودعم الشيخ صقر للأخير ورفضه إقالته من منصبه في فرع الجمعية برأس الخيمة[41]. وفي تصريح لمحمد الركن لوكالة الأنباء الفرنسية AFP في 1 يوليو 2006 إشارة إلى استقلال فرع رأس الخيمة عن باقي الفروع. وفي لقاء خاص مع د. سلطان كايد القاسمي نشره مركز الإمارات للدراسات والإعلام في 26 ديسمبر 2005، أشار إلى وجود علاقة خاصة من الثقة والاحترام امتدت ثلاثين عاما بين جمعية الإصلاح وحاكم رأس الخيمة[42].

---

(41) محمد المنصوري، لقاء.

(42) لقاء خاص مع الشيخ الدكتور سلطان بن كايد القاسمي. مركز الإمارات للدراسات والإعلام.26 ديسمبر.2005.

http://emasc.com/content.asp?ContentId=43

وفي العام 2003 بدأ فصل جديد من علاقة الإخوان بالحكومة وأجهزة أمنها، كما سيأتي شرحه لاحقاً، بدأت بعقد لقاءات متكررة بين ثلاث قيادات من الجماعة وبين نائب ولي عهد أبو ظبي الشيخ محمد بن زايد في العاصمة أبو ظبي، أفضت بعد شهور إلى رفض قيادات الجماعة دعوة الحكومة لهم إلى الانخراط في مسيرة التنمية وإمكانية العمل الدعوي، أسوة بنظرائهم من العاملين في مجال الدعوة والإرشاد الديني في الدولة، شريطة حل التنظيم[43].

ومنذ العام 2006 حدث ما يمكن تسميته بكسر لتلك العلاقات والوشائج، تصاعدت وتيرتها بإبعاد عشرات المعلمين، كانت ردة فعل (أبناء الإصلاح) ردود فعل غير تقليدية، تمثلت في تجمعات احتجاجية ومشاركات في القنوات الفضائية، ولقاءات صحفية ومقالات على الإنترنت تتحدث عن أسباب الإبعاد[44].

---

(43) محمد المنصوري. لقاء.

(44) أشار وزير التربية والتعليم السابق حنيف حسن في برنامج إضاءات، على قناة العربية، إلى انتماء المدرسين المبعدين إلى تنظيمات تشكل خطراً على عقول الطلاب (إضاءات 19 يناير 2007:

http://www.alarabiya.net/articles/2007/01/18/30861.html

أيضاً مهنا الحبيل..الإمارات وأبناؤها الإسلاميون.أما آن لهذا الخريف أن ينصرم، صحيفة الشرق القطرية 29 أغسطس 2006.

وعارف اليديوي، رسالة إلى إخواننا في أجهزة الأمن. مركز الإمارات للدراسات والإعلام؛ 28 ديسمبر 2005:

http://www.emasc.com/content.asp?ContentId=79

وفي مقال آخر للبديوي أيضاً يدعو مجلس جمعية الإصلاح الحالي إلى إعلان توبته من إيقاف مد العمل الإسلامي ويطالب بإرجاع الحق إلى أهله على هذا الرابط:

http://www.emasc.com/content.asp?contentid=1812

بالإمكان مشاهدة هذا الرابط على يوتيوب لتجمع 84 من المبعدين من جمعية الإصلاح عن وزارة التربية والتعليم:

http://www.youtube.com/watch?v=jm4h6DQwiRQ&feature=related

ومداخلة لأحمد راشد النعيمي على قناة الحرة، وهو من ضمن الموظفين المبعدين:

http://www.youtube.com/watch?v=wYcb88lVIKY&feature=related

ومحمد المنصوري، إسلاميو التربية إلى أين، مركز الإمارات للدراسات والإعلام 19 أغسطس 2007.

http://www.emasc.com/content.asp?contentid=5570

تؤكد بعض المصادر أن الحكومة الاتحادية كانت قد عرضت ثلاثة خيارات على كوادر الجماعة من موظفي التعليم، منذ بدأت بإجراءاتها الإصلاحية داخل مؤسسة التعليم، وهي:

إعادة تأهيلهم وإبقاؤهم في وظائفهم التعليمية، بعد إعلان تخليهم عن الجماعة، والتبرؤ من بيعة المرشد، والمساهمة في بناء فكر إسلامي إصلاحي معتدل ومتسامح وبعيد عن الأحزاب والتنظيمات، ومضاد لأفكار الجماعة. وتتكفل الحكومة بكل الدعم اللازم الذي يحتاجه المحوَّلون.

التخلي عن الجماعة تنظيمياً، واحتفاظ كل شخص بأفكاره الخاصة، بشرط ألا يقوم بترويجها أو الدعوة إليها، وهنا يتم إبقاؤه داخل مؤسسات التعليم ولكن بعيداً عن التدريس والتواصل مع الطلاب.

توفير فرصة وظيفية خارج المؤسسة التعليمية لكل من اختار البقاء على انتمائه الحزبي رافضا عرض الحكومة. كما تقوم الحكومة أيضا بإحالة من قاربت فترته على الانتهاء الى التقاعد.

ما تزال جمعية الإصلاح -بفروعها الثلاثة في دبي والفجيرة ورأس الخيمة، إضافة إلى جمعية الإرشاد بعجمان- قائمة بمناشطها في إقامة الدورات العلمية والمحاضرات ومسابقات القرآن الكريم، كما أن مجلة الإصلاح لم تزل تُطبع وتباع أعدادها في الأسواق، إلا أن الإخوان الإماراتيين يرون أنهم خسروا مؤسستهم ومنبرهم الإعلامي، وقد نشر موقع "الإمارات للدراسات والإعلام"، -وهو مملوك لمحمد المنصوري نائب

رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح برأس الخيمة- مقالاً يدعو فيه أعضاء مجلس الإدارة في دبي لإعلان توبتهم، وإعادة الحق إلى أهله، وأن مجلس إدارة الجمعية المعيّن في فرع دبي يمارس دوراً أمنياً وليس دعوياً[45].

كانت مجلة الإصلاح طوال ثمانية عشر عاماً لسان الجماعة والمعبّر عن أفكارها، وكان انتزاعها منهم مؤشراً لانحسار تأثيرهم العلني على الساحة الإماراتية وتقليص مناشطهم وتقييد حركتهم.

البيعة والإرهاب

طوال عقد الثمانينات، من القرن الماضي، اهتمت جمعية الإصلاح ومجلتها بالقضية الأفغانية والمجاهدين، وفي النصف الثاني من عام 1987 أنشأت جمعية الإصلاح اللجنة الإسلامية للإغاثة "السفير المتجول"[46] ترافقت مع ولادة الانتفاضة الفلسطينية، التي كانت مجلة "الإصلاح" توليها اهتماماً كبيراً في كل عدد، وتفرد لها مساحة كبيرة من الأخبار والتقارير، وفي العام 1994 وجهت الحكومة المصرية اتهامات للجمعية بدعم أشخاص متورطين بعمليات إرهابية على الأراضي المصرية كما تقدم.

تعتبر بيعة الولاء، التي تأخذها الجماعة على أتباعها، إحدى أكبر المسائل التي سببت خلافاً كبيراً بين الجماعة وبين الحكومة الإماراتية[47]،

---

(45) عارف اليديوي. لماذا جمعية الإصلاح؟. مركز الإمارات للدراسات والإعلام. 8 مايو 2006.

(46) محمد المنصوري، دعوة الإصلاح في الإمارات، ص 53.

(47) محمد المنصوري، لقاء. وراشد أحمد الجميري، لقاء بدبي 13 أبريل.

وهي من القضايا التي أخذت سنوات طويلة من البحث والدراسة لدى أعضاء الجماعة[48]. وفي العام 2001 وجهت أجهزة الأمن الإماراتية اتهامها إلى الجماعة بتشكيل تنظيم سري عسكري، على غرار التنظيم السري الذي أنشأه سيد قطب في الخمسينات الميلادية[49]، ولكن مسؤولي الجماعة نفوا تلك الاتهامات طوال السنوات الماضية، معبرين عن أنفسهم بأنهم هم رموز الاعتدال والوسطية على الساحة الدعوية الإماراتية. يذكر المنصوري وقائع حول قيام الجماعة بالتحاور مع بعض الشباب الإماراتيين الذين كانوا يفكرون بالتخطيط للاعتداء على القنصلية الأمريكية في دبي عام 1990؛ وإقناعهم بالتراجع عن مخططهم، ويذكر المنصوري قيامه بمناصحة مجموعة من الشباب كانوا يحملون ميولاً جهادية ويفكرون بالانضمام إلى القاعدة، وأن تلك الجلسات الطويلة التي عقدها مع الشباب قد أثمرت نتائج إيجابية في صالح الوطن[50].

زادت مخاوف الحكومة الإماراتية بعد حادثة رسالة تهديد، كانت ستوجه إلى السفارة الأمريكية في أبوظبي، وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، قام أحدهم بإلقاء كلمة حماسية عن الجهاد والقواعد الأمريكية في الخليج بين أعضاء الجماعة في جمعية الإرشاد بعجمان، وختم خطبته بتشجيع الحضور على إرسال رسالة تهديد إلى السفارة الأمريكية[51]. استمرت معسكرات الإخوان الصيفية حتى ما بعد

---

(48) محمد المنصوري.مصدر سابق. محمد الركن.مصدر سابق.

(49) المنصوري، مصدر سابق.

(50) مصدر سابق. وعن رؤية الجماعة إلى نفسها انظر: المنصوري، دعوة الإصلاح في الإمارات، ص 48.

(51) راشد أحمد الجميري، مصدر سابق.

1996، وفي العام 2000 قام شباب الجمعية برحلة إلى الكويت، وفي إحدى الجلسات ألقى واحد من قيادات الإصلاح الإماراتية، -وبحضور أحد رموز الإخوان في الكويت، وهو جاسم الياسين- كلمة أكد فيها على الالتزام بتعاليم مؤسس الجماعة المرشد حسن البنا، والوفاء لخط جماعة الإخوان والسعي إلى إقامة الخلافة[52].

وفي العام 2003 عقد حسن الدقي –وهو من قيادات الإخوان المسلمين في الإمارات- لقاءاً شهيراً بكوادر الجماعة الصغار من طلاب جامعة الإمارات في مزرعته في الذيد بإمارة الشارقة، حيث طلب من الجميع إغلاق هواتفهم المحمولة، ثم دعاهم إلى الجهاد ضد أعداء الإسلام[53]. وقد قامت قيادة الجماعة بمحاولة ثنيه عن توجهاته الجديدة بعد صدور كتابه «ملامح المشروع الإسلامي» عام 2003 وظهور ميوله الجهادية، وذلك خوفا من التبعات الأمنية على الجماعة. أصر الدقي على أفكاره، وبعد اجتماع بين قيادات الجماعة تناقشوا فيه حوله، صدرت مذكرة داخلية بنتائج النقاش حيث صدر قرار بإبعاده وعزله[54].

زاد من مخاوف الحكومة إصرار الجماعة على إلزام أعضائها بأخذ البيعة، والبيعة شرعاً تعني الولاء لمن منحه العضو ثمرة فؤاده[55]، ورغم أن القيادات الإخوانية تهوّن من شأن البيعة وتقارنها بالبيعة التي

---

(52) الجميري. مصدر سابق. ويقول راشد إنها المرة الأولى التي أعرف فيها أن جمعية الإصلاح تنتمي إلى تنظيم الإخوان المسلمين.

(53) الجميري، مصدر سابق.

(54) محمد الركن، لقاء بدبي 7 مايو 2009، بالإمكان تصفح كتاب الدقي «ملامح المشروع الإسلامي» على هذا الرابط: http://www.malamehbook.com/

(55) وهي مفهوم شرعي ديني تناوله الفقهاء بالبحث في أحكام الإمارة والبيعة والطاعة.

يؤديها المريد الصوفي لشيخ الطريقة[56]، إلا أن إصرار الجماعة على ذلك كان باعثاً للشك والريبة. اعتبرت الحكومة أن من يعطي بيعته لشخص ما هو في الحقيقة يمنحه ولاءه التام، فإذا قام مواطن إماراتي بإعطاء بيعته لقائد حركي فهو يحمل ولاءاً مزدوجاً، يجعل من انتمائه الحركي مساوياً لولائه لأرضه ووطنه وشيوخ بلده في أحسن الأحوال، وهذا مالا يمكن القبول به. وزاد الأمر سوءاً حول مايمكن أن يكون قد أعطاه الإخوان الإماراتيون من بيعة ولاء لقيادات إخوانية في التنظيم الأم خارج البلاد، وينفي محمد الركن أن يكون أحد من أعضاء جمعية الإصلاح، قد أعطى يوماً بيعته لمرشد الإخوان المسلمين في مصر أو غيره من أتباع التنظيم الدولي، ويشرح ذلك بأن المجتمع الإماراتي معتدٌّ بعروبته وبانتمائه القبلي وعاداته البدوية، فلا يعقل أن يمنح الإخوان الإماراتيون، مع انتمائهم الفكري للجماعة، ولاءهم أو بيعتهم لعربي أو عجمي خارج الحدود [57].

طوال عقدين كانت جمعية الإصلاح تستضيف أسماء بارزة من الإخوان المسلمين من خارج الإمارات؛ لإلقاء المحاضرات والمشاركة في الندوات في مقر الجمعية، وفي الثمانينات كان أعضاء الجماعة العاملون في قطاع التعليم يقومون بتنظيم محاضرات لرموز الجماعة من المصريين والسوريين وغيرهم في مدارس الأولاد والبنات، وقد ترافق حل مجلس جمعية الإصلاح عام 1994 مع إبعاد الحكومة الإماراتية لبعض رموز الإخوان العرب من دولة الإمارات، وكان أشهرهم هو عبد المنعم العزي،

---

(56) محمد الركن، مصدر سابق.

(57) محمد الركن.مصدر سابق.

المعروف بمحمد أحمد الراشد، وصاحب المؤلفات الحركية مثل «المسار» و«المنطلقس و«رسائل العينس. وقد انتقل إلى الإمارات في أوائل الثمانينات من القرن الماضي بعد فترة قصيرة قضاها في العمل بمجلة «المجتمع» الكويتية. عمل العزي مستشاراً في وزارة الأوقاف في دبي وربطته بجمعية الإصلاح علاقة وثيقة، كان فيها يستضاف أحياناً لإلقاء محاضرات والمشاركة في أنشطة الجمعية. ويؤكد محمد الركن أن العزي كان منطوياً على نفسه وقليل الاحتكاك بالجمهور وخشن العشرة، ولكنه كان يشارك أحياناً في الدروس والمحاضرات في جمعية الإصلاح[58].

في نهاية التسعينات من القرن الماضي واجهت جمعية الإصلاح اتهاماً بأن من يدير فرع رأس الخيمة في الخفاء هو عبد الحميد الأحدب، وهو من الإخوان السوريين، وقد أقام سنوات في رأس الخيمة يعقد دروسه في مسجد الجمعية[59].

زاد من غموض الأمر وتضاعف الريبة عند الحكومة، عدم وضوح الإجابات التي يقدمها الإخوان الإماراتيون، حينما يُسألون عن تفاصيل البيعة والطريقة التي تؤدّى بها، ومتى يجب على العضو تقديمها، ولمن تعطى البيعة وصيغتها. ويؤكد محمد الركن أنها بيعة عامة تتضمن الولاء للدعوة، وبذل الجهد في المنشط والمكره، وهو يؤكد أن الجماعة قررت منذ 2001 عدم إلزام الأعضاء بها، ولكن المنصوري يؤكد أن الجماعة أوقفت

---

(58) محمد المنصوري، لقاء.

(59) محمد المنصوري، لقاء.

أخذ البيعة من أعضائها منذ 2003. ويذكر أحد كوادر الجماعة سابقاً- فضل عدم ذكر اسمه- أنه منذ أواخر عام 2002 بدأ بالامتناع عن حضور اجتماعات الجماعة واعتذر في النهاية للمشرف الذي يتبع له، موضحاً له أنه سوف يعمل للدعوة والإسلام من دون أن يكون عضواً في التنظيم، ولكن المشرف ذكّره بأن الدعوة التزام، وعليه المضي فيما التزم به، وقال له: "ربما أنت تخاف من أن تقوم بأداء البيعة؟".

أخذ الإخوان سنتين من التفكير، وفي العام 2003، مع كثرة الاتهامات وتضرر كثير من كوادر الجماعة بسبب ولائهم وبسبب بيعتهم، أقرت قيادات الجماعة بالإجماع عدم استقطاب أي من العاملين في القطاع العسكري، وعدم التواصل مع أي عضو التحق للعمل بالجيش، والأمر الثاني هو إيقاف أخذ البيعة من الأعضاء عموماً بشكل نهائي[60].

ترافقت تلك الإجراءات مع احتمالات الانفراج في وضع الجماعة في ذلك العام والتي بدأت بسلسلة لقاءات في شهر أغسطس جمعت ثلاثة من قياديي الإصلاح بنائب ولي عهد أبو ظبي الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، والذي رحب بهم وأبدى استعداد الحكومة لدمجهم في مسيرة التنمية ومؤسسات الحكومة والاستفادة من خبراتهم، إذا ماقررت الجماعة حل تنظيمها.

تلقى نائب ولي عهد أبو ظبي وعوداً من زعماء الجماعة بالتفكير جدياً بحل الجماعة، ويذكر المنصوري أنه تلقى اتصالاً من ولي عهد رأس

---

(60) محمد الركن.لقاء بدبي. وراشد الجميري. مصدر سابق.

الخيمة الحالي، الشيخ سعود بن صقر القاسمي، صبيحة اليوم التالي لاجتماعهم بالشيخ محمد بن زايد، ينقل إليه انطباعات الشيخ محمد الجيدة. وقد وصف المنصوري تلك اللقاءات بأنها كانت ربيعاً لن يتكرر. وقد ذكر المنصوري في لقاء مع مدوّنة «حراك» أن قيادات الإخوان التقوا بالشيخ محمد بن زايد في 17 أغسطس 2003، وأعقبها لقاءان في الشهور اللاحقة، وكان الحوار –حسب رأيه- مثمراً بحيث عادتِ الجماعة إلى العمل العلني في سبتمبر من ذلك العام، ولكن الأمور ساءت بعد ذلك، مما اضطر الجماعة إلى العمل السري مرة أخرى، مشيراً إلى استفادتهم من الحكم الفيدرالي الذي يترك لكل إمارة الحرية في تطبيق قوانينها[61].

بعد شهور قليلة من تلك الاجتماعات، عاد سلطان بن كايد القاسمي إلى مجلس الشيخ محمد بن زايد وفي يده بيان موقع من زعماء الجماعة يوضح أن الجماعة تمتلك شعبية كبيرة وقبولاً في المجتمع الإماراتي، ولها امتدادات في الداخل والخارج، وأن الجماعة هي الجهة المنظمة القادرة على التأثير، ولايمكن لأي سلطة أن تقلص من نفوذها وتأثيرها. بدا حينها أن تلك الفرصة التاريخية التي رفضها الإخوان لن تتكرر. وأصبحت الحكومة الآن أكثر إصراراً على خططها في الإصلاح..

فكر الإخوان في الإمارات

يقدم الإخوان المسلمون الإماراتيون أفكارهم على أنها دعوة إسلامية وطنية رسالتها حضارية، تتناسب مع العرف الاجتماعي الإماراتي

---

(61) محمد المنصوري.مصدر سابق.

الوطني في بعده الجغرافي، انطلاقاً من الهوية المحلية وتقاليد وتراث المجتمع الإماراتي الذي لا يتصادم مع ثوابت الإسلام[62]. أما ثوابتها العقدية فهي ترتكز على (خليط) من تعاليم أهل السنة والجماعة والسلف الصالح، وتعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مقتفية أثر جماعة الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية في باكستان، مستلهمة تعاليم أبي الأعلى المودودي وأبي الحسن الندوي وجماعة التبليغ والدعوة. أما حقيقة الدين الذي تنطلق منه فهو ما يفسره قول الرسول: «من بدل دينه فاقتلوه»[63].

وترى الجماعة أن هناك كثيراً من الدعوات تزعم أنها إسلامية، ولكن ما يميّز الإخوان المسلمين في الإمارات أنهم ينبذون الخرافة والبدعة، لأن منهجهم صاف نقي ينطلق من مدرسة مقاصدية تفهم النصوص الجزئية في ضوء المقاصد الكلية وأسباب نزول النصوص[64].

وعن رأيها في إسلاميي الخليج المعارضين لجماعة الإخوان الإماراتية، ترى الجماعة أنهم صنفان: الأول أصحابه ذوو طرح عقلاني رزين، والثاني أصحابه معارضون يتصفون بفجاجة الخلق وسوء العشرة، بينما هي ترفض التغيير بالعنف وترى أن أي جنوح نحو العنف هو تفجير للنسيج الاجتماعي، كما أنها ترى أن الجماعات المتطرفة مع إخلاصها

---

(62) محمد المنصوري. لقاء. أيضاً حوار للمنصوري مع موقع حراك:
/http://mohasisi.maktoobblog.com/1534650

(63) أحمد بن صالح الحمادي «دعوة الإصلاح في الإمارات ماذا تريد». برنامج أبعاد خليجية. قناة الحوار، 16 مايو 2010.

(64) أحمد الحمادي وحمد الرقيط، مرجع سابق.

وصدق نيتها إلا أنها أخطأت الطريق، وترى أن الحوار مع أصحاب هذه التوجهات، من القاعدة والجهاديين، هو أفضل السبل للقضاء على «النتوءات الشاذة»[65].

وعن موقفها من حكام الإمارات، وعلاقتها بالسياسي، فهي ترى فيهم أنهم حكام مسلمون يحبون الإسلام ويتحاكمون إليه، وأن دور الإخوان المسلمين هو محاولة تقريب القيادة السياسية والمجتمع للمنهج الإسلامي المثالي، وأن الجماعة تضع في عين الاعتبار الظروف السياسية التي تدفع اصحاب القرار لاتخاذ السياسات التي تتلاءم مع الظروف والأوضاع الدولية[66].

فكر الإخوان المسلمين في الإمارات من خلال مجلة الإصلاح (1978-1994).

توضح الاقتبسات التالية أفكار جمعية الإصلاح منذ صدور أول عدد لمجلة الإصلاح في عام 1978، وهي تشرح موقف الإخوان المسلمين الإماراتيين من معظم القضايا التي شغلت الرأي العام والساسة والمفكرين ورجال التعليم حتى 1994. وسوف يلحظ القارئ أن القضايا الساخنة المحلية التي شغلت المجلة وانعكست آثارها على توجه المجلة وعلى الجماعة لاحقاً، تنحصر تقريباً في الإحدى عشرة سنة التي امتدت من 1978 حتى 1989.

---

(65) مرجع سابق.

(66) الحمادي، مرجع سابق.

- كلمة الإصلاح شهذه المجلة»[67] بمناسبة مرور عام على صدور المجلة، "وآخرون غاظهم أن يكون للحق صوت.. وهالهم النجاح الذي حققته المجلة.. وصوت الحق في المجلة يهتك أستار مخازيهم، وينبّه إلى مخططاتهم وأساليبهم، وضعوا أمام المجلة العراقيل فراحوا يسبون ويهددون برسائل غفل من التوقيع أو بتوقيع مستعار".

- خالد سيف، كلمة المحرر «المجتمع الطلابي»[68]، وفيه يتساءل المحرر عن سبب ارتباط السَّمر بالطبل، بدلاً من التمثيليات المستمدة من الإسلام، «كيف يجتمع في قلب الطالب صوت الطبل والموسيقى مع حب التضحية والإيثار وحب الدين؟».

- «مدينة الملاهي أم وكر الجريمة»[69]، ويصف كاتب المقال السيرك المتنقل بأنه وكر متنقل للفساد، ويدعو المسؤولين في بلدية الشارقة إلى إيقاف التيار الجارف من وسائل الفساد التي يسمونها ترفيهاً باسم السياحة والفن.

- «فضائح تليفزيونية»[70]، والمقال عن زيارة تليفزيون أبوظبي لكليات البنات في جامعة الإمارات، في 15 يناير (كانون الثاني) 1980، ويذكر المقال أن معيدة في قسم العلوم الإدارية والسياسية، أبدت رغبتها

---

(67) أحمد الحمادي، مرجع سابق.
(68) عدد 12 ربيع الثاني 1399هـ/فبراير 1979.
(69) عدد 24 ربيع الثاني 1400هـ/فبراير 1980 ص 30.
(70) مصدر سابق.

بالسماح بالاختلاط بين الطلبة والطالبات فأجابها المذيع: «لا، لا.إنت عايزة جمعية الإصلاح تقوم علينا؟». ويتساءل المقال: «هل هذه في الجامعة التي تدّعي الفضائل وتحافظ عليها؟».

- افتتاحية المجلة، حديث الشهر.. «أي الفريقين أحق بالأمن»[71]، ويحذر المقال من خطورة تولية المناصب لفاسق سكّير، أو لا يتقي الله ولا يخافه، وأن يكون المقياس الأول في اختيار المرشحين للوظائف، سواء كانوا مواطنين أو وافدين، على جميع المستويات هو الإسلام، والتمسك بأخلاقه.

- كلمة الإصلاح «الصيف والسفر»[72]، والمقال يدعو الإعلام إلى الكف عن الدور التخريبي لأخلاق الشباب: «كفى اهتماماً بالأجانب الذين وُفّر لهم كل شيء، أما المواطنون الشرفاء المسلمون وغيرهم من الوافدين الطيبين المسلمين فليس لهم إلا التحسّر».

- عبدالله الكشاف «مسابقة لأحسن راقص وراقصة»[73]، ينتقد ما نشرته جريدة «الاتحادس عن مسابقة أحسن راقص وراقصة في لندن: «أين قانون الرقابة والمطبوعات من هذه الصحف؟ وهل قوانينها أن تسكت الحق وتشهر الباطل؟ وهل قوانينها أن يسكت أصحاب الحق وتقفل دونهم الأبواب وعندما يبرّز الباطل لايعاقب؟».

---

(71) عدد 23؛ ربيع الأول 1400 هـ/فبراير 1980.
(72) عدد 17 رمضان 1399/أغسطس 1979.
(73) عدد 28 شعبان 1400هـ/يوليو 1980.

- «برقية مستعجلة.. إلى مدير عام تليفزيون دبي»[74]: «أيريد نشر الرذيلة والفساد بين شباب هذه الأمة المسلمة، أم أن هناك من يسيّره لفعل هذا الشيء المشين؟ إذا لم تستطع منع هذا السيل العارم من الفساد فقدم استقالتك فهذا أشرف لك».

- «يقال إن»[75]، واحتوى مجموعة من أخبار الوسط الطلابي والتعليمي، عن مدرّس لم يقم بأداء الصلاة مع الطلاب في المخيم، ومديرة مدرسة أعاقت نشاط الجمعية الدينية بالمدرسة، وطالب في مخيم كشفي في دبي يشكو من عدم وجود طبال لإحياء السّمَر، وعن طالب في ثانوية بدبي -والده مدرس للتاريخ- يقول لزملائه الطلبة بأن الشيوعية أفضل من الإسلام، وعن نقاش دار بين مدرّسين حول حقيقة وصف العلمانية باللادينية، وخبر عن انشغال طلاب في مخيم كشفي في مشرف بدبي بالألعاب الرياضية مع أحد المسؤولين في المخيم عن أداء صلاة المغرب.

- عبدالله الكشاف «في دائرة الضوء»[76] حول العمالة الوافدة في الإمارات، وقد نقل المقال خبراً عن صحيفة «الشرق» اللبنانية بوجود 15 ألف جندي من كوريا الجنوبية في دولة الإمارات، مرتبطين بأجهزة المخابرات الأمريكية، ويتساءل عبدالله الكشاف: «لماذا لا يكون الإسلام شرطاً لدخول العمالة لبلادنا؟ لماذا لايكون الإسلام شرطاً لدخول العمالة

---

(74) مصدر سابق

(75) مصدر سابق

(76) عدد 24، ربيع الثاني 1400 هـ/فبراير 1980، ص 31.

العربية إلى الدولة؟ وهل تكفي العروبة شرطا؟»، ويشير إلى الخطط الاستعمارية لدى طائفة السيخ الذين ازدادت نسبتهم في البلاد.

- كلمة المحررة «أطفالك والانتفاضة» ركن الأسرة[77] «فما أجمل لو أخذت طفلك من يده وأجلسته أمام التلفاز، وأن تزرعي الحب في قلب طفلك تجاه هؤلاء المجاهدين، وتزرعي الحقد في قلبه على اليهود، وتحكي له عن تاريخهم القذر، ومايدريك لعله يوماً سيكون بطلاً من أبطال الإسلام».

- عبدالله صالح «عالم المتناقضات»[78]، يفتتح التلفاز بالقرآن وبالحديث الشريف يتبعه فنانة تغني وترقص. تتصفح الصحف اليومية ترى أطفالاً توأد ونساءً ترمّل وبجانب كل خبر صورة لامرأة شبه عارية، ودعاية لحفلة رقص وعربدة، وصفحات مسطرة بمداد ما أسموه «الفن» وماهو إلا الرذيلة.

- محمد عبدالرحمن «مآسي الأمة وصحافتها العربية»[79]، والمقال عن نشر صحيفة محلية لثلاث صور لثلاث ضحايا في الانتفاضة الفلسطينية من الـ(شهداء) محمولين على الأكتاف وبنفس الصفحة صورة لمشجعي الكرة، وقد حملوا على أكتافهم مدرب الفريق ويتساءل المقال «أليست هذه مهزلة بلغتها صحفنا؟ أم أنه فقدان وازع الإيمان؟ وأما التليفزيون فيأتي خبر عن أفغانستان أو عن فلسطين ليأتي بعده

(77) عدد 24 ربيع الأول 1400هـ/ 11 فبراير 1980.ص 42.
(78) عدد 122 مارس، 1988 ص 34.
(79) عدد 122 مارس 1988، ص 48.

وصلة غنائية ثم برنامج منوعات ثم فاصل موسيقي، وا أسفاه على إعلام المسؤولين».

- للإصلاح كلمة «الهوية الثقافية التي نريد»[80] يشير المقال إلى ندوة عقدتها جريدة «البيان» في 15 فبراير 1988 حول الهوية الثقافية: «وغالب الظن أن الذين يهيمون هناك (من المشاركين في الندوة) ويحلقون في سماوات لانعرفها رضعوا من أثداء غربية وسُقوا من مياه عكرة».

- علي الحمادي «مساحة للتأمل.. الكريسماس»[81]، «الأمة ترقص اليوم في حفلات الكريسماس على أعراض أخواتنا في البوسنة والهرسك، نرقص دون حياء ولا مراعاة لمشاعر الأخوّة الإسلامية المطالبين بها شرعاً فضلاً عن مخافة الله وانتقامه، أليست أخواتنا المعذبات أولى بهذه الأموال التي تنفق في صالات اللهو والفجور؟».

- مريم عبد الله «الإعلام وفقدان الهوية»[82]، حول قناة فضائية محلية تنقل حفل مطرب أجنبي.. «أين الغيرة يامسؤولينا في بعض وسائل الإعلام؟ أين الدين من كل ماتفعلون وتعرضون؟ أصبحنا نستجدي مطربي الصليب أن يجلبوا لنا جنونهم وقذارتهم، ثم بعد ذلك تعالجون انحراف الشباب وجرائم الشباب وعبثهم».

---

(80) عدد 122 مارس 1988. ص 48.

(81) عدد 122 مارس 1988.

(82) عدد 214 نوفمبر 1992.

- عبدالله عبد الرحمن آل هادي «لماذا لاتشارك الخبرات الوطنية في عملية صياغة المناهج التربوية؟»[83] نقلاً عن جريدة «الاتحاد»، ينتقد فيه الكاتب حذف موضوع الأقليات الإسلامية ومنها أفغانستان، وإضافة أسماء من غير الإسلاميين الى أسماء بعض الشعراء في مادة اللغة العربية.

- «مطلوب تأجيل النظر في مشروع قانون التعليم»[84]، وهو انتقاد لاذع لوزير التربية والتعليم بالوكالة أحمد الطاير، بدعوته إلى إشراك الجمهور بالحوار حول التعليم العام، كما اعتبرت المجلة قرار الوزير بنقل خمسة وعشرين موظفاً من القيادات التربوية خدمة لأهدافه الفكرية، وذكر المقال أن الغيورين تنبهوا لمغزى قرار الوزير بتعليم اللغة الإنجليزية في الصفوف الأولى، وانتقد المقال تخويل وكلاء الوزارة المساعدين بعدد من الصلاحيات في ما يخص الموسيقى والأنشطة الرياضية. واتهمت المجلة أعضاء لجنة مشكلة من اليونيسكو ومن وزارة التربية لمراجعة المناهج بعدائها للإسلام. وأشار المقال إلى جوقة من الكتاب متنوعة في انتماءاتها الشرقية والغربية تتبنى أفكاراً ليست إسلامية، وتعادي التوجه الإسلامي ورواده في مقالاتها، وهو توجه ينطلق من القرآن الكريم والسنة النبوية، وتسخر من ذوي اللحى والعمائم، وتتشبه بالمجرمين الذين يسخرون من الذين آمنوا.

- للإصلاح كلمة «صحافة تدعو للرذيلة»[85]، تناول الصحافة الإماراتية التي اعتبرتها الافتتاحية أكبر مصدر لنشر الانحلال والفساد:

---

(83) عدد 215 ديسمبر 1992.
(84) عدد 122 مارس 1988 ص 37.
(85) عدد 130 أكتوبر 1988.

«فكم للإصلاح من صولات وجولات ضد الداعين للفساد والإفساد في مجتمعنا المسلم العربي..وكم حذرنا ونبهنا المسؤولين والمواطنين من مغبة التهاون والسكوت، وغض الطرف عن بؤر الفساد ومروجيه، والأدهى صحافتنا اليومية التي يحلو لبعضها أن تضع نفسها باسم الوطن... فهذه الصحف ولعل أبرزها التي تلتحف بثوب الوطنية، هي أكبر مصدر للنشر والدعاية عن هذا الانحلال والفساد، بل وإيضاح أوكاره ومواعيده وسبله». وتنتقد كلمة الإصلاح إعلان إحدى الصحف عن حفل فنانة أجنبية في عدد من فنادق الدولة ويتساءل: «لم اللوم لمن همّه الأول إيرادات الصحيفة لا مصلحة عقيدته ووطنه؟».

تم إيقاف مجلة الإصلاح بعد هذا العدد الساخن عن النشر لمدة ستة شهور من أكتوبر 1988 حتى أبريل 1989.

- افتتاحية الإصلاح «الزي الوطني أم الزي الإفرنجي»[86]، حول الجدل بين وزارة التربية والتعليم وأولياء أمور الطلاب حول الزي المدرسي، وإصرار الوزارة أن يكون الزي الإفرنجي هو الزي الموحد. يربط المقال بين أهداف الاستعمار في أن يترك المسلمون دينهم، والتضييق على التعليم الديني.. وحصار الدين مادياً ومعنوياً، بحيث أصبحت مناصب المعاهد والكليات الدينية متواضعة ومحدودة، وينتقد المقال ابتعاث الطلاب إلى دول غير إسلامية مما يزيد الطالب جهالة بدينه ومُثله ويزيده تعلقاً بقيم الغرب.

---

(86) عدد 130 أكتوبر 1988.

- رسالة الإصلاح «ماحقيقة هذه السفينة»[87]، وينتقد المقال زيارة السفينة لوغوس إلى الإمارات وهي مكتبة متنقلة، ذكر المقال أنه قام بزيارتها عدد كبير من الهنود والإنجليز والبروتستانت، وينتقد المقال احتواءها على كتب دينية مسيحية ويدعو المسؤولين في الإعلام والثقافة إلى الحذر من السفينة.

- «للإصلاح كلمة»[88] دعوة إلى منع الشاليهات وترشيد السياحة، ودعوة إلى الإعلام بالكف عن الدور التخريبي لأخلاق الشباب.

- «حديث الشهر»[89] عن خطر العمالة الوافدة واحتمال تحولها إلى طابور خامس للعدو المتربص.

- «برقية مستعجلة»[90]، وهي موجهة إلى مدير تليفزيون دبي. أحمد حسن «ياخطباءنا الكرام»، العدد نفسه ص 29، تدعو الخطباء إلى تحريم الفن والموسيقى.

- أبو خالد «غلط X غلط»[91] انتقاد سماح الرقابة بدخول الكتب الدينية لأتباع الديانات الأخرى، ومنع بعض المجلات الإسلامية.

---

(87) عدد 12 ربيع الثاني 1399هـ /مارس 1979.
(88) العدد 28 شعبان 1400هـ/ يوليو 1980.
(89) ص 29 العدد 17 رمضان 1399هـ/10 أغسطس 1979.
(90) العدد 28 شعبان 1400 هـ/يوليو 1980. ص 25.
(91) ص 9 العدد 135 محرم 1410/أغسطس 1989.

- «إخفاق المناهج الوافدة في تربية الأجيال. المداد الأخير»[92].

- «إنهم يطمسون الفكر الأصيل»[93] وهو انتقاد للتوجهات الأدبية في المجلات الإماراتية وإقصاؤها للآراء الأخرى (الإسلامية) البناءة.

- مريم عبدالله «الإعلام وفقدان الهوية»[94].

- ش.أ.م «يوميات مدرسة» عدد 124 مايو 1988، ص36 تمتدح موقف والد طالبة قام بمنعها من حضور حصة الموسيقى، وتتساءل لماذا لاتمنع وزارة التربية الموسيقى إذا كانت حراماً، وتشكوا من تأجيل المحاضرات الدينية ضمن الأنشطة اللاصفية في الوقت الذي تسارع فيه إدارة المدرسة إلى إقامة حفلات الرقص والغناء.

- خليفة محمد «هل هذا هو الإلحاد العلمي»[95]، حول استبيان قامت به جمعية إماراتية جرى توزيعه على طلاب الثانوية والجامعة وتضمن أسئلة حول الجنة والنار وخلق الكون والمسائل الجنسية، والتشدد الديني وهل تشكل تلك القضايا مشكلات حقيقية للطالب أم لا. اعتبر الكاتب أن الاستبيان قصد منه زعزعة ثقة الأبناء في دينهم وشرائع الإسلام السمحة.

---

(92) عدد 135: محرم 1400 هـ/نوفمبر 1979. ص 50.
(93) العدد 12 ربيع الثاني 1399 هـ/فبراير 1979.
(94) عدد 215: ديسمبر 1992.
(95) عدد 124: مايو 1988. ص 6.

- أمل أحمد «إلى القائمين على برامج التليفزيون»[96]، تنتقد في مقالها ما وصفته بـ «الزبالة» التي يعرضها التليفزيون، مثل الرسوم المتحركة للأطفال التي تعرض الحب بين القطة والفأر، وتشكك في إيمان المسؤولين في التليفزيون، وهل هم أعداء حقيقيون أو جرى تصنيعهم لتدمير أهل البلاد في عقر دارهم.

- «اعترف ولم يصرح»[97]، كلمة المحرر، يذكر المقال شكوى أستاذ جامعي من عدم الإقبال على الأمسيات الشعرية، وقد ربط الكاتب ذلك بوعي شباب الصحوة الإسلامية ودور مراجعة المناهج الوطنية في وزارة التربية بذلك.

- أبوياسر «أريد أن أقول»[98]، ينتقد المقال قيام وزارة التربية بعمل أنشطة مدرسية تشمل الموسيقى والرقص والغناء، كما يشنّع على شركات أجنبية تعمل في الإمارات تنشر إعلانات تشترط أن يكون المتقدم للعمل من أوروبا وامريكا. ويذكر أن شركة تشترط على المسلمين المتقدمين حلق لحاهم للحصول على الوظيفة.

- «أسئلة وردود»[99] فتوى حول مسؤول يشغل وظيفة مهمة يصف صلاة الاستسقاء بالخرافة.

---

(96) عدد 122؛ مارس 1988. ص 11.
(97) عدد 125 مايو-يونيو 1988.
(98) عدد 12 ربيع الثاني 1399/11مارس 1979. ص 44.
(99) عدد 122 مارس 1988ص 45.

- علياء سلطان «لماذا هذه الدعوات المشبوهة»[100]، وهو تعليق على دعوة مخرج تليفزيوني ومسرحي اسمه عبداللطيف القرقاوي للفتاة الإماراتية للإقبال على المسرح، وتعتبر الكاتبة دعوته دعوة إلى الفجور والفساد.

- كلمة الإصلاح «حول مهرجان الربيع الكبير في الشارقة»[101]:
«افتتاح مركز اكسبوا في الشارقة،تحت رعاية جمعية الاتحاد النسائية بالشارقة وسوف يحييه نخبة كبيرة من الساقطين والساقطات..فيفي عبده وشادية، بالنغم الشعبي الأصيل، وريعه سوف يكون لأفغانستان... في الوقت الذي تتعرض فيه بوابة من أهم بوابات العالم الإسلامي للغزو الروسي، من يقيم حفلات الرقص الماجن والغناء المبتذل.. ويطالب المقال الجهات المسؤولة في الدولة بإيقاف هذا الفساد».

---

(100) عدد 24 ربيع الثاني 1400 هـ/مارس 1980. ص 48.
(101) عدد 24 ربيع الثاني 1400 هـ/مارس 1980.

خاتمة

يعتبر إخوان الإمارات أن فرع جمعية الإصلاح برأس الخيمة الممثل الوحيد لهم، والحاضن لأفكارهم وكوادرهم، خلافاً لفرعي دبي والفجيرة[102]، وبعد 1994 اتخذت دبي موقفاً في المنتصف عبر تجميد أنشطة الجماعة وتقليص أذرعها وخفض صوتها المعارض واحتواء بعض المبعدين منهم من التعليم ومن أحيلوا للتقاعد من موظفي وزارة التربية والتعليم، وإعادة توظيفهم في الحكومة المحلية[103].

كانت أبو ظبي قد أحجمت عن السماح لجمعية الإصلاح بافتتاح مقر لها على أراضيها في السبعينات، تؤكد تجربة الإمارات مع التحديث الذي خاضت غماره منذ 1994 أن خلو دولة الإمارت العربية المتحدة من نفوذ إسلامي مسيَّس – سواء كان تياراً أم تنظيماً أم حزباً قادراً على حشد الأتباع– هو ما سمح لها بخوض تجربتها مع التحديث من دون أي معوقات تعاني منها دول إسلامية وعربية أخرى نابعة من تسرطن المد الديني والفكر الإخواني.

وفي العام 2004 نشر محمد المنصوري كتيباً يشرح تاريخ جمعية الإصلاح بالإمارات. سعى الكتاب إلى شرح دعوة الجماعة وإنجازاتها منذ

---

(102) سلطان كايد القاسمي، لقاء خاص، مركز الإمارات للدراسات والإعلام 27 ديسمبر 2005.
http://www.emasc.com/content.asp?contentid=43

(103) قامت حكومة دبي في الأعوام الثلاثة الأخيرة بإعادة توظيف 16 من أصل خمسين أحيلوا للتقاعد من وظائفهم في وزارة التعليم. محمد الركن.مصدر سابق.

تأسيس جمعية الإصلاح، ولكن الكتاب لم يشر بكلمة واحدة إلى انتماء جمعية الإصلاح والقائمين عليها إلى الإخوان المسلمين[104]!

تعرّض الإخوان المسلمون في الإمارات لضغوط كثيرة، ناتجة عن غموض موقفهم من الولاء للمرشد والبيعة، وازداد موقفهم حرجاً في السنوات الأخيرة، مما دفع قيادات الجماعة إلى عقد اجتماعات كثيرة لإيجاد حلول للوضع المتردّي. وفي أوائل 2009 قررت جمعية الإصلاح برأس الخيمة نشر منهج الجماعة التربوي، والكتب التي يدرسها كوادرها ويتربون عليها، وإظهارها للعلن والجمهور نهاية العام 1-10-2009، وحتى كتابة هذا البحث لم تنشر الجمعية شيئاً من ذلك[105].

يؤكد الإخوان الإماراتيون على أن الجماعة اليوم قد نضجت كثيراً مقارنة بحالها في تسعينيات القرن الماضي، وأن اهتمامات (أبناء الإصلاح) تنصب في الآونة الأخيرة على سيادة القانون، وحقوق الإنسان، ومؤسسات المجتمع المدني، وأنهم في مجال الأفكار قد مروا بمراجعات كبيرة تستأنس مخالفي الأمس ولا تعاديهم وتنسق معهم في صالح المجتمع والوطن[106].

---

(104) صدر الكتيب في 136 صفحة، بلغت صفحات الكتاب قبل الطباعة 378 صفحة، ولكن قيادات الجماعة رأت أن حجمه كبير ولن يشجع الجمهور على قراءته (المنصوري، لقاء).

(105) باستثناء الظهور الإعلامي لكل من حمد الرقيط وأحمد الحمادي على قناة الحوار الذي أذيع كما سبق في منتصف مايو 2010.

(106) محمد المنصوري.لقاء.

في لقاء أجراه برنامج حديث الخليج في قناة «الحرة» أكد د. سعيد حارب وهو من قيادات جماعة الإخوان المسلمين في الإمارات، أنه لابد من الاستفادة من الفكر الليبرالي والماركسي لأنه فكر إنساني لايختلف عن الفكر الإسلامي، وأنه لابد من التفريق بين الدين الإسلامي والفكر الإسلامي. كما طالب بتجديد الخطاب الديني الإسلامي وتحدث عن ردة حصلت تسببت بتجميد محاولات التجديد في الإسلام[107].

اقتنعت الجماعة أنها تمر بمرحلة حرجة تتطلب الوضوح والصراحة مع الحكومة والجمهور، حتى لا تكون عرضة لسوء الفهم، في فترة انحسار التأثير، وتمرّد الأتباع والكوادر، كما يعاني منها التنظيم الأم في السنوات الأخيرة[108]، وفي الظهور الأخير لاثنين من قيادات الإخوان في مايو 2010 على قناة الحوار نفى حمد الرقيط أن يكون للجماعة أي ارتباطات خارجية ولا برنامج خاص ولا سري، لأن التقنيات الحديثة والعيون الساهرة وربط الأجهزة الأمنية ببعضها تسمح للسلطات بمعرفة كل مايجري من دون خفاء أو سرية، ويؤكد الحمادي أن كل ما يشاع عن تنظيم سري للجماعة هو تحامل وتلبيس من إبليس مبعثه الحساد والوشاة [109].

---

(107) حديث الخليج. قناة الحرة.مارس 2009.شاهد هذا المقطع من اللقاء على يوتيوب:
http://www.youtube.com/watch?v=__52xKtPArCQ

(108) محمد الركن.لقاء بدبي. ومحمد المنصوري. لقاء .

(109) قناة الحوار. مصدر سابق.

الإخوان المسلمون في البحرين تحولات العقود السبعة

غسان الشهابي(*)

في الشهور القليلة الماضية، زاد عدد المواضيع والكتابات الصحافية التي تتحدث عن جماعة الإخوان المسلمين في البحرين، دراسةً وتمحيصاً وتتبعاً وتأريخاً وتحليلاً. وتشير بعض هذه الكتابات إلى أنها تأتي في إطار احتفال الجمعية بعامها السبعين. وحتى إن استعجلت هذه الصحف الاحتفال قبل حوالى السنتين من حلول موعده[1]، وذلك تحت ضغط المتطلبات الصحافية أحياناً، إلا أن موضوع تعقب وتقصّي الحالة الإخوانية في البحرين تبدو مغرية لسبر أغوارها، شأنها في ذلك شأن الكثير من التنظيمات الموجودة على الساحة المحلية، التي يكتنف بعض مفاصلها الغموض.

تعيش جمعية الإصلاح (الجهة التي تضم المنتمين لتيار الإخوان

(*) كاتب بحريني.

(1) في العام 2011 سيكون قد مر سبعون عاماً على إنشاء جمعية الإصلاح في البحرين.

المسلمين) اليوم بعضاً من تجليات قوتها، وتمثلها الواضح على الساحة السياسية والتنظيمية، أو «الفترة الذهبية» بحسب وصف أحد قيادييها[2]. ففي الوقت الذي يرى البعض أن الجماعات الإسلاموية (كما يطيب لعدد من الدارسين تسميتها) قد بلغت أوج مجدها، وغاية ما يمكن أن تصل إليه من قدرة وتأثير، وأنها في سبيلها إلى التراجع والانكفاء، مثلما هي السيرورة الطبيعية للتيارات الفكرية[3] مع تساؤل فقط عن المدى الزمني اللازم لبدء أفول هذه الحركات. يرى مناصرو التيار أن هذا الاستمرار، ولأكثر من ثلاثة عقود من الهيمنة على الساحة المحلية في البحرين، كما هو الوضع في ساحات أخر، استمراراً لوعد الله بوراثة الأرض.

فقد أثرت المتغيرات الإقليمية والعالمية في بروز القوى الدينية عالمياً، وقادت «الصحوات» وحركات الرجوع إلى الدين التي تبّدت في الوطن العربي من بعد هزيمة 1967، إلى زيادة النطاق الذي استقطب أعداداً كبيرة من الشارع العربي إلى الجماعات الإسلامية، التي لم تجرَّب من قبل، لا في الحكم بشكل مدني متقدم، ولا في تمثلها الواضح في القنوات الإدارية، ولا أيضاً في خطاب سياسي أو اجتماعي علني شجاع غير هيّاب من الملاحقة والتنكيل.

إلا أن «إخوان البحرين» بقوا على طول المدى حالة مختلفة عن

---

(2) النائب الإخواني في مجلس النواب البحريني ناصر الفضالة في لقاء أجرته معه صحيفة «البلاد» بتاريخ 5 نوفمبر 2009.

(3) باقر النجار، الحركات الدينية في الخليج العربي، دار الساقي، 2006.

نظائرهم الإخوانيين لا في الدول العربية والإسلامية وحسب، بل حتى مقارنة بأقرب الجمعيات الإخوانية في الإقليم نفسه، وذلك من خلال علائقهم بالسلطة، فيما تأرجحت علاقتهم بالمجتمع لفترة ليست بالقصيرة، ولكن الأمور ما لبثت أن مالت إلى جانب التيار نفسه في العقود القريبة.

في دراستنا هذه التفتنا إلى التتبع التاريخي للعقود التي مرّ بها الإخوان في البحرين، وكيف تحولت وتبدلت الشعارات والأهداف والمرامي، وكيف جرت السنون على التيار تتسبب في تراجعه وانزوائه أحياناً، وفي تمدده وقوته أحياناً أخرى. مستعرضين – قدر الإمكان – بعض المؤثرات الموازية، والظروف المحيطة بالحالات التي مر بها الإخوان عبر ما توفر من شهادات ومصادر وملاحظات.

ولعلَّ هذه الدراسة تسهم في إيضاح صورة الإخوان المسلمين في البحرين، وهو موضوع بحث ليس بالجديد تماماً هنا، وإن لم يخضع للكثير من الدرس المعمّق من جميع الأطراف[4]، ولكن تم الانكشاف على الإخوان المسلمين من خلال كتابات متناثرة بدت أولاً في الصحف، أعقبتها جملة من الملفات السياسية، التي كانت تدرس الحراك السياسي والديني

---

(4) ما تزال وجهات نظر الإخوان المسلمين في البحرين غائبة (وليست مغيّبة) عن الساحة في دراسة الجماعة والجمعيّة. وتقتصر الإشارات الآتية من الإخوان هنا على التعليقات أحياناً على ما يُنشر عن التيار، وغالبية هذه التعليقات لا تذهب إلى الصحف الناشرة بقدر ما تنشر في المواقع الإلكترونية التابعة للتيار نفسه أو في النشرات الصادرة عنها، وهي بطبيعة الحال نشرات ذات نطاق توزيع محدود. ولا نجد تفسيراً مقنعاً يبرر عدم تصدي جمعية ذات تاريخ طويل وعدد أعضاء يربو على 375 جلهم من المتعلمين والجامعيين الشباب، عن وجود باحثين في الحركة من الداخل يقدمون ما تعتقده الجماعة أنه يمثلها حق تمثيل وبشكل علمي بعيداً عن الردود الشخصية والذاهبة – في الغالب – صوب الإنشائية واتهام من يكتب عنهم بعدم الدقة والتجني.

في أعقاب الانفتاح السياسي المعروف بالمشروع الإصلاحي لملك البحرين، والذي دُشن في العام 2001 بالتصويت على ميثاق العمل الوطني، وبدء الحراك السياسي الرسمي، وخروج أذرع سياسية لعدد من الجمعيات الدينية، ومنها جمعية الإصلاح. وانتهاء بوضع الدراسات المعمّقة لهذه الجمعية طرقاً لها من أكثر من باب، وإن بدت محتاجة أكثر إلى الغوص الداخلي في التجربة وليس مشاهداتها من الخارج.

البذور الأولى

المنطقة 91، هي النطاق الجغرافي الذي يضم البحرين بحسب التنظيم العالمي للإخوان المسلمين. وتعتبر البحرين واحدة من الدول المبكرة في التعرف على الحركة، التي أنشأها حسن البنا في مصر وأول دولة خليجية تتعاطى مع الفكر الإخواني. إذ تتواتر المعلومات، التي يوردها الدارسون للحركة، بأن الشيخ عبد الرحمن الجودر هو أول بحريني (وربما خليجي) يلتقي بالمؤسس حسن البنا، عندما كان في بعثة دراسية إلى مصر. ويحاط هذا اللقاء بجو من الغموض بما فيه من إيحاءات. فينقل عن رئيس جمعية الإصلاح في البحرين، الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة، أن اللقاء الذي تم بين الشيخ الجودر والبنا لم يكن محض صدفة، بل كان مرتباً له «من قبل الكوادر المستترة في البحرين»[5]. ولا تشير هذه المصادر إلى طبيعة هذه العناصر ودورها، ولكنها – إن صحّت الرواية – فربما تكون من المعلمين المصريين الذين آمنوا بخط الإخوان، قبل أو أثناء وجودهم في البحرين، وتوسّموا في الشيخ عبدالرحمن الجودر القابلية للانضمام إلى

---

(5) أنظر: مجلة الإصلاح، العدد 121، يونيو 2004.

التيار وتأسيس فرع له في البحرين خلال دراسته هناك.

وواضح أن هذا الحراك، الذي قام به الشيخ الجودر، لم يغطّ بما فيه الكفاية، ربما لنقص الخبرة التنظيمية الحركية، أو لعدم تقدير لحقيقة دور البنا السياسي في مصر. إلا أن المحصلة النهائية تشير إلى أن هذا الاتصال لم يرُق للمخابرات البريطانية التي كانت موجودة بكثافة في كل من القاهرة والمنامة، مما أسفر عنه سحب البعثة الدراسية للشيخ الجودر في العام 1946[6].

ويبدو من السرد التاريخي لجملة المصادر، أن نادي الطلبة (الذي تحولت تسميته تالياً بضع مرات قبل أن تسمى في نهاية المطاف بـ «جمعية الإصلاح»)، قد تأسس قبل سفر الشيخ الجودر إلى مصر، وذلك في العام 1941، وإن كان الجودر واحداً من مؤسسيه[7]، ودخل الفكر الإخواني إلى النادي في فترة لاحقة، مع حركة الشيخ الجودر في أوساط المقربين إليه،

---

(6) يشير محمد البنكي إلى هذا الأمر بالقول إن الأسباب التي أدت إلى قطع بعثة الشيخ الجودر أتت على خلفية تقرير استخباراتي بريطاني إلى إدارة المعارف في ذلك الوقت يقول إن «بعثات مصر غير مناسبة نظراً لاشتراك بعضهم في جماعات دينية ذات أهداف سياسية». انظر محمد البنكي، «الإخوان المسلمون وهيئة الاتحاد الوطني 2»، صحيفة الأيام البحرينية، 2004/01/14.

(7) أبرز الأعضاء المؤسسين لنادي الطلبة هم: الشيخ خالد بن محمد آل خليفة، والشيخ دعيج بن علي آل خليفة، وعبدالرحمن الجودر، وجاسم الفائز، وأحمد الفائز، وعبدالله إبراهيم الدوي، وحرز الشوملي، والأستاذ محمد الذوادي (بودوس)، وجاسم عبدالعزيز المناعي، وأحمد المحميد، ومحمد مطر علي مطر، وعيسى الجامع. أما أبرز الشخصيات التي تولت رئاسة النادي حسب التسلسل فهم: الشيخ خالد بن محمد آل خليفة، ثم الشيخ دعيج بن علي آل خليفة، ثم صالح الزياني (أثناء تحويل مسمى النادي من نادي الطلبة إلى نادي الإصلاح)، وبعده الشيخ عبد الرحمن بن محمد آل خليفة، ثم حسن أبل، ثم عبدالرحمن الجودر، وحسين محمد حسين بالتناوب، ثم عيسى أحمد المحميد، ثم تولى الشيخ عيسى بن محمد رئاسة النادي بعد تخرجه من مصر عام 1963 وإلى يومنا هذا وفي عهده تحول مسمى النادي من نادي الإصلاح إلى جمعية الإصلاح(وليد صبري، صحيفة الوطن البحرينية، 2008/4/21).

مسنوداً ببعض المعلمين المصريين الذين كانوا منتمين إلى التيار نفسه[8].

الصدام المبكر

لم يكن الفكر الإخواني قد انتشر في البحرين بشكل كبير في البدايات. إذ بقي محصوراً في جزيرة المحرق، آخذاً في نشر مفاهيم ومبادئ تأسيس الأسرة المسلمة الصالحة[9]، وهذه المسألة استمرت مع جماعة الإخوان لعقود طويلة، إذ ذهبوا كثيراً إلى مسائل التربية الأسرية، وكذلك التربية المدرسية، فانخرطوا في سلك التعليم بكثافة نسبية.

ولكن الجماعة التي لم تكد تنهي السنوات العشر الأولى على تأسيسها؛ واجهت أول الاختبارات المريرة في العام 1954، حيث كان المد القومي في أوجه، وكان الشارع البحريني - والمحرّقي على وجه الخصوص- ناصرياً إلى درجة كبيرة. ومع ذلك لم يكن هناك من تنافر بينه وبين الجسم الإخواني الصغير الوجود، حتى وقوع ما عُرف بحادثة المنشيّة التي لا تزال تثير الجدل بين الإخوان ومناهضيهم، والتي استهدف فيها الرئيس جمال عبدالناصر، فوقعت القطيعة الكبرى بينه وبين الإخوان، وأدت الحادثة إلى اعتقال جملة من قيادات وجماعة عظيمة من عناصر الإخوان في مصر.

قبل حادثة المنشية بأيام، كان عبد الناصر قد وجد طريقاً

---

(8) تذكر سيرة الإخوان في البحرين بعض المعلمين المصريين منهم مهدي علام، ومصطفى الشوا في وغيرهما على أنهم من الذين عملوا على نشر الفكر الإخواني في البحرين في فترات مبكرة. وقاد الحماس الأستاذ علام ليلقي خطبة في العام 1948 بعيد نكبة فلسطين، ما دعا السلطات الإنجليزية هنا إلى إبعاده. محمد البنكي، مصدر سابق.

(9) عباس ميرزا المرشد، جمعية المنبر الإسلامي في البحرين: من النادي إلى الحزب - دراسة في تنظيم الإخوان المسلمين في البحرين، مركز الدراسات اللبناني، دراسة منشورة إلكترونيا.

مفتوحاً إلى قلوب الجماهير العربية، بعدد من المواقف العروبية المناهضة للاستعمار، وقبل حادثة المنشية قام بتوقيع اتفاق الجلاء مع بريطانيا لسحب قواتها من مصر في 19 أكتوبر 1954، فكانت محاولة اغتيال الزعيم العربي تعني اختلال كيان الأمة. فنقم الجمهور البحريني على حاملي فكر الإخوان بشكل عام، وتبدت هذه النقمة عندما خرجت مظاهرات في 28 أكتوبر 1956 تأييداً للثورة الجزائرية، ومن دون سابق إنذار، ولا علاقة وطيدة بين الإخوان المسلمين عموما والثورة الجزائرية، تم رشق مقر نادي الإصلاح بالحجارة[10].

أصبحت هذه الحادثة بالتحديد من أكثر الحوادث التي سببت العزلة لجماعة الإخوان المسلمين، الذين لم يكونوا ليشكلوا ثقلاً في ذلك الوقت. ولو أضيف إليها أن هيئة الاتحاد الوطني كانت قد تأسست الشهر نفسه، التي أخذت شعبية طاغية في الفترة التي كانت تعمل فيها (1954 – 1956)، ونفورها من جماعة الإخوان، خصوصاً وأنها ترتبط فكرياً بالقاهرة، لعلمنا بحجم المعاناة والانكفاء الذي عاشته جماعة الإخوان المسلمين في البحرين، محاطين – من الداخل والخارج – بجملة من المحاصرات التي كادت أن تنهي وجودهم في هذا البلد.

كان البحرينيون المتحمسون للناصرية والقومية العربية –المشكلة للتيار الأقوى بلا شك في منتصف القرن العشرين– يتلهفون لقراءة الصحف والمجلات المصرية على وجه التحديد، وينتظرون صدورها

(10) باقر النجار، الحركات الدينية في الخليج العربي، ص 37.

ومجيئها إلى البحرين، مثل «روز اليوسف»، و«صباح الخير»، و«آخر ساعة»، وغيرها من المجلات والصحف التي تصدر في تلك الفترة، وتحمل وجهة نظر النظام في معاركه ضد مناوئيه، ومن جملتهم الإخوان المسلمون. انعكس ذلك الموقف المصري على الداخل البحريني. وربما لا تكاد تخلو دراسة حديثة عن الإخوان المسلمين في البحرين من إشارة إلى واحد من أشهر الكتب السياسية الكلاسيكية محلياً لعبدالرحمن الباكر وعنوانه «من البحرين إلى المنفى»[11] يشن فيه الباكر هجوماً لاذعاً على إخوان البحرين، مشيراً إلى أنهم أشد خطراً على المجتمع من الشيوعيين[12]. إلا أن القارئ المتفحص لهذه المقولة يرى أن الباكر قد خلط بين موقف الإخوان المصريين وفصيلهم العسكري، وما راج عن محاولاتهم الانقلابية؛ وبين أخوان البحرين الذين لم يكن لهم يوماً ما أي حراك عسكري، بل ولا حتى سياسي واضح، إلا في بعض القضايا الخارجية التي تتقاطع مع اهتماماتهم الإسلامية كما سيأتي لاحقاً.

وقد اتخذ الباكر هذا الموقف نتيجة لنظرة الإخوان للهيئة الوطنية

---

(11) صدر الكتاب في طبعته الأولى من دار مكتبة الحياة (بيروت) العام 1965، وبقي يتداول بشكل شبه سري. حتى أعيدت طباعته مجدداً من قبل دار الكنوز الأدبية في أكتوبر 2002. وتكمن أهمية الكتاب في تسجيله للكثير من التفاصيل التي أحاطت بنشوء هيئة الاتحاد الوطني (1954 – 1956)، من قبل سكرتيرها (الباكر) الذي نفي إلى جزيرة سانت هيلانة قبل أن يطلق سراحه مع بعض زملائه ويتخذ من بيروت مستقراً له.

(12) غالباً ما تنقل هذه الفقرة من كتاب «من البحرين إلى المنفى» للتدليل على ما يحمله التيار القومي لجماعة الإخوان من موقف، لا سيما على لسان واحد من أبرز قياداته «وفي نظري أن الإخوان المسلمين وحركتهم الهدامة أشد خطورة على العرب والمسلمين من (الشيوعيين)؛ لأن الشيوعية مبدأ ينفر منه العربي والمسلم لكونه يخالف دينه وتقاليده وحياته الاجتماعية التي عاش فيها، ولكن دعوة الإخوان المسلمين دعوة دينية تفرق بين العربي وأخيه العربي.. إن دعوتهم إلى حكم الدين يتسترون وراءها للوصول للحكم». عبدالرحمن الباكر، من البحرين إلى المنفى، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص 268.

في تلك الفترة، إذ كانوا يخشون أن تكون امتداداً للحركة الناصرية، بينما فسر عبد الله أبو عزة هذا الموقف على أنه راجع لاتهام الإخوان للهيئة بأنها في طريقها لتصبح «سُلماً لأغراض الشيعة الرامية إلى السيطرة على مقدرات البلد»[13].

وقد انتشر في المحرق أساساً أن المنتمين إلى التيار الإخواني كانوا في حالة تشفي من النظام الناصري، للإخفاقات السياسية والعسكرية التي تعرض لها، وكان أبرزها ما تمخضت عنه حرب الأيام الستة (النكبة)، وبلغ الأمر ذروته بوفاة جمال عبدالناصر (28 سبتمبر 1970)، حيث قيل إن بعضاً من قيادات الإخوان هنا وزعوا الحلوى داخلياً، وأقاموا ولائم ابتهاجاً بهذه المناسبة[14]. وهذا ما لم يثبت من خلال اللقاءات الشخصية مع بعض كوادر الإخوان الذين نسبوا هذه المعلومات إلى محاولات شعبية لتشويه صورتهم وضرب مزيد من الحصار حولهم.

بقي إخوان البحرين في حالة من الكمون، والعمل المحسوب المخاطر في الانتشار البطيء، وسط نفور عام من المحيط الذي يعملون فيه في الغالب، وهو المحيط السني في مدينة المحرق أساساً، وبعض المناطق القريبة.

انفتاح الأفق

(13) ندى الوادي، القوة الصاعدة، إصدارات الوسط، 2008، ص 37، نقلاً عن كتاب عبدالله أبو عزة «الحركة الإسلامية في الدول العربية». ولا نجد لهذا التفسير من قبل الباحث أساساً على الأرض، لأنه من المعلوم لمتتبعي تاريخ الهيئة أن المفاتيح الرئيسة فيها، والشخصيات المحركة للأحداث كانوا من المنتمين إلى المذهب السني، حتى وإن تقاسم المذهبان الرئيسان مجلس إدارة الهيئة بالتناصف.

(14) باقر النجار، الحركات الدينية في الخليج العربي، ص 37.

أتى عقد السبعينيات وانتصف، فبدت الأمور بالنسبة للإخوان المسلمين أكثر ملاءمة لانطلاقة أكبر من السابق، إذ ازداد اهتمام الناس عموما بالتدين، وبدأت الأشرطة المسموعة والكتب الدينية الرخيصة الثمن، والمجانية أحياناً تأتي تباعاً من الخارج، وأثرت الوفرة المالية التي تأتت بعد ارتفاع أسعار النفط، نتيجة للحظر على التصدير في حرب أكتوبر 1973، على انشغال المجتمعات الخليجية في البحث عن الأرباح والاستثمار ورخاء العيش، والوظائف الأفضل دخلاً، والانشغالات الحياتية. فقد قلبت هذه الوفرة الحياة في المنطقة رأساً على عقب، ووفرت رفاهاً للشعوب لم تعرفها المنطقة من قبل. وهذا ما خفف – نسبياً – انجذاب الجماهير للجوانب السياسية والحركية عما كانت عليه قبلا. وهذا أيضاً ما صبّ أموالاً هائلة في حجر الجمعيات الإسلامية للأعمال الخيرية والإغاثية، مما جعل جمعية الإصلاح قادرة أكثر من أي وقت على التحرك في الأوساط الشعبية.

بقيت الكويت بالنسبة لإخوان البحرين من أهم المحطات التي تتزود منها الحركة بالأنساق الجديدة؛ للتعايش والانتشار والتأثير. فعلى الرغم من أن التنظيم في البحرين سبق الكويت بعقدين، بل واستمدت الجمعية الكويتية اسمها من شقيقتها البحرينية[15]؛ إلا أنها سرعان ما تقدمت على نظيرتها البحرينية فكرياً ومالياً، وذلك لانفتاح الكويت على

(15) – يذكر الموقع الرسمي لجمعية الإصلاح الاجتماعي الكويتية، أنه في 30 يونيو 1963 اجتمع ثلاثون رجلاً من الكويتيين وتدارسوا في عملية «قيام كيان إسلامي في هذا البلد الطيب ليسهم في الحفاظ على دين وأخلاق المجتمع. واتفق الحضور على تأسيس جمعية جديدة باسم (جمعية الإصلاح الاجتماعي) – حيث كانت امتداداً طبيعياً لجمعية الإرشاد التي تأسست في 1372 هـ الموافق 1952». وقد جرى إشهارها رسمياً في 1963/8/4.
http://www.eslah.com/new/who.php

الكثير من الدول العربية، مما أسهم في اشتغال عدد كبير من الشوام والمصريين فيها، ومن مختلف التيارات، ومن بينها تيار الإخوان المسلمين، الذين نقلوا تجارب متقدمة إلى الكويت، ومنها أتت إلى البحرين. وربما واحد من أهم الأمثلة في هذا الصدد هو تعرف الفتيات في البحرين على الحجاب، الذي بدأ في الانتشار في المنطقة تأثراً بالتجربة الكويتية المستمدة من التجربة السورية أساساً[16].

مع منتصف السبعينيات، بدأت التيارات اليسارية والقومية في التراجع، وتعرّض بعضها لضربات أمنية شديدة بعد انهيار التجربة الديمقراطية وحل المجلس الوطني المنتخب في أغسطس/آب 1975، وذلك تزامناً مع النهوض الإسلامي الذي توفر في بعض الدول العربية، مثل المساحة التي أعطاها الرئيس المصري الراحل أنور السادات للجماعات الإسلامية قبالة إنهاء «مراكز القوى» الناصرية، والتيارات القريبة منها فكرياً.

تساوق ذلك مع اتفاقات وُقعت بين الدول النفطية الخليجية ومصر التي خرجت لتوها من حرب أكتوبر، وذلك بفتح أبواب أوسع لتوظيف المعلمين – أساساً - في هذه الدول، للإيفاء بحاجاتها التي تنامت

---

(16) «تقول (سعاد) المير، إحدى المنتميات إلى جمعيات الإصلاح، وواحدة من أوائل من ارتدين الحجاب في البحرين: «كانت تلك الفترة فترة اكتشاف جديد بالنسبة لي، فلقد سافرت مع مجموعة من أخواتي إلى الكويت، فرأينا الحجاب – بشكله الذي اتخذناه بعد ذلك – بادئاً في الانتشار في تلك الأيام (...) كن يرتدين الحجاب (المنديل) المثبت على الرأس، مغطياً كامل الشعر، ومن فوقه تلبس العباءة الخليجية المعروفة». كأنها وقعت على مفتاح اللغز، كأنها وقد كُشف عنها الغطاء وأبصرت ما كانت تبحث عنه، عندما تقول: «كان ذلك إجابة على الكثير من التساؤلات ونهاية لحيرة الملبس الذي يتواءم معنا» (غسان الشهابي، معارك الحجاب وصعود نجم الحشمة، صحيفة الوقت، 15 مايو 2007، العدد 449).

مع تنامي مداخيلها النفطية ونهضتها لإنشاء المدارس والمعاهد وغيرها، فجاء –من ضمن من جاء إلى المنطقة- من يحملون فكراً دينياً أخوانياً، فتعززت قوة التيار على أكثر من صعيد ولأكثر من عامل.

لم يكن للفكر الإخواني في البحرين أن يستمر في الأوقات الحرجة التي وجد فيها المحاصرة الاجتماعية، لو لم تكن له أسانيد مختلفة، تمثلت في وجود عدد من أفراد الأسرة الحاكمة على سدة رئاسة النادي (الجمعية لاحقاً)، وإن كانوا قلة عددية. وكذلك أفراد من التجار والوجوه المعروفة، وهو ما شكل ضمانة للسلطات المحلية بأن هذه الجماعة – حتى ولو أنها كبرت وتمددت وتماسّت مع الفكر الإخواني – لن تكون قوة مقلقة أو ستمارس ما يقلق السلطات يجعلها تخشى منها التفافاً.

والأمر الآخر، الذي ضمن للجماعة الاستمرار، هو ثنائية المصاهرة والأثنية. فقد لعبت المصاهرة دوراً مهماً في ربط وشائج المنتمين إلى التيار الإخواني، وشكل لحمة مهمة في تكوينه الأساس. وهذا ما أدى – في نهاية المطاف إلى سيادة أحد المكونات الأثنية للمجتمع البحريني على تكوين الجمعية، ممثلاً في الهولة[17].

فعلى الرغم من انزواء العشائرية في البحرين إلى حدود ضيقة، وتمتع المجتمع بعلاقات مدنية، أكثر من غيره من المجتمعات الخليجية المشابهة التكوين، إلا أن مسألة التزاوج تظل محفوظة بشيء من التفضيل

(17) العرب والإيرانيين الذين كانوا يسكنون ساحل فارس، وتحوّلوا منه إلى الساحل الغربي من الخليج العربي.

لجانب العرق الواحد، وبعض التراتبية والطبقية في العرق نفسه أيضاً من حيث «النقاء» أو «الأصالة» (الحسب)، أو للوضع المادي.

وبينما كانت الغلبة في بداية تأسيس نادي الطلبة، وبعدها بسنوات، للعرق العربي من البحرينيين، فإن السنوات التالية بدأت الكفة فيها تميل إلى جانب العرق الهولي، وهذا ما تفصح عنه أسماء الأسر التي تشكل الغلبة الطاغية للأعضاء. وزاد الأمر في ترابط أعضاء الجمعية بالمصاهرة. وهذا واضح من خلال تتبع جملة من الشرائح، ومن بينها شريحة الوجوه البارزة في الجمعية التي تصدت للعمل الخيري والتربوي والسياسي في وقت لاحق، بدءاً من العام 2002 عندما شكلت جمعية الإصلاح ذراعها السياسي: جمعية المنبر الإسلامي.

وفي العمل السياسي (سيأتي عليه الحديث لاحقاً) يمكن استلال مؤشر على غلبة هذه الإثنية من خلال المترشحين الذين فازوا في المجلسين النيابيين (2002 و 2006) والذين دفعت بهم جمعية المنبر الوطني الإسلامي كخيرة ممثليها، وهي الجمعية السياسية المكون مجلس إدارتها الأحد عشر من الإثنية ذاتها.

وربما لهذا الأمر عدة تفسيرات، أحدها أنه في اللاوعي الهولي - إن صح التعبير - هناك نوع من الشتات الذي يعيشه الفرد منهم. فهم - على الرغم من أصول بعضهم العربية القديمة - لا يعترف العرب كثيراً بعروبتهم وأصولهم، وينسبونهم إلى فارس، وهم ليسوا إيرانيين، فلا هم إلى الشيعة فيكونون جزءاً من منظومة ترعاها إيران، ولا هم من العرب

في البحرين، الذين تمتد أنسابهم إلى رمال العربية السعودية. ربما حالة الشتات هذه والإنكار من طرفي المعادلة في البحرين دفعتهم إلى المزيد من التعليم، وإلى الأخذ بالتجارة والأعمال الرفيعة نتيجة التعليم الأفضل، لأن لاوعيهم يرى في هذا المنهاج السبيل الوحيد للنجاة والبقاء على أسباب المنعة. ولكن عملية الارتباط التاريخي ليست منتظمة، فهناك عنصر هولي لا يمكن أن يخطأ في الحركات المعارضة، ويمكن الرجوع إلى مرحلة الخمسينات ودورهم في الهيئة العليا للتعرف على أسماء عدد منهم بشكل صارخ لا يقبل اللبس، كما أنهم كانوا كوادر أساسية في «الشعبية» و«التحرير» وقبلهما حركة القوميين العرب[18].

قد لا يرتاح بعض الباحثين إلى هكذا تقسيمات إثنية في الجمعيات السياسية[19]، من جهة عدم وجود نسب علمية دالة، إلا أن المسح الاجتماعي يمكن أن يعطي دلالة في هذا السياق، وهو تكاتف عاملي الإثنية والنسب في مؤسسات معينة، سواء كانت ثقافية أو سياسية أو دينية أو حتى في جانب المؤسسات ذات الطبيعة الاقتصادية، وفي هذا محاولة طبيعية في التسوّر بأهل الثقة أولاً لحماية المشروع من التصدع والاختراق.

الانبعاث الحقيقي

(18) تعليق لغسان الشهابي، دراسة عباس ميرزا المرشد، مصدر سابق.

(19) «هناك أحكام هي من قبيل التعميم، عندما نأتي لجمعية الإصلاح الإسلامية ونقول إن أعضاءها من العرب الهولة أو إلى الجمعيات الإسلامية السلفية ونقول إن أعضاءها من القبائليين، يصعب علينا أن نقبل هذه الافتراضات كمسلمات تعزز النخبوية المعاكسة للديمقراطية» (د. إبراهيم عبدالله غلوم في حوار أجراه علي الديري وباسمة القصاب وأحمد الساري تحت عنوان «الديمقراطية العصية في الخليج العربي»، صحيفة «الوقت»، 10 أكتوبر 2009 العدد 1328).

يمكن وصف العقد الثامن، من القرن العشرين، بعقد الانبعاث الحقيقي للحركات الدينية بشكل عام، ومنها حركة الإخوان المسلمين، وذلك للوفرة المالية كما أسلفنا، ولوقوع حادثين مفصليين في نهاية العقد السابع، أي العام 1979، وآخر في بدايات العقد الثامن، أثرت – وما تزال – في وجدان الشباب المنتمي أيديولوجيا للتنظيمات الإسلامية، وساهمت كثيراً في رفد الحركة بدماء جديدة وروح جديدة.

الحدث الأول: انتصار الثورة الإسلامية في إيران، فبراير (شباط) 1979، الأمر الذي أحيا آمالاً عريضة عند الإسلاميين جميعاً (في بداية الأمر) بأنه من الممكن أن تتكون دولة إسلامية بالمفاهيم النقية التي يطمحون إليها؛ حتى ولو كان حكامها قبلاً من أقرب المقربين إلى القطب الأميركي.

صحيح أنه مرت فترة قصيرة، قبل أن يجد الشيعة في الخليج أن الجمهورية الجديدة شكلت الحلم المنتظر، فأعلت في أنفسهم روح العزة بجمهورية صارت لهم ظهيراً ولو نفسياً، فانفلق الوضع الاجتماعي وانشطر عمودياً على طول دول مجلس التعاون، وصارت النبرات الطائفية – منذ ذلك الحين – تسيطر على الهواجس المحلية في كل منعطف. ولكنها كانت فترة كافية لارتفاع المدّ الديني والحماسة له وكثرة المنضمّين إليه.

الحدث الثاني: الغزو السوفييتي لأفغانستان (ديسمبر 1979)، الذي شكل محوراً في غاية الأهمية للمنتمين أيديولوجياً إلى

التنظيمات الإسلامية، حيث وجدت فيه الفصائل السنية البديل الموفق لاستنهاض الحماسة السنية في مقابل ما حدث في إيران. وبعيداً عن نظرية المؤامرة والاختراق وغيرها، والتي تقول بأن الولايات المتحدة قد بالغت في تسخين الأجواء الخليجية للتصدي للخطر الشيوعي الماثل والزاحف إلى المياه الدافئة؛ فإن ما حدث في السنوات التالية كان أبعد من أن يخطط له المراقبون.

إذ تقاطر الكثير من العرب والخليجيين على ساحة الجهاد الأفغانية، وتدفقت أمولٌ لا تحصى لنصرة المجاهدين الأفغان. وباتت الكتب والأشرطة المسجلة والمحاضرات والأسواق الخيرية ونداءات جمع التبرعات، كلها تذهب إلى هناك وتأتي أيضاً بالكثير من الأخبار التي تعد بقرب النصر، وبالانتصارات التي يحققها المجاهدون في كل ميدان، و«الكرامات» التي ينالها المجاهدون والشهداء. مما جعل أمل الانتصار النهائي في أفغانستان فاتحة لأمل لنصر كبير مؤزر في قضايا مشابهة. وكبقية الفصائل الإسلامية، ظل أخوان البحرين -من بعد انتهاء قضية أفغانستان- مؤيدين وداعمين لقضايا مشابهة كتلك التي جرت على أرض البوسنة والهرسك، والشيشان وألبانيا والفلبين والجمهوريات المسلمة المتشكلة من انفلات الاتحاد السوفيتي السابق، إضافة إلى القضية الفلسطينية، وخصوصاً بعد بروز حركة «حماس» على الساحة كوجه إسلامي وأخواني في المعادلة.

من غير الحدثين المفصليين في إحياء الحركة الإسلامية عموماً، هناك حادثة وقعت في العام 1982، وشكلت واحداً من المحاور، التي وإن

أوقعت الرعب والقتل والتنكيل في مكان حدوثها؛ إلا أنها أوقدت صدق الانتماء في نفوس الأتباع الجدد، وهي مذبحة حماه (سورية) التي يقال أنها خلفت 10 آلاف قتيل و 30 ألف معتقل، ورُويت عنها الفظائع. وهذا ما ألهب الحماس في نفوس من يريدون أن يتيقنوا بأنهم على الصراط القويم فكرياً، في مواجهة «الأنظمة القمعية الظالمة» آخذين بالأحاديث النبوية التي تعلي شأن التمسك بالدين عندما تدلهم الخطوب من مثل: «يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر»[20]، و«بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»[21].

اقتصر الرابط بين البحرينيين من الإخوان وما يجري في البؤر الإسلامية الساخنة على التأييد القلبي واللفظي، وجمع التبرعات المالية والعينية، وربما دعا الحماس والإيمان بعض شباب التيار إلى الالتحاق بالعمل الجهادي في بعض المناطق؛ إلا أن ذلك لم يكن نهج التيار على أية حال في النصرة.

ومع كل هذا الحماس الذي أبداه الإخوان تجاه القضايا الخارجية، فإنهم -كما سبقت الإشارة- لم يكونوا من الذين يدعون إلى تغيير صيغة الحكم هنا. بل يدعون إلى التناصح معه، وأسلمة المجتمع بشكل تدريجي، آخذة بسياسة الخطوة خطوة والنفس الطويل والصبر. وإن كان من كلاسيكيات انضمام «الأخ» الجديد، أو التعلق بالأفكار التي

(20) الكتب الستة، جامع الترمذي، أبواب الفتن، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع 2000 حديث رقم: 2260.
(21) المصدر نفسه، أبواب الإيمان، حديث رقم: 2629.

يؤمن بها التيار، تبدأ عادة من بعض مؤلفات سيد قطب، من مثل: «معالم في الطريق»، و«من هنا نبدأ»، و «في ظلال القرآن». وفي عدد من مؤلفات سيد قطب ثورة ونقمة كرستها سنوات السجن التي اختتمت بشنقه. حتى أن واحداً من أكبر معجبيه ودارسيه، وهو الشيخ يوسف القرضاوي، كتب قائلاً «وأنا برغم إعجابي بذكاء سيد قطب ونبوغه وتفوقه، وبرغم حبي وتقديري الكبيرين له، وبرغم إيماني بإخلاصه وتجرده في ما وصل إليه من فكر، نتيجة اجتهاد وإعمال فكر؛ أخالفه في جملة توجهاته الفكرية الجديدة، التي خالف فيها سيد قطب الجديد سيد قطب القديم ... وعارض فيها سيد قطب الثائر الرافض سيد قطب الداعية المسالم، أو سيد قطب صاحب (العدالة) سيد قطب صاحب (المعالم)»[22].

وإلى جانب سيد قطب، يبدأ المنتمي بقراءة كتب أبو الأعلى المودودي على الضفة الهندية من الفكر الإخواني، وهو ليس أقل «ضرواة» في تفسيراته وتوجهاته من قطب. إلا أن هذه التوطئة والتثقيف غالباً لا تأتي أمراً ولا قسراً، ولكن تحبباً وترغيباً للمنتمي الجديد أن يبدأ بقراءة بعض من هذه الكتب ليستبين له الطريق. وقد لعبت مكتبة الآداب في المحرق، لمؤسسها الشيخ عبدالرحمن الجودر نفسه، دوراً بالغ الأهمية في توفير جملة من الكتب التأسيسية للأخوان إلى جانب الأشرطة السمعية لعدد كبير من الخطباء، والمنشدين الذين حلوا محل المغنين لدى أعضاء الحركة منذ الربع الأخير من القرن العشرين.

---

(22) يوسف القرضاوي، وقفة مع سيد قطب، شبكة «دهشة»، http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=1575

ولعلَّ واحداً من وجوه المغايرة والاختلاف بين الفرع والأصل، بين إخوان البحرين وإخوان مصر في الجسم الإخواني الواحد، هو شعار إخوان مصر (الأصل) القائم على سيفين يتقاطعان فوق مصحف، وكتبت تحته «وأعدوا»، اختصاراً للآية الكريمة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60)، وما في هذه الآية من أمر بإعداد «قوة» لـ «إرهاب» عدو الله وهذه القوة تتدرج من القوة الفكرية إلى القوة العسكرية.

فيما اتخذت جمعية الإصلاح شعاراً مستوحى من القرآن الكريم أيضاً، ولكن بدلالات لا تخفى تشي بالنهج الذي تسير عليه الجمعية وهو ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت﴾ المأخوذ من الآية الكريمة ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: 88).

وما بين الشعارين هناك قراءات للمغزى والتوجه والهدف من تكوين الكيانين. حتى أن جمعية الإصلاح اليوم كان اسمها في إحدى المراحل المبكرة «نادي الإصلاح الخليفي»، في الفترة ما بين العامين 1944 و 1946، نسبة لآل خليفة، ربما لكون عدد من البارزين فيها من العائلة الحاكمة، وهذا ما يعطي دلالة على قرب توجهات النادي من دوائر

الحكم، وربما احتماؤه بالتسمية لكي لا يؤخذ عليه أي مأخذ من الجانب السياسي، خصوصاً وأن عهد الإنجليز كان قريباً من كشف تحركات الشيخ عبدالرحمن الجودر في مصر وقطع بعثته.

بيد أن اللافت في الأمر، أنه على ما عُرف من العلاقة بين الإخوان المسلمين عالمياً وجمعية الإصلاح بتوجهاتها وارتباطاتها وتاريخها المدوّن، فإن هناك محاولة (لا تبدو ناجحة) في فك الارتباط الشرطي والعضوي بين التنظيم العالمي والجمعية البحرينية.

إذ يقول أمين سر مجلس إدارة جمعية الإصلاح، محمد جميل: إن الجمعية لا علاقة لها بالإخوان المسلمين[23]. وهذا الرأي مؤيّد لما ذهب إليه رئيس الجمعية وأبوها الروحي، الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة، حين قال «انتماؤنا للإخوان المسلمين شرف لا ندّعيه... ولكننا لا ننكره»[24]. وفي الوقت نفسه يؤكد – عبر لقاءات صحافية – تأثره هو الشخصي ومن سبقه من المؤسسين بالفكر الإخواني، ولقاءاتهم المتكررة بدءاً من المؤسس حسن البنا، مروراً بحسن الهضيبي (المرشد الثاني) وكبار المنظرين. بل وتصريحه في لقاء «في بدايات التأسيس لم يكن النادي (نادي الطلبة) يحمل فكراً معيناً، بل كان يمثل تجمعاً طلابياً وشبابياً يؤمن برسالة الثقافة ونشر التوعية من خلال إقامة المنتديات والمسرحيات وإحياء المناسبات الإسلامية... وفي بداية الخمسينات بدأ نادي الإصلاح في تبني

---

(23) اتصال هاتفي مساء 2009/12/22.

(24) ندى الوادي، مصدر سابق، ص 32.

فكر الإخوان المسلمين مع عودة الشيخ عبدالرحمن الجودر من القاهرة، وانتظامه في عضوية مجلس إدارته، ثم رئاسته له»[25].

المدخل إلى الجامعة

قبل عقد الثمانينيات وخلاله، وجد إخوان البحرين لأنفسهم موطئ قدم مهم في الجامعات السعودية، التي نشأت وقويت، بينما كانت كيانات التعليم العالي في البحرين متواضعة ومحدودة التخصصات والقدرة الاستيعابية. وعلى الرغم من أن الفكر الوهابي سلفي التوجه وليس كالفكر الإخواني؛ إلا أنه كان أقرب ما يكون لطبيعة مرحلة «الصحوة» الإسلامية، التي كانت تتطلع إلى تخليص الدين مما علق به من ممارسات وطقوس، مع اعتقاد الإسلاميين الجدد أنها ليست من الإسلام في شيء. حتى استطاعت الجمعية - من خلال بعض من رجالاتها - التواصل مع مفتي عام المملكة العربية السعودية الراحل الشيخ عبدالعزيز بن باز، للحصول على تزكيته لدى القيادة السعودية، التي أمدّت الجمعية بمبلغ من المال أعانها على بناء مقرها الحالي[26] فكان هناك قبول عام في السعودية لهذه الجماعة، خصوصاً وهي مكللة رئاستها بأحد أفراد الأسرة الحاكمة في البحرين، بما يمنحها وضعاً خاصاً في حراكها في أوساط سياسية عليا في المنطقة.

تشكلت في الرياض -أساساً ومدن سعودية أخرى- قيادات إخوانية طلابية من البحرين، مارست الدور نفسه - تقريباً- الذي كان الطلبة

(25) يمكن الرجوع إلى المزيد من تفاصيل نشأة الجمعية كما يرويها رئيسها في العددين 123 و124 لسنة 2004 من مجلة «الإصلاح».

(26) ندى الوادي، مصدر سابق، ص 36.

المنتمون إلى اليسار والقوميين يمارسونه من خلال الاتحاد الوطني لطلبة البحرين في بعض الدول العربية، وخصوصاً في مصر وسورية والكويت، وغيرها من البلاد العربية وغير العربية من قبلهم، وذلك بالاستقطاب والتكوين الفكري والإعداد في الخارج بما يشبه المعسكر. حتى يروي بعض شهود تلك الفترة أن هناك بعض القيادات التي تتعمد التلكؤ في إنهاء متطلبات تخرجها، للمكوث عاماً بعد عام في الخارج لنجاحها اللافت في القيادة والتأسيس، وهذا قد حدث في كلتا التجربتين الإخوانية واليسارية.

في تلك الفترة، استفاد عدد من الطلبة البحرينيين من اقترابهم من جمعية الإصلاح، أو انتمائهم لها، أو أولئك الذين سعى التيار إليهم رغبة في استقطابهم من أجل زيادة قاعدته الجماهيرية من الجيل الجديد. و«كان للشيخ (عيسى بن محمد آل خليفة) دور ملموس في فتح أبواب واسعة من العلاقات مع الجامعات والمعاهد التعليمية بدول الخليج العربي وإرسال الكثير من طلاب الإخوان سنويا في منح تعليمية وجامعية، إلى جامعات ومعاهد السعودية والكويت وقطر، وكان هؤلاء غالبا ما ينضمون إلى الإصلاح فور رجوعهم إلى البحرين وأصبحوا يشكلون الفئة التكنوقراطية الأكثر انتشارا في الوزارات والمصالح الحكومية في الوقت الراهن»[27].

الشهادات المختلفة عن تلك الفترة، من أولئك الذين لم يستطيعوا الاندماج مع التوجه الفكري الإخواني كانت تشترك –على الرغم من

(27) حمدي عبدالعزيز، عيسى آل خليفة.. كاسترو البحرين الإسلامي !، 2009/10/11، موقع إسلام أون لاين،
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA__C&cid=1254573415047
&pagename=Islamyoun%2FIYALayout

تباعدها الزمني النسبي– في القول بأن الجماعة كانت تنغلق في وجه من لا ينصاع لها، ولا يلتزم بما تمليه قيادتها، فيبقى خارجها في مغترب ليست فيه الكثير من سبل العيش المستريح والصعب التكيف معه، مما اضطر بعضهم لقطع دراسته والعودة إلى البحرين، وتغيير تخصصه بحسب ما يتاح في وطنه، لشعور مرير بالعزلة النفسية.

هذه الشهادات – التي يجري عليها ما يجري على تعريف «الحديث المتواتر» من استحالة تواطؤ أصحابها على الكذب عادة – مؤيَّدة بشهادات أخرى منشورة[28] عن التكوين الخاص بالعناصر الطلابية الإخوانية في الخارج التي يرتجى أن تكون قيادية في الحركة مستقبلا.

سباق المواقع

امتلك تيار الإخوان المسلمين في البحرين أموالاً جيدة، مكنته من البدء في افتتاح فروع له ليخرج من دائرة المحرق، إلى الدوائر التي يشعر أن عليه أن يتواجد فيها، ويبدأ العمل من خلالها حتى لا تكون حركته مناطقية، بل شاملة البلاد بأسرها. وقد لعبت التيارات الإسلامية السنية الأخرى، التي نشأت في تلك الفترة (أواخر السبعينات)، دوراً محفزاً في حركة جمعية الإصلاح التوسعية. إذ لم يكد العقد السابع يؤذن بالرحيل

(28) «وتخضع كوادر الحركة لاختبارات تبدو قاسية قبل عملية التأطير، كأن يُطلب من العضو السفر على نحو عاجل إلى إحدى الدول العربية، أو السباحة في بركة ماء (بارد) أو الخروج في منتصف ليل بارد بملابس خفيفة، أو الذهاب إلى أحد المخيمات التنظيمية في إحدى الدول العربية أو الخليجية»(باقر النجار، الحركات الدينية في الخليج العربي، ص 33).

حتى رأت مجموعة من الإسلاميين - التي يتسمّى أعضاؤها بـ «الأزهريين» - أن لها خطاً فكرياً إسلامياً ولكنه ليس أخوانياً بالضرورة، ولها أولويات تتقاطع مع تيار الإخوان، ولكنها لا تتطابق معه في كل الشؤون، فأنشئت «الجمعية الإسلامية» في 1979، واستطاعت استقطاب عدد من الشباب إليها، ولكن لأسباب مختلفة – ليس هنا مجال الغوص فيها – انتهت إلى عدد محدود نسبياً من الأعضاء والمناصرين.

إلا أن الجمعية الأخرى التي نشأت، في الفترة نفسها، كانت «جمعية التربية الإسلامية» السلفية التي استقطبت العرق العربي من الإثنيات البحرينية السنية، وصار هو الغالب عليها، من دون استثناء الأعراق الأخرى، ولكنها باتت أقل حضوراً هناك وحظوة. واستطاعت هذه الجمعية أن تنمو بسرعة فائقة، وتحل محل المناطق الرخوة التي لم يكن للأخوان سيطرة واضحة عليها.

فإلى جانب المركز الرئيس لجمعية الإصلاح في المحرق، تشكلت –حتى اليوم– ستة فروع أخرى في المنامة، والحد، ومدينة عيسى، ومدينة حمد، والرفاع، والجنبية، وهو امتداد جغرافي يغطي المناطق ذات الغالبية السنية.

إن عملية تأجير وتشغيل هذه الفروع عملية مكلفة، لجمعية تعتمد في إيراداتها على الاشتراكات والتبرعات والأنشطة المتفرقة، ولكن كان من الواضح أن هذه الخطوة ضرورة ملحة حتى لا تحاصر الجمعية في منقطة بعينها. فالجمعية –بحسب آخر تقاريرها المالية– تشير إلى أن إيراداتها

421.546 ديناراً، ومصروفاتها 390.890 ديناراً، وهذا بخلاف ما يقال عن وجود عجز في موازنتها. وغالبية الدخل يأتي من التبرعات المشروطة وغير المشروطة، وبعض العقارات التي تملكها الجمعية، والأسواق الخيرية والدورات التدريبية التي تقيمها. جلّ هذه المبالغ تذهب للعمل الخيري، إلا أن الجمعية اليوم عليها التزامات مادية كثيرة، خصوصاً بعد الانخراط في العمل السياسي وما تحتاجه الحملات الانتخابية من أموال، مع تأكيدات أمين سر الجمعية أن أموال الصدقات وأعمال الخير لا تمسّ أبداً[29].

احتدم السباق بين الإخوان والسلفيين غير مرة، وتحول إلى عدد من المماحكات والمناكفات بين أطراف العمل الإسلامي داخل الجناح السني في البحرين. «وعلى رغم تقارب الأصول الفقهية بين الجمعيات السُّنية الكبرى الثلاث، وتقاطعها، ولكنها في تفاصيل عملها اليوم، ونظرتها إلى الأمور تتبدى الاختلافات الشاسعة في ما بينها، فقد دخل عدد من أتباع هذه الجمعيات في صراعات ومناوشات كثيرة اشتدت في النصف الثاني من الثمانينات، وبدأت حملات مجالس ودروس دينية وأشرطة مسجلة ذهبت إلى حد «تفسيق» بعضهم بعضاً نظراً لمواقف تتعلق بتفسير الأحاديث النبوية، أو استقاء القواعد الفقهية والفتيا، وبدا التقاء هذه الجمعيات ضرباً من المستحيلات ومن الخارج عن الناموس الطبيعي لشدة ما جرى من تجريح بين أتباعها، وإن كانت القيادات - في الغالب - تتبرأ من الدخول في هذه «المهاترات»، والقدح اللفظي»[30]. لم تمر هذه المجادلة هكذا من دون أن تنزل فعلياً إلى الشارع، وإن لم يكن لها احتكاكات واضحة، ولكنها تجلت

(29) اتصال هاتفي مساء 2009/12/22.

خير تجلٍّ في سباق السيطرة على المساجد ومراكز تحفيظ القرآن الكريم.

فإن كان لجمعية الإصلاح اليوم 21 مركزاً لتحفيظ القرآن منتشرة في البحرين، وتدير عدداً محترماً (غير معروف تحديداً) من المساجد الـ 370 المنتشرة في البحرين والمسجلة في دائرة الأوقاف السنية، بحسب ما تشير التقارير الأدبية والأرقام المستقاة من المصادر الرسمية؛ فإنّ هذا لم يأت من فراغ أو لمحض صدفة. إذ «كانت المساجد المسجلة في إدارة الأوقاف السُنّية، ساحة أخرى أيضاً للصراع، فكل جمعية إسلامية من الجمعيات الثلاث كانت تسعى إلى بسط سيطرتها على أكبر عدد من المساجد، وأكبرها، في المناطق ذات الكثافة السكانية، إمامة وخطابة وإقامة للدروس الدينية والحلقات فيها، وصار أتباع بعض الجمعيات - خصوصاً المتشددة منها - يترددون في الصلاة وراء إمام يتبع جمعية أخرى، وشاعت في ذلك الوقت تعبيرات بوجود «خلل في العقيدة» أو «انحراف» فيها، سمة غالبة على الاتهامات، كلٌّ يدّعي أنه على الطريق القويم، وإن انحصرت غالبية الخلاف بين أتباع جمعيتي «الإصلاح» و«التربية» ودخول المتصوفة على الخط أحياناً، وبقيت الجمعية الإسلامية خارج نطاق الصراع، إذ توصف - غالباً - بأنها من دون أنياب ولا مخالب، وأنها ملتزمة بنهجها الوسطي والمجادلة بالتي هي أحسن مع «غيرها» بحسب رسالتها الأساسية»[31].

ليس القصد من السباق على المساجد إدارة وخطابة وإمامة، والاستحواذ وبسط السيطرة والنفوذ وحسب؛ ولكنها كانت الواجهة

---

(30) غسان الشهابي، بوابات العبور: التشكيلات السنية في البحرين - «الجماعة» المؤجلة، كتاب الوقت، 2007، ص 97 و98.

(31) المصدر نفسه، ص 98.

الأمثل لاستقطاب الصغار والشباب، عبر الدروس والدينية والنشاطات والرحلات ودروس التقوية، لتعضيد التيارات بالأعضاء والمناصرين. وفي هذا المسعى حققت جمعية الإصلاح نجاحاً جيداً عبر جملة من النشاطات بالنسبة للجنسين، حتى ضاق مقرها القديم بالعدد الكبير من الشباب الذين يلتحقون بالجمعية في السنوات الأخيرة من السبعينات والثمانينات، إما كأعضاء أو رواد للجمعية. ولكن كان هناك حراك آخر ليس يخفى، يقوم به الإخوان طمعاً في سيادة القيم التي آمنوا بها في المجتمع.

الهيمنة على التعليم

عند استعراض المؤسسات التي يتمركز فيها الشبان الصغار الباحثون عن هوياتهم، الذين يقبلون التلقي، والنقش فيهم صغاراً، فليس كالمدارس مكان يجتمع فيه عدد كبير منهم دفعة واحدة، للمعلم الإخواني أن يبدأ بطرق المواضيع التربوية والقيمية أثناء ممارسة الوظيفة بما يتيحه انغلاق الباب على المعلم وطلابه من إمكانيات كبرى لتبادل الأفكار.

هناك الكثير من الشواهد على تغلغل عناصر جماعة الإخوان المسلمين في مواقع وزارة التربية والتعليم في الجانبين الإداري والتعليمي «وقد استطاعت جماعة الإخوان في حالات كثيرة في الخليج، في السابق كما هو الآن، أن تتغلغل داخل الأنظمة التعليمية. بل إنها في بعض حالاتها قد أحكمت السيطرة عليه من خلال سيطرتها على مراكز التحكم في هذا النظام»[32]، وهذا ما سهل نيل نصيب من استقطاعات كعكة البعثات الدراسية، والتمركز في مفاصل صنع القرار، حتى لو أدى هذا التمركز إلى

تراجع العمل الرسمي[33]. وفي هذا الأمر لا تعتبر حالة إخوان البحرين أمراً جديداً، بل هو أمر متفق عليه بين أخوان منطقة الخليج العربي عموماً، لبناء اللبنات الأساسية للمجتمع، فالأمر نفسه يلاحظ على أخوان الكويت لجهة تمركزهم في هذه الوزارة.

يسند هذا الرأي شهادات بعض المنتميات اليوم إلى تيار الإخوان المسلمين تشير إلى تأثرهن الشديد بمعلماتهن، في مسألة الحجاب والأفكار الدينية والتنظيمة في منتصف السبعينات، وكيف كانت المدارس ومراكز التعليم ساحات مهمة لاستقطاب الطالبات (كما هو الحال بالنسبة للطلبة أيضاً) من أجل الوصول إلى قاعدة أكبر[34].

وهناك سعي حثيث من قبل التيار لنيل المناصب الأرفع في عدد من المؤسسات، والتعليمية منها في الأساس، ولا يخفي البعض هذه الأغراض، إذ أنه عندما حدثت مواجهة بين بعضهم وإحدى الجهات التعليمية التي لم يسيطروا عليها تماماً، قال قيادي بارز لمسؤول تعليمي رفيع في تلك الجهة «إننا ما عملنا لمدة 25 عاماً إلا من أجل الوصول إلى موقعك»[35]، مما يؤكد ما تذهب إليه الملاحظة العامة. ويقابل هذا التأكيد نفي واستغراب على المستوى العام من قبل بعض المنتمين إلى التيار الإخواني من هذا «الاتهام» وما يحمله من دلالات[36].

---

(32) باقر النجار، جماعة الإخوان والقوة الناعمة، صحيفة «البلاد»، 18 نوفمبر 2009.

(33) «ويُرجع البعض إلى جماعة الإخوان تردي الناتج الفعلي لبعض أنظمتنا التعليمية. وهي في هذا، كما يقولون، سبب في كل إخفاقاته» (باقر النجار، جماعة الإخوان والقوة الناعمة، المصدر نفسه).

(34) راجع ملف «معارك الحجاب وصعود نجم الحشمة»، غسان الشهابي، صحيفة «الوقت» مايو 2009.

(35) مقابلة خاصة مع مسؤول طلب عدم ذكر اسمه.

يرى بعض الإخوان أنهم كجزء من المكون العام للنسيج الاجتماعي البحريني، ونتيجة لاتساع قاعدتهم الجماهيرية، فإنه من الطبيعي أن يتواجد عناصر من المحسوبين عليهم في جميع المواقع كأيٍّ من المواطنين وليس هذا من قبيل الاستفراد أو التمركز.

تقدم الأمر وتجاوز وزارة التربية والتعليم إلى وزارات أخرى كوزارة العدل والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ووزارة التنمية الاجتماعية والجهاز المركزي للمعلومات، ومجلسي الشورى والنواب وذلك راجع إلى أن أنظمة الحكم لا ترى بأساً من التحالف مع القوى الإسلامية، وتمكنها من بعض المكاسب ما دامت هذه القوى تعمل على ضبط جماعاتها المنتمية إليها، وتقف إلى جانب الدولة فيما لو حدثت أية مواجهة مع القوى السياسية الدينية الشيعية، كما في الحالة البحرينية.

فجماعة كالإخوان المسلمين في البحرين لم تطرح يوماً أي مؤشر لصدام حقيقي مع السلطة، أو موقف فيه إشارة إلى تنازع في الصلاحيات. هذا مع أن أياً من الحركات الإسلامية المؤدلجة لا تنفي سعيها الحثيث لإنشاء دولة إسلامية، أو أسلمة القوانين بقدر الإمكان. ولكن هذه المعارضة

(36) «هل وصلنا فعلاً إلى درجة من القوة بحيث نتحكم في مفاصل الدولة، فتقرِّب الدولة من نشاء وتقصي من نشاء؟ وهل وصل بنا النفوذ إلى الدرجة التي نستطيع بها اللعب على أوتار الخلاف بين الكبار (إنْ كان هناك خلاف أصلاً)؟ وهل فعلاً أصبحت وزارة عملاقة كوزارة التربية والتعليم تحت سيطرتنا؟ ثم انفتحت شهيتنا على وزارات أخرى؟» محمود عبدالرحيم، صحيفة «النبأ»، 2 ديسمبر 2009.

لها شروط كما يقول النائب الإخواني ناصر الفضالة «معارضة على أساس الرشد والحكمة (معارضة راشدة)، لا معارضة لإثارة الفتنة والذهاب نحو التصادم الذي لا ينفع أحدا»[37].

لقد تأرجح الخصوم السياسيون والفكريون للإخوان في تحديد القول فيهم، عند الوقوف على مسألة النفوذ والتغلغل بشيء من التشكيك، بينما تؤكد كثرة من الخصوم هذا الأمر، مصورين الإخوان على أنهم رمال متحركة مستعدة لإغراق من يطؤها، وهي تبتلع وتتمدد، خصوصاً في بناء ما أسماه البعض «إمبراطورية مالية» وما فيها من مخاطر على النظام في البحرين[38].

النفاذ والنفوذ السياسي

قبل العام 2001، لم يكن يدر في خلد جماعة الإخوان في البحرين الاندماج في العمل السياسي، بالشكل الذي كانت تمارسه التيارات المعارضة الأخرى، كالتيارات القومية واليسار، والتيار السياسي الشيعي، وهي ممارسات اتسمت في أحيان كثيرة بالمواجهات والصدامات مع السلطة، وانتهت بعدد من أعضاء تلك التنظيمات إلى المنافي والسجون

(37) ملف «التيار الذهبي»، صحيفة «البلاد»، 5 نوفمبر 2009.

(38) «فالإخوان المسلمين في البحرين يرتبطون بجهات أجنبية وينفذون توجهاتهم وهو من يدعمهم للسيطرة على المواقع الهامة في البحرين، وكما يصف أحد المستشارين السابقين هذه الجماعة بأنها تسيطر على المراكز المالية الإسلامية في المنامة بدعم وتمويل من التنظيم الدولي للإخوان المسلمين، وهو ما يؤكد التوجهات والمخاوف لدى العديد من المواطنين حول الهدف من بناء هذه الإمبراطورية المالية وخطورتها على المملكة والنظام العام». فاضل عباس، الحوار المتمدن، العدد: 2313 – 2008/6/18.

والقتل أحياناً.

فلقد رتب الإخوان أوضاعهم بالقيام بالعمل الدعوي التربوي، والعمل الخيري. والهدف: إعداد الشباب المسلم الملتزم بدينه، وإنشاء الأسرة المسلمة الصالحة، مع عدم إدارة الظهر للقضايا الإسلامية العامة، وخصوصاً تلك التي تجري خارج حدود البلاد، وأيضاً خارج حدود دول مجلس التعاون.

كانت هناك تجربتان فريدتان على مستوى الإخوان، كحركة مرة، والإخوان والدولة مرة. وذلك حينما خاض المؤسس الشيخ عبدالرحمن الجودر الانتخابات في العام 1973، ففشل ولم يحصل إلا على 73 صوتاً، وفي هذا دلالة واضحة على ما كان لدى الإخوان في تلك الفترة من شعبية متدنية.

أما التجربة الثانية فكانت استقالة الشيخ عيسى بن محمد، الرئيس العتيد للإخوان من منصبه وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية، وليس في الاستقالة احتجاجاً على النظام، ولكنها كانت من أجل التفرغ للمحاماة، بعد أن ناصر العمال في إضراباتهم، ومضى لتحقيق مكاسب لهم.

ولكن في العام 2000 شكل ملك البحرين (الأمير آنذاك) لجنة لصياغة ميثاق للبلاد، تنطلق من خلاله العملية السياسية وما اصطلح عليه محلياً «المشروع الإصلاحي»، وكان من بين المشاركين الأربعين في صياغة الميثاق الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة، الذي استثمر خبرته

السياسية والقانونية في المناقشات، مضفياً عليها البعد الإسلامي في الكثير من المفاصل والتعليقات، ما أمكن. وطرحت جمعية الإصلاح في تلك الفترة، ولأول مرة، ميثاقاً موازياً، يبيّن رؤيتها من القضايا السياسية والوطنية بشكل عام[39].

ومن هنا، انطلق القطار السياسي للإخوان المسلمين، كما فعل غيرهم. فتم تأسيس ذراع سياسية تحت اسم المنبر الوطني الإسلامي، الجمعية التي تعرّف نفسها بأنها «جمعية سياسية بحرينية تأسست ليأخذ الصوت الإسلامي دوره بين المؤسسات السياسية في مملكة البحرين، مستندين على وضوح رؤيتنا وأهدافنا، والقيم المستمدة من التعاليم الإسلامية السمحاء، وقواعدنا الشعبية المناصرة، وكوادرنا السياسية والعلمية المؤهلة، وتاريخ أعضائنا الطويل في خدمة الوطن والمواطن، قاصدين رفعة الوطن وتقدمه وأمنه واستقراره».

لم تكن لدى أعضاء جمعية «المنبر» أية خبرة عمل سياسي سابق، وغالباً ما يتهمهم خصومهم السياسيون بالضعف التنظيمي، وقلة الخبرة السياسية. ولكن لو فككنا هذا القول لوجدنا أن الخصوم أنفسهم كانت لهم خبرة «المعارضة» والعمل السري، وليس العمل السياسي في التعاطي مع القوانين والأنظمة، وتشكيل تحالفات وقوى ضغط مجتمعية وغيرها من الأدوات، التي لم تكن متاحة في الفترة السابقة في البحرين. لكن ما يميز الآخرين، تاريخ الخصومة الممتد مع الحكومة والحكم، الأمر الذي أعطاهم مشروعية أكبر وصدقية أعلى من تلك التي حازتها كتلة «المنبر»

---

(39) أنظر، غسان الشهابي، البحرين بين عصرين، صحيفة الوقت 19 فبراير 2007، العدد 364.

في طروحاتها المناوئة للحكومة، خصوصاً مع إثارة الكثير من الأقاويل بأن هناك صفقات وترتيبات لحصول المنبر على مكاسب ذاتية[40]. ودعم رسمي تتلقاه الجمعية قبيل الانتخابات لعدم تمكين القوى الشيعية المعارضة وكذلك التيارات الليبرالية من الفوز في الانتخابات، وليس متاح في الكفة المقابلة سوى الإكثار من القوى المأمونة الجانب كالإخوان المسلمين والسلفيين والمستقلين.

تمكنت الجمعية السياسية من أن تفوز بسبعة مقاعد نيابية في انتخابات 2002، ومثلها في 2006 من ضمن 40 مقعداً، وذلك في أكثر من محافظة فيها غالبية سنية مطلقة أو نسبية، فتركزت مقاعد الكتلة في الدورين التشريعيين الأول والثاني في المحرق، القضيبية والحورة، الرفاع الشرقي، مدينة وعيسى ومدينة حمد. وكما هو الوضع بالنسبة للتيار السلفي؛ يتهم أيضاً تيار الإخوان المسلمين باستثمار الجانب الخيري الذي تجذر على مدى العقود، في الخيار الانتخابي. ويقسو مقدو «المنبر» في القول بأن هذا الحجم من الأصوات المتحصل عليها لم تأتِ إلا من خلال أكياس الأرز، وعلب المساعدات وقماش المعونات.

وفي الوقت الذي لا ينكر ما يمكن أن تفعله المعونات المتكررة، على مدى أعوام طويلة من قبل بدء المسيرة السياسية، في شرائح ليست بالقليلة

---

(40) «تدليل هذا التحرك يكون بمظاهر كثيرة كلها تأتي من استنتاج دون دليل مادي حي، أبرزها موقف نيابي لعضو قيادي إخواني هو صلاح علي، فحينما صدر قرار تعيين رئيس جامعة البحرين إبراهيم الجناحي في منصبه، ارتجت الصحف المحلية بتصريح ناري من علي يتهم فيه وزارة التربية والتعليم بالفساد وأن كتلته ستضع حداً له، وبعد فترة بسيطة تحولت نيران الوعيد إلى صمت مديد على الرغم من عدم تغير أي شيء في الوزارة بين النار والصمت! هذا الموقف ليس دليلاً على صفقات تحت الطاولة ومصالح خاصة تغطي على العامة، لكنه بأضعف أحواله مبعث للتساؤل والاستنتاج القائل أن ما بين فترتي التلويح بالقوة والصمت فواصل من الاستفهام عن ماذا جرى في هذا الوقت؟!» (ملف التيار الذهبي، صحيفة البلاد 7 نوفمبر 2009).

من الأفراد، وما تثيره فيها من ناحية التعاطف، فإن ليس هناك ثمة دليل قاطع بأن مساومات قد وقعت بالفعل في مسألة التصويت واستمرارية المساعدات، لا سيما وأن التصويت يتم بشكل سري.

اللافت في أمر أعضاء «المنبر»، وهم أعضاء جمعية الإصلاح أنفسهم، وباستخدام تعبير مشهور «ليس كل إصلاحي منبري، ولكن كل منبري إصلاحي»، وهم 383 عضواً[41]، أن ممثليهم السبعة، الذين فازوا في الانتخابات النيابية 2006، قد حصلوا على أصوات فاقت 23 ألف صوت. أي أن مناصري الجمعية في المجتمع (إذا ما استثنينا الحديث عن إشكالية التصويت في المراكز العامة وما قيل من قبل المعارضة أن الحكومة استخدمت العسكريين في بعض الدوائر لإسقاط ممثليهم وإنجاح ممثلي «المنبر») يشكلون ما نسبته 98% من مجموع الأصوات التي حصل عليها الفائزون.

يشير بعض المنتمين إلى الجمعية، إلى أن هناك تقصّد أن يكون عدد الأعضاء المشكلين للجمعية العامة محدوداً وذلك حتى تسهل عقد اجتماعاتها، وتكون أكثر قدرة على الحركة واتخاذ القرارات المسيّرة لأمورها[42]، إلى جانب أن هناك من يرجّح عدم رغبة بعض المنتمين فكرياً تسجيل عضوياتهم في أي من الجمعيتين (الإصلاح أو المنبر)، حتى يكون أكثر قدرة على الحراك الوظيفي في بعض القطاعات.

(41) عباس المرشد، جمعية المنبر: من النادي إلى الحزب، مصدر سابق.

(42) مقابلة مع عضو في الجمعية فضلت عدم ذكر اسمها.

من الواضح أن كلاً من جمعيتي «المنبر» و«الأصالة» (السلفية) قد استشعرتا الخطر الماثل في قبول جمعية «الوفاق الوطني الإسلامية» (الشيعية) الدخول في المعترك النيابي في 2006 بعد مقاطعتها الانتخابات في 2002، وهذا المتغير على الساحة السياسية دعا إلى أن يركن الطرفان صراعاتهما في البيت السني جانباً ويتحالفا للتنسيق في بعض المناطق الرخوة التي شكلت قلقاً من إمكانية خسارتها إذا ما استمر الطرفان على مبعدة.

وهذا ما جعل المنبر يكسب أصواتاً إضافية في مناطق ليست خالصة له، بينما وضع مناصرو «المنبر/الإصلاح» ثقلهم وراء بعض المرشحين السلفيين لئلا يفوز بالمقعد من هو أبعد من إمكانية التحالف معه، وخصوصاً في المنحنيات الحساسة في المجلس.

يعتقد المنبريون أن أداءهم في المجلس فاق الإخفاقات، مع اعتراف بأنهم تجربة سياسية جديدة تبني نفسها مع الآخرين، وتحاول تسديد الخلل في كل مرة. وفي المقابل فإن مراقبين يرون أن أداء الإخوان في المجلس كان يذهب إلى كل الاتجاهات المعيشية، وإلى أسلمة المجتمع ومنع المشروبات الكحولية وعدم تصوير برامج تلفزيون الواقع ومنع مغنيات من إقامة حفلات في البحرين، ولكنهم لا يمسّون الجوانب التي يعتبرها الآخرون أساسية في العمل النيابي، ومنها تعديل النظام الداخلي بما يتيح للنواب صلاحيات أعلى، وعدم الاصطفاف مع المعارضة ضد الحكومة في عدد من المرات.

وإذا تردد مصطلح «البراغماتية» أكثر من مرة في وصف الأداء السياسي للإخوان في مجلس النواب، بحسب باقر النجار[43]، فجميع التيارات السياسية والكتل النيابية تميزت بالبراغماتية في أدائها، وبقيت مسائل الضغط والتلويح بالمساءلة والاستجواب والصفقات السياسية، وطلب الخدمات للقاطنين في الدوائر الانتخابية المختلفة؛ سلوكاً نيابياً معروفاً في التجربة البحرينية على قصرها. ولم تبرز كتلة بأداء برلماني بارز وخارق دون غيرها حتى تبقى هذه الصفة ملتصقة بكتلة المنبر وحدها.

خلاصة:

(43) الحركات الدينية في الخليج العربي، مصدر سابق.

تميزت حركة الإخوان المسلمين في البحرين بمرونة حركية عالية على مر السنوات، وعرفت كيف تتجنب الانتحار الجماعي في الملمات، وكيف تستثمر ميزاتها أيام الانفراج، لتغدو قوة مهمة ومؤثرة على الساحة البحرينية سواء في الحراك الدعوي أو السياسي، مدعوماً بعلاقات المصاهرة التي لعبت دوراً عاليَ الأهمية في شدّ لحمة الجماعة خصوصاً وأوقات الأزمات.

لم تدخل الحركة ذات يوم في صدام وخلاف مع الحكم، بل اعتبرها الكثير من المراقبين حالة شاذة عن كل «الإخوان» الآخرين بمن فيهم إخوان بقية دول الخليج، إذ هي تسير مع الحكم وتتبادل المنافع معه، وباتت في أحيان كثيرة قريبة من مفاصل مهمة من الأجهزة الرسمية ومن المتأخر الآن الالتفات إلى العودة إلى الوراء وملاحظة التسلل الذكي والهادئ للعناصر الإخوانية في هذه الأجهزة.

وكباقي التيارات والحركات، ذات البعد السياسي أو الديني، فإن قبول الآخر، والتعاطي المنفتح معه، وإتاحة الفرصة أمامه وعدم نفيه أو ممارسة التمييز ضده، أمر فيه الكثير من النظر. في الوقت الذي يمارس التيار نفسه ما يمارسه الآخرون من التكاثف العددي في مواقع العمل، وعدم تقبل الأجسام الغريبة حتى وإن كانت من المذهب نفسه، أو العرق نفسه، مع تفاوت في التعاطي كلما قلت المشتركات مع أبناء التيار.

وساعدت الأزمات غير العاصفة على أن تجمّع أهل التيار وأتباعه، وتحفز فيهم غريزة الحياة والاستمرار، فكانت الأزمات الأولى في تكوين

الجماعة، ابتداء من التقارير الاستخباراتية ووصولاً إلى الحصار الشعبي لتيار الإخوان في منتصف القرن الماضي؛ من المحفزات الأساسية على الالتئام. كذلك فعلت المحطات الرئيسة من المتغيرات الدولية. إلا أن المتغيرات السياسية التي حدثت في البحرين في الثمانينات والتسعينات، لم يكن للأخوان دور فيها، ألا بما يمليه الخجل الوطني الآتي بعد مدة طويلة من التردد، وبما لا يخرج التيار من نقطة الحياد الأقرب إلى الموقف الرسمي.

في الوقت الراهن، لا تبدو أية إشارات واضحة تدل على انتهاء دور التيار، أو أفول نجمه، على الرغم من كل ما قيل من أنه يخسر كثيراً جراء دخوله اللعبة السياسية. فاللعبة السياسية البرلمانية في البحرين أنهكت الجميع وأفقدتهم هالاتهم الجماهيرية، لعدم تمكن التيارات من تقديم ما يشفع لها. ويبقى الجانب الخيري قائماً وبقوة في جمعية الإصلاح، وهو الجانب الذي يمكن أن يبقي الجمعية قادرة على الحفاظ على مركزها لسنوات أخرى.

تجربة الإخوان المسلمين في قطر

مصطفى عاشور(*)

لا شك أن محاولة فهم الحركة الإسلامية في بلد ما، بعيداً عن ملابسات النشأة، واللحظات التي عاصرت الميلاد والتطور، والسياق الذي احتضن التشكل والتكوين؛ يفقد قراء الحركة الإسلامية الكثيرمن الأدوات والمفاتيح التي قد يفهمون بها الحركة ومواقفها وتحركاتها.

(*) كاتب مصري.

الإخوان المسلمون القطريون حل تنظيمهم عام 1999 والتحول إلى تيار داخل المجتمع القطري بعيداً عن ضغوط الأطر التنظيمية، ولم يأت هذا الاختيار إثر صدامات مع النظام الحاكم في قطر، أو نتيجة حملة اعتقالات وتصفيات كما حدث للإخوان في دول أخرى، أو جاء هذا الحل بعد أزمة عنيفة تعرض لها تنظيم الإخوان في قطر، ولكنه جاء اختيارا بعد دراسة وتفكير وتأن لسنوات، ثم حسم هذا الأمر والقرار بحل التنظيم، فضغوط الواقع لم يكن لها نصيب في هذا القرار، ولكن الحل جاء إدراكا لطبيعة وخصوصية الواقع الخليجي والقطري تحديدا، وبفهمهم لطبيعة البيئة التي تتحرك فيها جماعات الإخوان في الخليج جاء حسم الأمر باتجاه التحول إلى تيار وحل التنظيم.

تعاني التجربة الإخوانية القطرية من ندرة في المعلومات المتوفرة عنها، سواء على مستوى التجربة أو التفكير الذي سبق حل التنظيم، باستثناء الدراسة التي أعدها إخوان قطر وتم على أساسها اتخاذ قرار الحل، وقد حاولت التواصل مع الدكتور القطري جاسم سلطان صاحب قرار الحل، وتراسلنا معه للحصول على معلومات حول تجربة الإخوان في قطر ودوافع حل التنظيم، وما أحاط بالقرار من ملابسات، وطبيعة الدراسة التي أعدها الإخوان في قطر ودرسوا خلالها تجربة الإخوان خصوصاً الأفكار التي أرساها المؤسس حسن البنا، وخصوصية الواقع القطري، ومدى ملائمة وجود واستمرار تنظيم للإخوان المسلمين في قطر، ذات المجتمع المحافظ بطبيعته والذي لا يوجد فيه أي نسبة للفقر، نظرا للوفرة المادية المتوافرة للدولة من عائدات النفط والغاز.

وكان رد الدكتور جاسم على دعوتي-عبر الايميل- واضحا وحاسما وهو «أن الوقت لم يحن بعد»[1]، رغم تأكيدنا عليه أن حديثه ضروري للتاريخ، فالكثير من تاريخ الحركة الإسلامية اندثر مع أصحابها، في ظل إصرار القيادات الحركية الكبيرة على الصمت وكتمان تجربتها، سواء باعتبار ذلك عملا من أعمال الإخلاص، أو حرصا على الحركة الإسلامية من سطوة السلطة وبطشها؛ فالحركة الإسلامية في أغلب الدول، التي عملت فيها، كانت في مصاف المعارضة، وكان بينها وبين السلطة من القطيعة والصدام وسوء الظن والتوجس والتاريخ المحتقن الكثير؛ مما يجعل تلك الشخصيات تؤثر الصمت وتفضل أن ترحل بذكرياتها على أن تبوح بها، أو أن تسجل شهادتها على تلك الحقب الملتهبة.

وهنا يكون الباحث في تاريخ الحركات الإسلامية في موقف لا يحسد عليه، لعدة أسباب، فالحركة الإسلامية في غالبية الدول التي ظهرت فيها كان لها حضور كبير في المجال العام، سواء السياسي أو الدعوي أو الفكري، وبالتالي كان للحركة تأثيرها الواضح للمتابع للشأن العام خصوصاً في الدول العربية الكبيرة، هذا التأثير لم يتواز مع وجود قدرة على فهم الواقع الداخلي للحركة الإسلامية وفهم دوافعها وتقديراتها للكثير من المواقف، وهو ما جعلنا في كثير من الأحيان أمام سياسية بلا

---

(1) تم التواصل مع الدكتور جاسم سلطان عبر الإيميل في بداية إعداد الورقة، وجاء رد الدكتور أن الوقت لم يحن بعد للحديث في هذا الموضوع، والدكتور جاسم من مواليد قطر عام 1953 تخرج من كلية الطب سنة 1980م، انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين مبكرا أثناء دراسته للطب في القاهرة، وتفرغ منذ أكثر من 15 عامل للعمل الفكري لمشروع أطلق عليه مشروع النهضة، وله عدد من الكتب المنشورة.

عمق تاريخي تتيح للباحث الرؤية والتنبؤ بناء على الشواهد السابقة للحركة، كذلك فإن تاريخ الحركة الإسلامية كتب في بعض الأحيان من واقع الملفات الأمنية؛ حيث نُظر للحركة الإسلامية من خلال الملف الأمني.

ويلاحظ -أيضا- أن تاريخ حركة الإخوان لم يكتب إلا بعد فترات طويلة من الزمن، فمذكرات قادة الحركة، الذين قرروا البوح بما عندهم، كتبوها في فترات متأخرة من حياتهم، بعدما تخففت الذاكرة من الكثير من حمولاتها من الأحداث ووهجها، وتخلت الذاكرة عن تفاصيل كان من الممكن أن تنسج ملامح ذات عمق للحدث وتعطي تفسيراً لبعض التساؤلات التي يطرحها المهتمون بالحالة الإسلامية.

هذه المقدمة ضرورية كمدخل للحديث عن الحالة الإخوانية في قطر التي لا تتوافر لها أية معلومات مكتوبة باستثناء مقالة كتبها الدكتور الكويتي « عبد الله النفيسي» في عام 2007 حول التجربة الإخوانية في قطر، وهي مقالة انتشرت في مواقع الانترنت بطريقة ملفتة للنظر[2]، وحظيت باهتمام خاص من المواقع والمدونات السلفية، نظراً لأن النفيسي اقترح حل جماعة الإخوان المسلمين، وبالتالي فالمعلومات شحيحة للغاية في ما يتعلق بالتجربة، أضف إلى ذلك أن الحالة الإخوانية في الخليج تتسم بأن حركات الإسلام السياسي فيها تتميز بأنها نشأت في ظل حكومات وإمارات وممالك؛ تستمد شرعيتها من الإسلام، وهو ما خلق مساحات

---

(2) مقالة الدكتور عبد الله النفيسي نشرها على موقعه www.alnefisi.com، ونشرتها مواقع كثيرة جدا من بينها موقع «الإسلام اليوم» و «موقع إسلام أونلاين». والنفيسي من مواليد الكويت عام 1945م، وحاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية حول «الدور السياسي للشيعة في العراق الحديث»، وأستاذ للعلوم السياسية في عدد من الجامعات العربية والدولية، وله عدد من الكتب المنشورة والبرامج الفضائية.

مشتركة من الرؤية والهموم بين الحركة الإسلامية والأنظمة الخليجية.

كما أن الأنظمة الخليجية، باعتبارها نظما تقليدية، كانت حريصة أن تدعم شرعيتها السياسية من خلال إضفاء شرعية دينية على نظامها السياسي، وممارستها للسلطة منذ استقلالها باعتبارها مجتمعات قبلية، خاصة في فترة الخمسينات والستينات، حيث كانت الأنظمة التقدمية العربية وعلى رأسها مصر تهاجم تلك الدول.

وكانت هناك مخاوف في الدول الخليجية من نمو قوى سياسية داخلية، تطالب بالنظام الجمهوري، وكانت الأنظمة العربية الجمهورية في تلك الفترة خاصة مصر وسوريا لها صداماتها مع الحركة الإسلامية المتمثلة في الإخوان المسلمين. وربما ذلك ما جعل بعض الأنظمة الخليجية لا ترى في الإخوان المسلمين تهديداً لوضعها السياسي؛ بل ترى فيهم تدعيما لشرعيتها واستفادة من الطاقات البشرية والدعوية والفكرية التي كانت تزخر بها حركتهم في تلك الفترة، كنوع من الحصار للاتجاهات السلفية المتشددة التي كانت عقبة أمام عملية التحديث التي أخذت الدول الخليجية في تنفيذها خاصة في السعودية.

وفيما يتعلق بقطر، فالوجود الإخواني فيها تكثف ربما على ثلاث فترات، كان ذلك في منتصف الخمسينات، عندما هاجر عدد من رجالات الإخوان الدعويين إلى قطر، بفعل ضغط النظام الناصري في مصر واستقروا في قطر، تأثر ايضاً بعض الطلبة القطريين بالتجربة الإخوانية من خلال احتكاكهم بالإخوان المسلمين في مصر في فترة السبعينات، عندما

درسوا في الجامعات المصرية ومن بينهم الدكتور جاسم سلطان، ثم توافد الإخوان السوريين على قطر في بداية الثمانينيات بعد الصدام الدامي بين الإخوان والنظام السوري والذي خلف آلاف الضحايا من الإخوان، وآلاف المطارَدين خارج البلاد حيث استقر بعض شخصياتهم في قطر، واندمج بعض هؤلاء في مشروع فكري وصحفي كبير تمثل في مجلة «الأمة القطرية» التي صدر منها (72) عدداً حتى توقفها، والتي كان رأسها الإخواني البارز عمر عبيد حسنة[3]، وكانت المجلة تعبر عن المضمون الفكري لمشروع الإخوان.

في منتصف الخمسينيات دفع الضغط السياسي والعنف، الذي مارسه النظام الناصري ضد الإخوان، إلى هجرات إخوانية نحو عدد من دول العالم، ومن بينها قطر، وكان من بين الإخوان الذين قدموا قطر الشيخ عبد البديع صقر[4]، والشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ عبد المعز عبد الستار[5]، والدكتور أحمد العسّال[6]، وكان سكان قطر في تلك الفترة قليلي العدد ويتركزون في العاصمة الدوحة، وهو ما جعل حضور هذه القيادات الإخوانية مؤثراً داخل المجتمع القطري، ناهيك عما تمتعت

---

(3) من مواليد سوريا 1935، رحل إلى قطر وعمل مديراً لتحرير مجلة «الأمة» منذ صدورها في عام 1980 وحتى توقفها عام 1986، شغل عددا من المناصب الدينية في قطر، وله أكثر من 37 كتاباً ورسالة في قضايا ومشكلات الفكر والواقع الإسلامي.

(4) عبد البديع صقر من مواليد مصر 1915م انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين مبكرا، رحل إلى قطر 1954م، كان له دور في العمل الإسلامي في الخليج، توفي في مصر سنة 1986، وله عدد من الكتب المنشورة.

(5) عبد المعز عبد الستار من مواليد مصر، ومن علماء الأزهر، انضم إلى الإخوان المسلمين قديما، رحل إلى قطر في الخمسينيات ومازال يعيش فيها حتى الان.

(6) الدكتور أحمد العسال من مواليد مصر 1928، درس في الأزهر، ورحل إلى قطر، وحصل على الدكتوراه في أصول الفقه من انجلترا، وعمل رئيسا للجامعة الإسلامية بباكستان، ويعيش حاليا في القاهرة.

به تلك القيادات الإخوانية من عمق في العلوم الشرعية، وقدرات دعوية، وخبرات كبيرة في العمل الإسلامي.

استطاع هؤلاء الإخوان أن يقيموا علاقات جيدة مع الأسرة الحاكمة في قطر، ويتمتعوا باحترامها وثقتها، وتولوا عدداً من المساجد الكبيرة في قطر، مع تولي الحركة الدعوية، وشارك بعضهم في تأسيس بعض الكليات الشرعية، فساهم الدكتور يوسف القرضاوي في إنشاء الكلية الشرعية في قطر ووضع مناهجها، وكان لهذه الكلية تأثيرها في الشباب القطري، الذين التحقوا بها، كما ساهم الإخوان في صياغة الكثير من المناهج التعليمية والتربوية، وجلبوا عدداً من الكفايات الإخوانية التعليمية والتربوية والثقافية، التي استطاعت أن تؤثر في القطريين، خصوصاً وأن الإخوان كانوا يتحركون على أرضية قابلة لاستيعاب بذور الفكرة الإخوانية والإسلامية، في مجتمع لم تطله أفكار الحداثة والعلمانية، ويحتفظ بقدر من النقاء الفطري وتلعب الروابط القبلية دورا كبيرا في تماسكه، وكان يتشابه بقدر ما مع حالة الريف المصري الذي نشأ فيه غالبية الإخوان الذين قدموا إلى قطر في تلك الفترة.

وكان حاكم قطر آنذاك، الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني، لا يجد حرجا في الثقة في تلك المجموعة من العلماء الإخوان، الذين قدموا إلى بلاده، وانتقلت هذه الثقة من الحاكم إلى المجتمع القطري، وهو ما أوجد لهم قبولا وموقعا متميزا داخل المجتمع؛ وإذا أدركنا السياق الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في قطر، في تلك الفترة، حيث لم تكن هناك

أزمات تتعلق بالهوية، أو التكامل، أو توزيع الثروة، أو وجود معارضة للنظام السياسي، أو أزمات اقتصادية تؤدي إلى احتقانات اجتماعية وسياسية، كل هذا جعل العمل الإخواني يتركز على الجانب الدعوي والتربوي والتعليمي، أضف إلى ذلك أن المجتمع القطري كان متشابها مع المجتمع الخليجي في كونه مجتمعا محافظا من الناحية الاجتماعية والدينية، وهو ما يسر للإخوان حركتهم وأن يتركز جهدهم في الجانب الدعوي الذي يحظى بالرضا والقبول السياسي والمجتمعي.

ومع مرور الوقت، وبتأثير من الإخوان بدأت تنمو العاطفة الإسلامية لدى البعض من الشباب القطري، وأخذت مجموعات منهم تطالع كتب سيد قطب، وفتحي يكن، ومحمد الغزالي وغيرهم، وشرع هؤلاء في القيام ببعض الأنشطة التي تشبه وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، فكانوا يقيمون المعسكرات والرحلات الصحراوية، يدعى إليها بعض قيادات الإخوان الموجودين في قطر لكي يحاضروا فيها.

كان التيار القومي والناصري موجوداً في قطر، فترة الخمسينات، من القرن الماضي، وكان الشباب القطري متأثرا بالرئيس المصري جمال عبد الناصر، ومتأثرا بالقضية الفلسطينية، وكان التيار القومي يأخذ مكانا واضحا بين القطريين، بفعل الدعاية الناصرية ولأن جزءاً من المعلمين في قطر كان ذا اتجاه قومي، سواء أكانوا من مصر أم من الشام ومن فلسطين على وجه الخصوص. لكن جاءت هزيمة 1967 لتشكل منعطفا في واقع المنطقة كلها وفي الأيديولوجيات المنتشرة بها، فأخذت

الأفكار والرؤى الإسلامية تطفو على السطح، ومصر في المقدمة، وكانت مصر سباقة في التعليم النظامي الحديث، والخليجيون وغيرهم يرسلون طلبتهم للدراسة فيها، وانعكست حالة الغليان وعدم الاستقرار، والتحول الفكري في مصر، على الكثير من هؤلاء الطلاب الوافدين، وتزامن مع تلك الفترة تغير النظام السياسي بوفاة الرئيس جمال عبد الناصر، وصعود الرئيس أنور السادات إلى السلطة، وظهور نزعته الإسلامية واضحة في المجال العام، فتم إطلاق غالبية الإخوان المسلمين المعتقلين في السجون، وارتخت القبضة الأمنية على العمل السياسي، وشهدت مصر أجواء انفتاح من ناحية الحريات.

وفي تلك الفترة المهمة، في حياة مصر والمنطقة، قدم إلى مصر عدد من الطلبة القطريين، ومن بينهم الدكتور جاسم سلطان(7) الذي جاء إلى مصر سنة 1973 لدراسة الطب، وكان هذا الطالب مشبعا بروح إسلامية، وشاءت الأقدار أن يشهد ولادة الحركة الإسلامية في الجامعة المصرية، في كليتي الطب والهندسة من جامعة القاهرة، فتعرف على قيادات طلابية من الإسلاميين. كما شهد تلك الفترة بدايات اتصال القيادات الإخوانية الخارجة من السجون المصرية مع الجماعة الإسلامية الطلابية، وعاصر بدايات نمو تيار العنف في مصر، وهي خبرات انعكست في تكوينه، وفي رؤيته، وفي تأسيس جماعة الإخوان في قطر لاحقاً، وكان تأثر جاسم سلطان الأكبر بمجموعة الكتب التي أصدرها المفكر والكاتب

---

(7) بعض هذه المعلومات التي استندنا عليها هي جزء من شهادة سجلها الزميل عصام تليمة مع الدكتور جاسم سلطان حول مراحل تكوينه، وهي تحت النشر في موقع مدارك التابع لإسلام أونلاين نت.

الإخواني السوري سعيد حوى، والتي كانت تحاول أن تبني نسقا فكريا وسلوكيا وروحانيا متكاملا للفرد المسلم، خصوصاً إذا كان عضوا في الإخوان المسلمين.

واندمج بعض هؤلاء الطلاب القطريين، ومن بينهم جاسم سلطان، في الأنشطة الإخوانية في مصر، في تلك الفترة، وتأثروا بالتجربة الإسلامية. ويشير الدكتور عبد الله النفيسي أنه مع منتصف السبعينات شرعت مجموعة من الشباب القطري، لا تتجاوز المائة، في بناء تنظيم خاص للإخوان في قطر، وتركز أغلب نشاط هذه المجموعة على النشاط الدعوي والتربوي. ثم بعد مضي خمس سنوات، من تشكيل التنظيم الجديد البسيط شكلاً ومضموناً، جاء بعض الخريجين الجُدد من الخارج 1980 - 1981 وانضموا إلى هذه المجموعة، وبدأت تُطرح إشكالات حول أهمية وجدوى ومدى الحاجة إلى إنشاء تنظيم للإخوان المسلمين داخل قطر، ومدى قدرة هؤلاء الأفراد على تحمل تبعات مثل هذا التنظيم في ظل انتفاء الأسباب السياسية والاجتماعية الداعية لظهوره، ومدى قدرتهم على تحمل تبعاته في ظل أنظمة سياسية لا تطيق الحزبية خاصة الإسلامية منها، وتضيق بها وتراها تحزبات انقلابية أيديولوجية.

وتعامل الإخوان القطريون مع تساؤلاتهم وإشكالاتهم بجدية ووضوح وعلمية، فتم تفويض مجموعة منهم بدراسة هذه الأسئلة والإشكالات وتم استحضار فكر الشيخ حسن البنا وتجربته وتقييمها داخل مصر وخارجها، وانتهت هذه الدراسة عام 1991، وتكونت الدراسة من

جزأين، وخلصت في قسمها الثاني الذي لم ينشر إلى أن فكر حسن البنّا لم يحدّد بدقة الموقف من الدولة، مثل: المشاكل الداخلية للدولة -الحكومة- الإدارة-الاقتصاد - الأمن -نظرية العلاقات الدولية، الاقتصاد- التعليم.

ودرس هؤلاء الإخوان القطريون جماعة الإخوان كمنظمة تحت عنوان «منظمة الإخوان»، فكان تشريحا فكريا وتنظيميا للإخوان من حيث الهيكل، ونظم الاتصال، والتعاون البيني داخل المنظمة، والقيادة، والثقافة السائدة داخل المنظمة، والجمهور المخاطب من حيث طبيعته وطبيعة الخطاب الموجه له، وتكاليف الصراع الذي دخلته، وهل يمتلك الإخوان خطة فعلية يتحركون على هديها ويسترشدون بمراحلها؟ وتوصل القطريون، بعد هذا الجهد العلمي والبحثي، إلى قرار عام 1999 بحل التنظيم وتم تبليغ ذلك إلى الإخوان المسلمين في مصر.

وهناك تبرز عدة ملاحظات وتساؤلات وتكهنات بشأن قرار حل التنظيم الإخواني في قطر، في ظل ندرة المعلومات الموجودة عن القضية وفي ظل إصرار شخوصها المؤثرين على الصمت وعدم التحدث، منها:

- هل إن قرار حل تنظيم الإخوان يرجع إلى قناعة فكرية بعدم جدوى التنظيم، في ظل محافظة المجتمع الدينية، والوفرة المادية، وغياب السياسة بمعناها التنافسي والتصارعي؟ وبالتالي يصبح وجود التنظيم في هذه الحالة هو نوع من تحميل الواقع ما لا يحتمل، وتقمص ادوار إخوانية ليس لها محل أو إمكانية للعيش والاستمرار في مثل المجتمع القطري، الذي

لم يعرف الحزبية ولا يشهد دواعي إقامتها!

فاستنساخ التجربة الإخوانية التنظيمية المصرية في مثل المجتمع القطري تصبح- حسب رأي هؤلاء – أمراً غير ذي جدوى؛ فمجتمع الجزيرة العربية يعاني من خمول المجتمع المدني، وهو ما يشجع على فكرة التحول لتيار يقدم الخدمات المختلفة للجماهير دون أي لافتة تنظيمية واضحة أو مستترة.

ويرى الدكتور النفيسي أن أكثر ما ميز التجربة القطرية الإخوانية، التي انتهت 1999، أنها كانت تجربة عادية تلقائية، لم تتحكم فيها العاطفة الإسلامية أو اليوتوبيا السياسية، ولم تتحكم بها (لوائح تنفيذية) أو قوانين أو رسميات، كشأن تجربة الإخوان في الإمارات أو الكويت، فالقطريون يرون أن اللوائح والقوانين والرسميات تعيق النمو الطبيعي العفوي للجماعات.

وربما هذه الرؤية في بناء تيار هو ما حدا بعدد من قيادات الإخوان في قطر، خصوصاً جاسم سلطان، أن يقدموا نصائح إلى الإخوان في الإمارات أكثر من مرة ليحلوا التنظيم الإخواني في الإمارات، مخافة أن تلجأ الدولة إلى أسلوب القمع المباشر ضد الإسلاميين، ومن بينهم الإخوان المسلمون.

يرى جاسم سلطان المسؤول عن حل تنظيم الإخوان 1999 أن المسألة «ليست في موضوع وجود تنظيم من عدمه، بل الموضوع الرئيس هو

في جدوى فعل معين، ومدى قابليته لتحقيق ما يعد به».

وقضية التنظيم داخل الحركة الإسلامية تحتاج إلى قدر من النقاش، فطبيعة الدولة الخليجية، الحديثة التكوين والتقليدية، تعاني من محدودية دور السياسة فيها، وهو ما يجعل قضية حل تنظيم جماعة الإخوان في قطر قضية ثانوية لا يجوز تعميم نتائجها لاعتبارات موضوعية، لكن هذا لا يمنع أن جاسم سلطان طرح فكرة مهمة تحتاج إلى قدر من النقاش والتحرير، وهي مسالة علاقة أي تنظيم حركي بفكرة ما. ويبدو أن ما طرحه يؤكد أن أي صيغة تنظيمية لها مبررات أوجدتها وأدوار ووظائف لابد أن تلعبها، وجدوى من وجودها، فإذا لم توجد المبررات وغاب الدور وانتفت الجدوى يصبح التنظيم أو تلك المؤسسة فاقدة لصلاحية الحياة والاستمرار، ولابد من إعلان وفاتها.

وقضية تأطير الدعوة الإسلامية في شكل منظم بطريقة ما، أصبحت تلقى قدراً من الانتقاد والتشكيك في جدواها وما جلبته من مصالح ومنافع للحركة الإسلامية، يقابلها في الوقت ذاته، دفاع شرس عن الهياكل المتوارثة داخل الحركة الإخوانية، حتى وإن فقدت صلاحيتها.

وما بين الحدين يمكن فهم ما انتهجه جاسم سلطان، ودوره في حل الوجود المنظم للإخوان في قطر، وما يطرحه في مشروعه عن النهضة، وهو مسألة الجدوى من أي فعل منظم داخل الدعوة باعتباره فعلا غير مقدس وقابلاً للنقد والمسائلة والمحاسبة، لأن التجارب لا تأخذ شرعيتها

من السماء ولكن من قدرتها على الإنجاز في الأرض، فالقدر ليس الشماعة التي يعلق عليها الناس أخطاءهم وقصورهم وتراخي أدوارهم.

ويرى الدكتور رفيق حبيب في بحث مهم له بعنوان «مستقبل رسالة البنا»[8]: أن الجماعة، أو التنظيم داخل جماعة الإخوان، لعب دوراً مهما من حيث كونه الرافعة للفكرة الإسلامية، وكان مجسداً لها في الكثير من الأحيان، وأن مستقبل فكرة الجماعة مرتهن بمستقبل الجماعة أي التنظيم، لكنه أشار في الوقت نفسه إلى قضية جوهرية، وهي أنه في فترة الانطلاق كانت الفكرة الإخوانية أكبر من التنظيم ولم يكن التنظيم حكرا عليها، وهو ما حول فكر الإخوان إلى تيار عام في كثير من البلدان.

وأشار حبيب إلى أن فكرة الجماعة المركزية والبسيطة كانت في استعادة دور الإسلام الحضاري الشامل في الحياة؛ أي إن جوهر الدعوة كان تطبيق الدين في الحياة، واسترجاع الدور في المجال العام، لكن حقيقة الفكرة كانت مضادة لكثير من القوى الدولية والمحلية في نشأتها الأولى وفي مراحل تطورها، فإذا تضافر ذلك مع تنظيم يجند الناس ويربيهم، كان هناك إدراك بحجم المحن والمشكلات التي سيتعرض لها الإخوان.

وما يعنينا في كلام حبيب هو أن التنظيم أو الجماعية، في تجربة الحركة الإسلامية، كانت من عوامل ضعفها ومن عوامل قوتها في

---

(8) راجع ورقة الدكتور رفيق حبيب «مستقبل رسالة البنا» ضمن بحوث مؤتمر مئوية الإمام البنا، والتي نشرت في كتاب: المشروع الإصلاحي للإمام حسن البنا..تساؤلات قرن جديد- مركز الإعلام العربي- القاهرة- الطبعة الأولى 2007.

الوقت ذاته، وهي نقطة يلتقي فيها جاسم سلطان مع رفيق حبيب في أن التنظيم هو وسيلة لتحقيق غاية، وليس هدفا في حد ذاته. لكن حبيب في رؤيته العامة لجماعة الإخوان لا يطرح الحل مثلما نفذه جاسم سلطان في الحالة القطرية، إلا أنه يطرح مبدأ التوازن بين حماية التنظيم للرسالة والفكرة، وبين أن يبتلع التنظيم الفكرة ويقوقعها داخله، ويجمد تمددها وتجليها الاجتماعي، فالتجربة التاريخية لدعوة مثل الإخوان تشير إلى أن دور الجماعة يتراجع بسبب قصر دورها في حماية التنظيم فتكسب بذلك الجماعة البقاء لكن رسالتها تتأخر.

وهو ما يؤكده الباحث الفلسطيني عدنان أبو عامر بقوله: «كان البنا يعتبر التنظيم وسيلة لا غاية- كما هي الدولة- وآلية لتحقيق أهداف عليا، وليس بديلا عنها أو ملغيا لها»[9].

ويرى الدكتور رفيق حبيب أن فكرة تنظيم الإخوان ليست فكرة قائمة على طائفية أو حزبية؛ ولكنه تنظيم يحقق ترابطا قويا بين أفراده من خلال الترابط بينهم في جوانب الحياة المختلفة، الحياتي منها والاجتماعي، فالفرد لا يعيش حياة عادية ثم يلتقي بإخوانه في بعض الأنشطة الدعوية ولكنه ينتمي للتنظيم ويعيش فيه الكثير من جوانب حياته، وهو ما يجعل البناء مترابطا، لأنه يقوم بكل الأدوار في حياة العضو، ومادام الفرد يعيش في التنظيم فإنه يكرس حياته له، وبالتالي فالتنظيم متماسك اجتماعيا.

---

(9) راجع ورقة عدنان أبو عامر «من ملامح الفكر السياسي للبنا» ضمن كتاب :المشروع الإصلاحي للإمام البنا- مرجع سابق.

أما جاسم سلطان فكان في رؤيته[10] يسعى إلى تفكيك التلاحم، الذي حدث في فترات معينة، ونتيجة لضغوط معينة بين تجربة الحركة الإسلامية والهياكل التي أنشأتها والأدوات، التي استخدمتها في الدعوة والأفكار التي طرحتها على جماهيرها وعلى الناس، وبين حقيقة النص الديني المقدس المنزه، فلا تقديس لتجربة إنسانية. فالتجربة خاضعة للتقييم والنقد والتطوير والإضافة والحذف والإلغاء والتجاوز، لأن ارتباطها الأساسي يكون بجدواها ومدى قدرتها على الإنتاج، وهو ما يحرر العقلية الإسلامية والحركية من تقديس ميراث الآباء المؤسسين، ويكون التمسك الرئيس بمنهجيتهم في التعامل مع مشكلاتهم وقضاياهم وفقا للنصوص المقدسة.

فالحالة الإسلامية أطلقت مشروعها، وفي ذهنها مسلمات معينة، وبالتالي كان عليها أن تعيد إنشاء البناء المصغر للخلافة في بنيتها وتشكيلاتها؛ ولذا أخذت تنشئ المنظمات الشاملة، وهذا المنطق كان مقبولاً في حينها؛ لأن مسلمته الثانية أن هناك فراغا أو إمكانية إحداث فراغ حتى يحتله هذا المشروع الإسلامي، ثم يبسط أجنحته على الحياة، فتعود الدولة الإسلامية ابتداءً، ثم دولة توحيد الخلافة بشكل لاحق.

ورأى جاسم أن هذه الأفكار اصطدمت بفكرة أن الواقع ليس فيه فراغ، لا على المستوى المحلي، ولا على المستوى الإقليمي، ولا على المستوى

---

(10) راجع حوار عبد الله الرشيد مع الدكتور جاسم سلطان بعنوان: المسلمات الحركية تصطدم بالواقع – موقع الإسلام اليوم.

العالمي، فهناك دولة مركزية، وأينما وُجدت الدولة المركزية ستصطدم بهذه البنى الموجودة، وهذا الذي حدث، فهذه البنى بتشكيلاتها التي أنشأتها، وبأدبياتها التي أنشأتها لإسعاف هذه المنظومة اصطدمت بواقع صلب جعلتها تدفع تكاليف ضخمة جدا، فتم استنزافها في هذا الصراع، وبعد ذلك تم تفريغ طاقاتها، ثم دُفعت إلى مساحات العنف حتى تستهلك بقية طاقاتها، ثم على مساحة الأرض التي تعمل فيها أصبحت محاصرة حصارا شديدا. هذا النوع من التفكير يحتاج إلى مراجعة المسلَّمات التي انطلق منها هذا المشروع.

ورأى جاسم أنه بانتقال مشروع الحركة إلى مناطق العالم الإسلامي انتقلت معه هذه المسلَّمات والأشكال التي أوجدتها هذه المسلمات؛ فهذه المسلمات إذا لم تكن صلبة بما يكفي وتتم مراجعتها؛ ستنتج لنا نفس المشاكل التي أنتجتها في الفترات السابقة، فهناك خبرة عملية، تدفع إلى إعادة التفكير في مسألة التنظيم بعد تلك الصدامات المكلفة، وأن المراجعات يجب ألا تتوقف عند حدود الأفكار بل تتعداها إلى الأشكال التنظيمية؛ وهذا ما تم في الحالة القطرية.

ربما كانت حالة جماعة الإخوان في مصر أحد المداخل، ليعيد الإخوان في قطر التفكير في وجود التنظيم واستمراره في قطر ثم حله عام 1999. فبعض من أجرى الدراسة عن جماعة الإخوان في قطر- حسب ما أورده النفيسي- أشار إلى أن الإخوان في مصر تحوّلوا إلى إسفنجة تمتص كل الطاقات وتجمّدها، وأنهم ساهموا - بغير وعي- في تجميد

الأوضاع داخل البلد بما يخدم النظام المصري، وأن الإخوان في مصر فقدوا البوصلة، وأنهم انشغلوا بالفعل اليومي والصراع على النقابات والأندية والاتحادات الطلابية والسيطرة على المساجد، ونسوا أهدافهم الإستراتيجية في النهوض بالأمة، وإذا كان القلب أصابته تلك الأمراض فلابد أن ينعكس ذلك على الأطراف.

الإسلام التقليدي في الكويت

مشاري الذايدي(*)

إنّ الكتابة في هذا الموضوع كانت مهمة شاقة على كاتب هذه السطور، بل الكتابة عن كلِّ شأن قديم، يتعلق بمجتمعات ودول الجزيرة العربية، يعد حفراً في الصخر، وذلك لقلة الموارد التاريخية، وحداثة اهتمام أهل هذه المناطق بالتدوين والتأليف.

ومن قَبل نوه رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية، أ.د. عبد الله يوسف الغنيم، وهو يرأس مركزاً من أفضل مراكز الدراسات التاريخية في الخليج، لشحة المصادر، وهو يتحدث عن كتاب الباحث عدنان بن سالم الرومي عن علماء الكويت وأعلامها، «هو أمر عسير في ظل قلة المصادر المكتوبة عن رجالات الكويت وأعلامها»[1]، ناهيك عن عزوف كثير من علماء نجد ومثلهم الخليج العربي عن الرصد والتأليف[2].

(*) كاتب سعودي.

(1) عدنان بن سالم بن محمد الرومي. علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون. مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الاولى: 1999.

(2) يذكر الدكتور عبد الرحمن العثيمين، وهو باحث سعودي من المهتمين بتراث علماء الحنابلة وعلماء نجد أن الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع .ت 1291 هـ 1874-. كان أكثر من ابن حميد معرفة بالفقه والتاريخ والأنساب إلا أنه لم يؤثر عنه تأليف، شأن كثير من علماء نجد- رحمهم الله- يؤثرون التدريس والوعظ والإفتاء على التأليف». وابن حميد المشار إليه هو محمد بن حميد المكي، صاحب كتاب السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (ت 1295هـ 1878)، وكان زميلاً لابن مانع .عبدالرحمن بن عثيمين.مقدمة السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة. تأليف محمد بن عبدالله بن حميد النجدي ثم المكي. ص 40. مؤسسة الرسالة. الطبعة الاولى 1996.

تثير هذه الدراسة عدداً من الأسئلة عن حقيقة وجود إسلام تقليدي في الكويت قبل نشوء تيارات الإسلام السياسي في خمسينات القرن الماضي، وهل الإسلام التقليدي إسلام الفقهاء المتفرغين للفقه قد انحسر وتراجع لصالح إسلام «المثقفين» والمسيسين؟ وعن حقيقة دور وتأثير إسلام الفقهاء، كعلماء الأحساء والزبير والبصرة. كما تطرح سؤالاً عن سبب احتكار الإسلام السياسي في الكويت والبحرين وربما السعودية لاحقاً للحديث عن الهوية الإسلامية ورسم ملامحها.

لقد قرأنا شيئاً عن حركة الإخوان المسلمين منذ نشأتها في الكويت باسم جمعية الإرشاد ثم الإصلاح، ثم إنشاؤها لذراعها السياسي «حدس» أو الحركة الدستورية الكويتية حالياً. ونعرف أيضاً شيئاً عن تيارات الحركة السلفية في الكويت، مثل جمعية إحياء التراث أو السلفية العلمية أو السلفيين المستقلين، من خلال مقالات الصحف اليومية أو من الدارسات والأبحاث المتخصصة، مثل أبحاث الدكتور فلاح المديرس المتنوعة، ومع ذلك سنجد أقصى مدى زمني لهذه الحركات والتيارات السياسية لن يتجاوز 1952، وهو تاريخ إنشاء جمعية الإرشاد الإسلامي على يد عبد العزيز العلي المطوع، أحد تلاميذ حسن البنا والمعجبين به، ثم شقيقه عبد الله العلي المطوع الذي استأنف عمل جماعة الإخوان من خلال جمعية الإصلاح التي انطلقت في 1962.

وكان عبد الله العلي المطوع (الحاج بو بدر كما يحب أن يتودد إليه أصحابه)، هو رمز الإخوان في الكويت، وهو من خريجي مدرستي المباركية

والأحمدية، وهما المدرستان اللتان مثلتا منطلقا لكثير من رواد التغيير في الكويت، وقد أنشأهما رواد التغيير والإصلاح، بقيادة الشيخ يوسف بن عيسي القناعي «مصلح الكويت الأكبر»، كما يسميه صديقه وتلميذه المؤرخ والاصلاحي السلفي عبد العزيز الرشيد. وكان عبدالعزيزالعلي المطوع قد التقى مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا عام 1947 في مكة[3].

بعد هذه الإشارة، نكون قد وضعنا أصبعنا على «حداثة» النشوء الحركي للإسلاميين السياسيين في الكويت من جهة، ومن جهة أخرى على تشابك العلاقات في تيار الإصلاح، وكان بقيادة الشيخ يوسف بن عيسى، وهو في الوقت نفسه الرجل الثري والمستشار السياسي، وكان كما قال عنه المؤرخ عبد العزيز الرشيد: «هو في الحقيقة مصلح الكويت الفذ». ويضيف: «ولاغرو أن يمتاز هذا الأستاذ على إخوانه بذلك، فإنه قد جمع مع الثروة علماً جماً انكشف له به من الأسرار مالم ينكشف لأحد من مواطنيه»[4]. يصف المؤرخ عبد الله الحاتم الشيخ يوسف ابن عيسى القناعي بـ «المصلح الكبير»[5].

كان هذا المصلح الكبير، محور الكثير من الخطوات الإصلاحية في السياسة والتعليم في الكويت، وكان تلميذاً مقرباً وصديقاً للشيخ رشيد رضا وبينهما مراسلات، كما كان له صلة وطيدة أيضاً بحافظ وهبة

---

(3) فلاح المديرس .دراسة حول الحركات والجماعات السياسية في الكويت. الحلقة الأولى. جريدة القبس بتاريخ 4 يونيو 2006.

(4) عبد العزيز الرشيد.تاريخ الكويت. ص 197. دار قرطاس للنشر.الطبعة الثالثة.

(5) عبد الله بن خالد الحاتم. من هنا بدأت الكويت. ص79. المطبعة العصرية،لبنان. الطبعة الثالثة 2004

ومحمد الشنقيطي، وكان مناصراً للإصلاحية السلفية على طريقة الإمام محمد عبده، وفي الوقت نفسه كان هو كبير الأسرة التي ينتسب إليها الشقيقان عبد العزيز وعبد الله العلي المطوع، رمزا الإخوان المسلمين في الكويت. وبفضل الشيخ القناعي تحقق الكثير من الخطوات الانفتاحية شبه الليبرالية في البلد، حسبما سيرد بشكل أوسع في موضع آخر من البحث.

النشاط الفقهي والفكري قبل ظهور الجماعات الإسلامية

كانت الكويت، كبلاد فاعلة في منطقة الخليج والعراق ونجد، تعيش نشاطاً فكرياً ودينياً، وإن كان (باهتاً) حسب وصف المؤرخ عبد العزيز الرشيد. وقد مرَّ بالكويت علماء كثيرون عبروها إلى العراق وفارس، أو كانوا عائدين من هذه البلدان عبر الكويت إلى الأحساء ونجد والخليج ، وهو الأمر الذي أبقى أثره مع السنين في الكويت مع العلماء الزائرين، أمثال ابن فيروز أو ابن سلوم أو إبراهيم الجاسر أو الشيخ العلجي وغيرهم من علماء الإحساء ونجد، كما هو الحال مع المصلح المصري حافظ وهبة، أو التونسي عبد العزيز الثعالبي، أو الشامي المصري محمد رشيد رضا، وآخرين. كل هذا النشاط حدث قبل نشأة التيارات الإسلامية الحديثة في الكويت بتاريخ طويل، وكان أبكر تلك التيارات هم الإخوان بشكلهم الجنيني من خلال جميعة الإرشاد سنة 1952.

الكويت في القرون الماضية

نرى أن الكويت كانت معروفة منذ 1135 هـ - 1723م، وهو أقدم تاريخ علمي ديني، لأنه السنة التي ذكر مؤرخ الكويت الأكبر الشيخ عبد العزيز الرشيد أنها سنة وفاة قاضي الكويت الأول محمد بن عبد الوهاب بن فيروز. وهو تاريخ أقدم من تاريخ وفاة أول أمير للكويت من آل الصباح، وهو صباح الأول أو صباح العتبي كما يُدْعَى. وقد توفى سنة 1190 هـ 1776-م، أي أن قاضي الكويت الأول مات ودفن في الكويت قبل وفاة أول أمير لها بحوالى 55 سنة.

ويذكر المؤرخ عبد العزيز الرشيد أن الشيخ مبارك الصباح، أو مبارك الكبير كما يعرف، قال في إحدى رسائله لبعض ولاة البصرة: إن الكويت تأسست سنة 1022هـ - 1613م، ويقول البعض بل هو في سنة 1083هـ - 1672م. ويرى آخرون أنها تأسست سنة 1100هـ - 1689م، وينقل الرشيد عن أحد أدباء وشيوخ البحرين آل خليفة، وهو إبراهيم ابن الشيخ محمد، أن تأسيس الكويت كان سنة 1125هـ 1713م، ويصف الرشيد الشيخ إبراهيم آل خليفة بالمحقق العلامة، ثم يرجح أن أقرب الأقوال للصواب هو قوله أو القول بأنها سنة 1100هـ 1689م(6).

لقد أُهمل هذا العمق الزمني المديد للتاريخ الديني والعلمي في الكويت عند العديد من الباحثين في نشأة الحركة الاسلامية بشتى

(6) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص 18 و ص 135.

أطيافها، ومهما بدا متواضعاً، تبقى له قيمته في البحث. كانت الكويت منذ نشأتها نقطة تقاطع للحراك الاقتصادي والسياسي والعلمي في منطقة شمال وشرق الجزيرة العربية؛ وفي منطقة العراق وفارس والخليج العربي أيضاً، بل إن بعض الرحالة القدماء يصف التقدم والوعي السياسي في الكويت بـ «الجمهورية». ظهرت الكويت في خرائط القرن التاسع عشر تحت مسمى الجمهورية، منها خريطة الجزيرة العربية، التي رسمها كارل ريتر[7] C.Ritter.

ويبدو أن وصف الكويت بالجمهورية كان متداولا في تلك المرحلة، فقد أطلق والي بغداد الشهير مدحت باشا عليها الاسم نفسه، حين زارها في مايو 1872 حسب ما ورد في مذكراته، قال: «هي كائنة على الساحل بالقرب من نجد، وأهلها مسلمون، ولم تكن تابعة لحكومة من غير أهلها، وأراد نامق باشا إلحاقها بالبصرة فأبى أهلها، لأنهم تعودوا عدم الإذعان للتكاليف والخضوع لحكومات غيرهم، وشيخها اسمه عبد الله الصباح (يقصد الحاكم الثاني) وأهلها شافعية، وهم يديرون أمورهم بحسب الشرع، ومنهم حاكمهم وقاضيهم، فهم أشبه بالجمهورية»[8].

نرى مثل هذا الوصف أو قريبا منه- كله يدور حول اعتزاز الكويت باستقلالها وخصوصيتها- يتردد كثيراً لدى مؤلفين عن الكويت من أهلها ومن غيرهم. بل إننا نرى كيف أن شيخاً «سلفياً» وإصلاحياً، تمتع بعلاقات

(7) د.يوسف عبد المعطي، الكويت بعيون الآخرين.. ملامح من حياة مجتمع الكويت وخصائصه قبل النفط، ص 31، 2002، منشورات مركز البحوث والدراسات الكويتية. وريتر عالم ألماني يعتبر أحد مؤسسي علم الجغرافيا الحديثة. والخريطة منشورة في كتابه: علم الأرض الذي نشر سنة 1818

(8) المصدر نفسه، ص32.

جيدة مع الملك عبد العزيز، وكلفه الملك بنشر الدعوة السلفية في بلاد إندونيسيا، وهو الشيخ المؤرخ عبد العزيز الرشيد، لايختلف هو الآخر عن الاعتزاز بهذه الاستقلالية الكويتية.

وقد أرجع الرشيد سبب أزمة «المسابلة» الشهيرة بين أهل نجد والكويت- عندما منع الملك عبد العزيز أهل نجد من مسابلة الكويت أي البيع والشراء في أسواقها- إلى أن الملك أو «عظمة السلطان»، كما وصفه، أراد ألا يجني ثمرة متاجرة أهل نجد مع الكويت غيره، وقد صمم على ألا يتنازل عن هذا المنع إلا إذا قبل منه الكويتيون إحدى ثلاث: إما تعويض مادي شهري عن هذه الخسارة من تجارة أهل نجد الخارجية، أو أن يضع جابياً في سوق الكويت يقبض رسومه من رعاياه هناك بدل حاكم الكويت، أو أن يعين حاكم الكويت من قبله من يقبض له الرسوم. وبعد استفاضة المؤرخ في شرح غضب ونقاشات أهل الكويت حول طمع السلطان عبد العزيز فيهم وسطوته عليهم، وأن ذلك مقدمة لأطماع سياسية أكبر، قال الرشيد: «الكويت لا خوف عليها من عظمة السلطان، ومطامعه مادامت في معاهدة مع انكلترا التي لايمكنها -ولها فيها شيء من المصالح والآمال- غضّ النظر عمن يحاول ابتلاعها، مهما كان جنسه ومهما كانت المنافع التي تجنيها من ورائه، نظراً لأهمية الكويت الجغرافية والسياسية في الخليج»[9].

لاحظ أن الرشيد يقول هذا النص المفعم بروح التشبث باستقلال الكويت، ولو تحت حماية حراب الإنجليز، حتى ولو كانت هذه الحراب موجهة للسلطنة الوهابية السلفية، التي هو نفسه من أنصارها، فهو رجل

---

(9) المصدر نفسه، ص49.

حنبلي النشأة، أصل أسرته من مدينة الزلفي النجدية، هاجر والده المباشر منها بسبب القحط الذي أصاب الديار النجدية، وكان والده كما يصفه المؤرخ الكويتي يعقوب الحجي في كتابه الذي أصدره عنه «رجلاً متديناً على طريقة أهل نجد الحنابلة»[10].

إذن، فنحن نتحدث عن حالة بلد مميز بموقعه، ونسيجه الاجتماعي ومحطاته التاريخية، وخصوصيته النفسية التي أدت به إلى أن يكون حريصاً على استقلاله، ومأوى للجميع من سنة وشيعة، بل حتى مسيحيين ويهودا[11].

يذكر الباحث الكويتي، المهتم بالوثائق القديمة المحلية منها والأجنبية، يعقوب البراهيم، أن السبب الرئيسي لهجرة أهل نجد إلى الكويت لم يكن كله بسبب القحط أو الجوع، مع أن هذا سبب رئيس، لكنْ هناك أسباب تتعلق بالضيق من التزمت، أو بسبب الحروب والفتن الداخلية، التي كانت كثيرة الحدوث قبل توحيد المملكة العربية السعودية[12].

ولعله مما يصدق كلام الأستاذ يعقوب الإبراهيم أن نذكر قصة رحيل أبرز علماء الحنابلة، بل عالمهم الأول في الكويت، الشيخ عبد الله الخلف الدحيان من المجمعة إلى الكويت، وقد كان ذلك بسبب حصار

---

(10) عدنان الرومي. مرجع سابق ص251.

(11) عبدالعزيز الرشيد. مرجع سابق.ص 64.

(12) حديث للباحث مع يعقوب البراهيم . وأسرة البراهيم خرج منها أهم شخصية سياسية حاربت حاكم الكويت القوي مبارك الصباح، وهو الثري يوسف البراهيم الذي كان حليف عبد العزيز بن متعب الرشيد في معركة الصريف سنة 1318 هـ - 1901م.

الإمام عبد الله الفيصل بن تركي للمجمعة في الشطر الثاني من القرن التاسع عشر، وكان والد الشيخ خلف «مطوع المسجد»، وقد هجاه بعض الشعراء من جيش الإمام في قصيدة ظريفة ذكرها عبد الله البسام في تاريخه عن علماء نجد، ومنها هذا البيت:

المطوع خَلَف بعد الخطابة صار يغني بالمحاريب!

وبسبب هذه الحروب، آثر والد الشيخ عبد الله الهجرة إلى الكويت، على الأرجح في سنة 1285هـ 1869م. وفي الكويت ولد الشيخ عبد الله الخلف 1292 هـ 1876م شيخ الحنابلة في الكويت بل وخارج الكويت، وقد كان والده خلف - وقيل جده- للتو انتقل من حياة البداوة إلى حياة التحضر، حيث كانت أسرته من بادية قبيلة حرب، وقرر أن يكون طالب علم وشيخاً سلفياً وهابياً، لكنه لم يستطع البقاء في نجد بسبب هذه الحروب الداخلية[13].

هل يمكن وصف الكويت بأنها «منفتحة» -هكذا بإطلاق- خالية من أي تأثير محافظ سواء من ينبوع نجدي عادي أو نجدي سلفي، أو حتى من محافظة دينية بشكل عام؟

هنا نجد مفكراً ومصلحاً وسياسياً عربياً شهيراً، كان له أثر بارز في حياة الكويت العلمية والتربوية والسياسية حتى عُدَّ من أعلام الكويت، وهو مصري المنشأ، وهو الشيخ حافظ وهبة. حينما وصف أهالي

(13) الرومي. مرجع سابق ص 154 و ص155.

الكويت قائلاً: «لقد وجدت في أهل الكويت الأمانة والوفاء والصدق في المعاملة والتدين، وإذا كان فيهم شيء من الجمود والمحافظة على كل قديم فالأحوال الاجتماعية السائدة في تلك الأنحاء في الخليج العربي والعراق، كلها تساعد على هذا الجمود»[14].

وحول نشاط الإرسالية الأمريكية للتبشير، التي سمح لها الشيخ مبارك بإقامة المستشفى الأمريكي الشهير، يروي أحد الزاور الأجانب (رونكيير)، وهو يصف أسواق مدينة الكويت ومعالمها وطبيعة السكان فيقول: «وإذا مررت بسوق الفحم إلى الشارع الرئيسي، تجد على يمينك دكان الإرسالية التبشيرية الأمريكية، ويغطي طرف منضدة طويلة في ذلك الدكان طبعاتٌ من المؤلفات المسيحية باللغة العربية، ويجلس بجوارها يوما بعد يوم رجل قد وُهِب صبرا عظيما، يفوق طاقة البشر، فطوال اليوم تنساب غمغمات وأحاديث السائرين وأنهار من البشر تمر بجواره فتتجاوزه... ولكن نادراً مايحدث أن تطأ قدما عربي عتبة دكان الإرسالية، وإذا حدث ذلك فإن النهاية ستكون أسوأ من البداية، فالمناقشة الدينية بين مبشر مسيحي ووهابي متشدد يصعب أن تقود الى نتائج ايجابية مهما كان»[15].

يروي عبد العزيز الرشيد حكاية دالة على وجود هذا المزاج الوهابي، الحذر من تعظيم الصور والأضرحة في الكويت، فقد ذكر وهو

---

(14) حافظ وهبة، خمسون عاماً في جزيرة العرب، دار الآفاق العربية. الطبعة الأولى، ص 13..

(15) يوسف عبد المعطي، مرجع سابق ص 9 - 16.

يتحدث عن آثار الكويت في جزرها وبرها، آثار ماقبل الإسلام في جزيرة فيلكا: «ويرجح بعض الباحثين أن الجزيرة الكبيرة كانت مسكونة من أمد بعيد، ويؤيد ذلك مايوجد فيها من آثار، فقد عثروا هناك على صنم منحوت عليه كتابة غير عربية، ولكن من عثر عليه حطمه بفأسه ولم يبق عليه جهلاً منه بفائدة الآثار المادية والأدبية، وقد أسف الكولونيل (نوكس) قنصل إنكلتره في الكويت عندما أُخبر بما جرى أسفا عظيما، وقال للمرحوم المكرم فهد الخالد الخضير الذي أبلغه الخبر: لو كان الأثر موجوداً لبذلت فيه دراهم طائلة»[16].

يعطي ما تقدم بعض الإشارات عن مزاج وهابي سلفي مهيمن في الكويت، وهو في بعض جوانبه أيضاً مزاج ديني محافظ بشكل عام، كالموقف من فتح المدارس النظامية والتعليم الحديث، فقد كان: «التعليم النظامي مجاناً في الكويت، ولهذا تحفظ الناس في البداية على إلحاق أبنائهم، وخافوا أن تأخذ الحكومة أبناءهم بعد أن تعلمهم ليعملوا لديها قسراً، وكان هناك توجس أن تكون مناهج هذه المدارس على خلاف ماتعارفوا عليه من علم ومعرفة توارثوا دراستها والاستفادة منها في المدارس الأهلية، لكن ذلك لم يستمر طويلاً حيث اقتنع الناس بأهمية هذه المدارس وجديتها وفائدة مايدرس فيها، وقد بدأ الاهتمام في البداية بتعليم الأولاد، وجاء تعليم البنات في المدارس متأخراً نسبياً»[17].

---

(16) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق ص38.

(17) عبد الله السريع، الكويت قبل نصف قرن، نشر خاص، ص94. (هو آخر مؤلفاته).

ولم تفتح مدرسة نظامية للبنات الا سنة 1357هـ - 1939م، وهذا الموقف المتحفظ تجاه التعليم النظامي للأولاد، وبشكل أكثر تشدداً تجاه تعليم البنات، مشابه لما جرى في بلدان وأقطار الجزيرة العربية، على الأخص في نجد وسط السعودية. ولم يكن افتتاح أول مدرسة نظامية في الكويت، وهي المدرسة المباركية سنة 1910 في عهد الشيخ مبارك، بالأمر الهين[18]، رغم قيام ثلة من رجال الدين الكويتيين وغيرهم بالتدريس فيها، أمثال عمر عاصم، وقاضي الكويت يوسف بن عيسى، والشيخ حافظ وهبة، وثلة من مدرسي وعلماء الزبير والأحساء، إلا أنها لم تسلم من المعارضة والتوجس من قبل رجال دين آخرين، لكن هذه المرة رجال دين من المذاهب التقليدية، مثل الشيخ الشافعي الأشعري أحمد الفارسي، وغيره.

ممانعات علماء التقليد في الكويت

ولكن في المقابل، ليست الصورة بهذا التزمت الذي قد يخطر على البال لأول وهلة، صحيح أن هناك تحفظات «تلقائية» تجاه أي جديد، وهناك ممانعات مدبرة من قبل رجال دين ضد التيار الإصلاحي، ممثلين بالشيخين أحمد الفارسي، فقيه الشافعية، والشيخ الأحسائي عبد العزيز العلجي فقيه المالكية، وهؤلاء قد ناصبوا تيار العلماء الإصلاحيين العداء، وكفر بعضهم رشيد رضا، وكتب قصائد الهجاء فيه، كما هي همزية الفارسي الشهيرة.

---

(18) يوسف بن عيسى القناعي، صفحات من تاريخ الكويت، ذات السلاسل للطباعة والنشر. الطبعة الخامسة، ص83.

وقد انتقد الشيخ عبد العزيز الرشيد هذه القصيدة وكاتبها الفارسي والعلجي معاً، حيث قال عن الفارسي : «ظل مدة يبث أفكاره الساقطة وآراءه الجامدة حتى احتل مركزاً عالياً هناك وانقاد له السواد الأعظم انقياد الأعمى لدليله:»[19]. وقال عن الشيخ عبد العزيز العلجي، تلميذ علماء آل مبارك الأحسائيين: «يفد هذا الرجل إلى الكويت من الأحساء، فيقيم هناك مدة ينفث سمومه القتالة، ويسعى في إيقاظ الفتنة النائمة وإضرام نار البغضاء في القلوب، ويستعمل الوسائل العديدة لذلك بلا خوف ولاحياء»[20].

هذه الحدة من الرشيد ضد خصميه الفارسي والعلجي، ربما كانت بسبب طبع الرشيد النجدي الحاد الذي ورثه من أبيه، كما يذكر صاحب كتاب «علماء الكويت وأعلامها» عدنان الرومي، وربما أيضاً بسبب شراسة العداء الذي أبداه الفارسي لأفكار رشيد رضا وتلاميذه في الكويت، باعتبارها أفكاراً ضالة وبدعية.

يذكر الرومي في معجمه عن علماء الكويت في ترجمة الفارسي: «هو الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن حسن بن محمود زين الدين القلعة، الفارسي مولداً، الكويتي موطناً، والشافعي مذهباً، والقرشي نسباً، وهمش على هذه النسبة بإحالتها الى أوراق كتبها ابن الشيخ أحمد، الأستاذ شيخان»[21]. ويذكر أيضا أنه نشأ في أسرة غالب أفرادها علماء أو لهم صلة بالعلم الشرعي.

---

(19) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص85.

(20) مصدر سابق ، ص 91.

(21) الرومي، مصدر سابق، ص 231.

ويذكر أنه استكمل مراحله الاولى في طلب العلم الشرعي في مدينة خنج، من مدن بر فارس، حتى هاجر والده بر فارس إلى الكويت سنة 1270هـ 1854م، ثم واصل طلب العلم في الكويت لكنه لم يقتنع بما هو موجود في الكويت، فلاحظ الثري سالم البدر القناعي ذلك[22]، فرحل الشيخ الفارسي الى مسقط ومصر، ويسمي الرومي هذه المرحلة بالمرحلة الثانية من طلب العلم بعد مرحلة مدينته الأصلية في بر فارس(كوهج).

وعن برِّ فارس، فإن مدنه السنية الكبار مثل كوهج ولنجة، كانت مراكز تعليم شرعي خصوصاً المذهب الشافعي، والمذهب الحنفي[23]. والفارسي كان شافعي المذهب. ويشير الرومي إلى نقطة هامة، حيث تساءل: هل درس الفارسي في برِّ فارس على يد بعض علماء السنة المشهورين بمناصرة السلفية مثل ملا عمران بن رضوان، الذي لقبه بعض علماء الدعوة النجدية بـ «صاحب لنجة»؟

وفي رحلته إلى مصر ودراسته بالأزهر نال مالم ينله عالم كويتي، وهي شهادة «العالية» من الأزهر، كما يذكر المؤرخ والأديب أحمد البشر الرومي في مقدمته على ديوان شاعر الكويت صقر الشبيب[24]. ثم يشير عدنان الرومي إلى جملة هي «المفتاح» في نظري، حيث يقول: «يعتبر الشيخ أحمد من مشايخ الكويت القلائل الذين يمكن أن نطلق عليهم لفظ «عالم» بما تحمله هذه الكلمة من معنى»[25].

---

(22) يوسف القناعي، مصدر سابق، ص 48.

(23) الرومي، مرجع سابق، ص 235.

(24) مرجع سابق، ص 236.

(25) مصدر سابق، ص 236.

كذلك أشار إلى أن العالم محمد الأمين الشنقيطي، صديق الشيخ حافظ وهبة، وأحد أبرز رموز التيار الإصلاحي الكويتي المناصر لدعوة رشيد رضا، قد حاول الاجتماع بالشيخ أحمد الفارسي إلا أن الأخير رفض، كما رفض من قبل الاجتماع بالشيخ رشيد رضا لما زار الكويت سنة 1330 هـ 1912-م. ويعلل الرومي ذلك بأن الشيخ الفارسي كان «يفضل الاعتزال عن الناس». بينما نجد المؤرخ عبد العزيز الرشيد يعلل امتناع الفارسي عن الاجتماع برشيد رضا في بيت المصلح الكويتي يوسف بن عيسى للنقاش والمناظرة، بسبب انتشار قصيدة الفارسي الهجائية ضد مجلة المنار وصاحبها رشيد رضا، وبأن الفارسي: «أصيب برعدة شديدة وخوف ماعليه من مزيد، فقد كان شجاعا قبل قدوم الأستاذ ومقداما قبل أن يطلب منازلته:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر»[26].

أما قصيدة الشيخ الفارسي فكانت سببها انتشار مجلة «المنار» في الكويت، حيث كان بيت آل خالد الشهير بالبيت الإصلاحي، قد اشتركوا فيها وفي غيرها من المجلات الخارجية، وبدأ تأثير هذه الأفكار الإصلاحية في أهالي الكويت ونواديها. فلما كثر الاحتاج واللغط أرسل آل خالد يطلبون رأي الشيخ الفارسي والموقف الشرعي، وبعثوا إليه كمية وافرة من أعداد المنار حتى يطالعها ثم يصدر رده النهائي، وبعد فترة كتب قصيدته الهمزية التي مطلعها:

---

(26) عبدالعزيز الرشيد، مصدر سابق، ص 291.

أقول وقد سرت بي الندماء　　　هنيئا فهذا منهل وسماء

ومنها قوله عن صاحب «المنار»:

تقوَل في القرآن ماليس وصفه　　　فقال وأخطا ليس فيه شفاء

ومنها قوله:

ورب المنار امتاز عنهم بدعوة
إلى شرع شيطان عليه بلاء[27].

وقال الرشيد، رغم حنقه من الفارسي، الذي انتقده عدنان الرومي في كتابه لأن الفارسي –في نظره– أجلَ منه قدرا وعلما: «إن هذه القصيدة أقامت الكويت وأقعدتها[28].

كان للشيخ الفارسي تأثير شديد على الشيخ سالم المبارك الصباح، الذي حكم الكويت من 1917 الى 1921م، بل كان الشيخ سالم المبارك تلميذاً للشيخ الفارسي، وبسبب هذا التأثر بشيخه الفارسي اتخذ حاكم الكويت قرارات بتخفيض الجمارك ومحاربة بيوت البغايا. توفي الشيخ أحمد الفارسي في 2 سبتمبر 1933[29].

(27) مصدر سابق، ص 86.
(28) مصدر سابق، ص 90.
(29) الرومي .مرجع سابق .ص 239.

وهناك موقف آخر شبيه بموقف الفارسي، وهو موقف ضيف الكويت الأحسائي الشيخ عبدالعزيز العلجي، الذي حاول أن يؤثر على الملك عبد العزيز تجاه رشيد رضا وتياره، وألبه عليهم، فيذكر صاحب كتاب علماء الكويت نقلا عن سبط العلجي، الشيخ محمد الرومي، أن عبد العزيز العلجي كاتب الملك عبد العزيز، وضمن كتابه رسالة رد فيها على أخطاء رشيد رضا في العقيدة والشريعة، لكن هذه الرسالة مفقودة[30]، وتوفي العلجي في 8 أغسطس 1943 وعمره 76 عاماً.

لقد توسعنا قليلا في استعراض حياة الفارسي والعلجي، حتى نمر، ولو لماماً، على جانب من مواقف علماء الدين التقليديين، من شتى المذاهب، تجاه التطورات التي طرأت على الكويت مع هبوب رياح الإصلاح والتغيير. لقد بدأ التغيير والاختلاف يبرز بين رجال الدين حول مسائل الإصلاح والتطوير في التعليم والتفسير العقلاني للإسلام، في آخر عهد الشيخ مبارك الصباح.

يقول الرومي: «قام في الكويت خلاف بين أنصار المنهج الجديد ويمثلهم الشيخ عبد العزيز الرشيد، وأنصار المنهج القديم المحافظ ويمثلهم الشيخ أحمد الفارسي، كان ذلك في أواخر حكم الشيخ مبارك الصباح، حينما دخلت البلاد الصحف المصرية، وبالذات مجلة المنار التي تمثل المدرسة العقلانية»[31].

(30) مرجع سابق، ص 679.
(31) مرجع سابق، ص 242.

وتذكر الدكتورة فتوح الخترش، وهي باحثة كويتية في التاريخ، مثلما يذكر عدنان الرومي، في مقالة لها في مجلة عالم الفكر: أنه «كادت أن تحدث في الكويت حرب شعواء فيما بين الناس على قراءة الجرائد والمجلات لولا أن دفعها الله في مناصرة الشباب وبعض علماء الدين لهذا الرجل العظيم». تقصد الشيخ عبد العزيز الرشيد(32).

عبد الرحمن الدوسري..والعودة الى الأصول

وهنا أشير الى موقف آخر، من عالم حنبلي سلفي نجدي، كان من أوائل من استلهم النفس الإخواني واستدخله إلى الجسد الوهابي، إنه الشيخ عبد الرحمن الدوسري، وهو مشهور ويحتل مكانة رمزية في ذاكرة الخطاب الإسلامي الحديث لدى التيار الصحوي في السعودية، كما أكد ذلك رئيس قسم العقيدة السابق في جامعة أم القرى الدكتور سفر الحوالي، وهو أحد رموز التيار الإسلامي في السعودية في محاضرة قال فيها:«ورحمة الله على المنتبهين والناصحين، كم ينصحون ولكننا لا نحب الناصحين، ورحمة الله على الشيخ عبد الرحمن الدوسري فقد نبهنا والله وكأنَّ صوته يرن في أذني الآن، وهو ينبه إلى خطر هذه الجمعيات، وإلى الأيادي الماسونية من ورائها»(33).

---

(32) فتوح الخترش، مجلة عالم الفكر، مجلد 21 العدد 4 ص 155.

(33) سفر عبد الرحمن الحوالي. رسالة إلى فتاة الإسلام. أبريل 1991. موقع الحوالي على الإنترنت.
http://alhawali.com/index.cfm?method=home.ShowContent&contentID=665&keywords=رسالة

ولد الدوسري في مدينة بريدة بنجد 1914، ورحل به أبوه بعد شهور قليلة من مولده إلى الكويت، ونشأ هناك في حي المرقاب، وهو محلة لأهالي نجد، وطلب العلم في المدرسة المباركية، وتتلمذ فيها على المشايخ: عمر عاصم ويوسف بن عيسى، وعبد العزيز الرشيد. وبعد المباركية التي مكث فيها سبع سنوات درس في الكويت على شيخ الحنابلة وأهل الحديث الشيخ عبد الله الخلف الدحيان، ودرس في البحرين على قاضيها قاسم بن مهزع، وكان من زملائه محمد بن سليمان الجراح، وهذا الأخير كان من مشاهير شيوخ الحنابلة بعد ابن خلف، وقد كان للجراح مراسلات وصداقات مع شيوخ من السعودية أمثال عبد الرحمن السعدي وعبد الله بن حميد.

القصة الأهم في بحثنا هذا للشيخ الدوسري، هي ثورته في الكويت سنة 1960، حين رأت الحكومة في عهد الشيخ عبد الله السالم أن تضع دستورا للبلاد والقانون الجزائي، فقام الشيخ الدوسري ومعه شيخ حنبلي آخر هو عبد الله النوري، بوضع كتيب يعارضون فيه هذا التحول، ويحذرون منه، وبعد ذلك قدم الدوسري إلى مسقط رأسه بلاد نجد وعاش إلى أن مات في الرياض في أكتوبر 1979.

فهذا جانب آخر من جوانب الاعتراض لدى علماء التقليد السلفيين الحنبليين في الكويت، مع نكهة إخوانية لدى الشيخ الدوسري(34).

---

(34) عدنان الرومي. مرجع سابق.من ص 531 الى ص 562.

كانت الكويت، قبل ذلك، قد استقبلت علماء رحلوا من بلادهم وحملوا على عواتقهم مهام إصلاحية كبرى، مشحونة بالتمرد والثورة، تتعلق بالتحرر من قوى الاستعمار، مثل الشيخ حافظ وهبة، الذي قام هو وشيخ الزبير محمد الأمين الشنقيطي، بقيادة أول تمرد لأهل الكويت على حاكمهم الشيخ، القوي مبارك الصباح. وكان الشيخ مبارك أراد إرسال ابنه على رأس قوة عسكرية من أهل الكويت لنجدة صاحبه أمير المحمرة خزعل باشا ضد السلطات العثمانية، وكان خزعل موالياً للإنجليز معادياً للعثمانيين، ودعم الإنجليز ضد الأتراك في العراق خلال معارك سنة 1915. فلما جاء أمر مبارك على يد ابنه جابر، قام نزيلا الكويت المصري الثوري حافظ وهبة والشنقيطي المهاجر، بتحريض أهالي الكويت على العصيان، وتحذيرهم من أن إجابة هذا الأمر ردة عن الإسلام لأنه لايجوز مناصرة المستعمر الإنجليزي ضد دولة الخلافة العثمانية، ولما كثرت الجلبة استدعى الشيخ جابر بن مبارك بعض أعيان الأهالي وسألهم عن القصة: «فذهبوا إليه وقد اصطحبوا مسدساتهم وأسمعوه كلاماً لاعهد له ولا لآبائه به من قبل»[35].

قبل هذه المرحلة، التي بذرت فيها بوادر الوعي الثوري والحقوقي المعاصر، والوعي القومي بشقيه: العروبي والإسلامي، كانت الكويت مجرد مدينة وادعة، تقع على رأس الخليج العربي الشمالي، أهاليه مسلمون وادعون، متمسكون باستقلالهم لكنهم أهل بحر وتجارة، ليست بلد علم ولا فقه ولا أدب إلا شذرات هنا وهناك. يقول الرشيد: «كانت الكويت من نشأتها إلى قبل عشرين سنة غارقة في بحر الجمود، ومنغمسة في حمأة

(35) عبد الله بن خالد الحاتم، مصدر سابق، ص 34.

التأخر، ولا أثر للحركة العلمية والفكرية فيها، وكان الشائع بين أهلها إذ ذاك مبادئ الفقه والعربية والخط المتوسط والحساب البسيط»[36].

نشير إلى أن الشيخ الرشيد توفي في 1356 هـ 1938م.

وبصرف النظر عن حماسة الشيخ الاصلاحي الظاهرة هنا، إلا أنه محق بشكل ما، فالكويت لم تعرف الازدهار الفكري والنشاط الديني إلا بعد هبوب رياح التغيير والإصلاح عليها، وقدوم علماء دين ومفكرين وقادة استقلال إليها أمثال الشيخ رشيد رضا والإصلاحي التونسي الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وحافظ وهبة ومحمد الأمين الشنقيطي. فكيف كان الحال قبل ذلك؟ وكيف صار بعد ذلك؟

الحق أننا لا نستطيع رسم صورة واضحة لمسار ومسيرة الإسلام التقليدي في الكويت، إلا بعد ملاحقته عبر ممثليه ومحاضنه، لأن جيل الشيخ يوسف بن عيسى وعبد العزيز الرشيد هو الحلقة الوسطى بين الكويت القديمة والكويت الحديثة على المستوى الديني والفكري.

ماهو مذهب الكويت؟

هذا سؤال صعب. لكن إذا اعتبرنا مذهب الحكام هو مذهب البلد فإن الكويت مالكية المذهب، لكن هذا غير دقيق فهناك وجود كبير للمذهبين الحنبلي والشافعي. بل وحتى لمذهب أهل الحديث.

---

(36) عبد العزيز الرشيد، مرجع سابق، ص 83.

يقول عبد العزيز الرشيد: «في قرى الكويت ماينيف على ثمانين ألف نسمة يدينون بالدين الإسلامي، ماعدا نفراً قليلاً من اليهود يبلغون نحو مائة وخمسين، وأقل منهم بكثير من المسيحيين. والمسلمون فرقتان: السنة والشيعة، والأغلبية الساحقة للأولى، ومنهم الحنابلة وجلهم من المهاجرين من نجد. والشافعية كثيرهم من الأعاجم السنيين (العوضية)، والمالكية ومنهم حكام البلد (يقصد آل الصباح)، وبعض البيوتات المعروفة والبادية المتحضرة، وأما الأحناف فيعدون على الأصابع»[37].

هذا النص على وجازته إلا أنه يجيب على كثير من الإشكالات، فلو أننا اعتبرنا أن مذهب البلد هو مذهب الحاكم لكانت الكويت مالكيةَ المذهب باعتبار آل الصباح، ولكن الواقع يشهد أن كثيراً من أبرز وأهم علماء الكويت على مرّ القرون كانوا من الشافعية، مثل الشيخ أحمد الفارسي، أو بعض آل العدساني بيت القضاء الكويتي، أو من الحنابلة، مثل شيخ الكويت وعلامتها الحنبلي عبدلله بن خلف الدحيان، وقد تولى القضاء سنة واحدة، أو الشيخ محمد بن فارس وهو شيخ ابن خلف، أو الشيخ علي بن شارخ الحنبلي الذي تولى قضاء الكويت في عهد أميرها الثاني عبد الله بن صباح إثر خلاف مع أحد قضاة آل العدساني، أومن المالكية مثل قاضي الكويت الشهير عبد العزيز حمادة، وإن اعتبرنا أن مذهب الكويت هو مذهب قضاتها فهذا أيضاً غير صحيح ولا دقيق بسبب تولي القضاء في الكويت من قبل حنابلة ومالكية.

(37) عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص 64-65.

على أية حال، نستطيع القول، بشكل عام، إن المذهب الرسمي في الكويت هو المالكي، لكن ليس بشكل مغلق، حتى إنني سألت ابنَ علامة الكويت وقاضي قضاتها الشيخ يوسف بن عيسى، وهو الأستاذ في جامعة الكويت، الدكتور شملان بن يوسف بن عيسى عن مذهب والده الفقهي، فقال لي: إن والده كان بين الشافعية والمالكية، ولكنه لم يكن يقيد نفسه بهما[38].

وإذا اعتبرنا أن مذهب الكويت تحدده نوعية الكتب المتداولة والمنشورة بين أيدي الناس؛ وأول ما نسخ وطبع منها، فإن الشيخ عثمان بن سري القناعي كان أول ناسخ كويتي، قام بنسخ كتاب «التيسير على مذهب الامام الشافعي نظم العمريطي»، ويعود تاريخ هذا الخط إلى سنة 1213هـ - 1799م، والكتاب الذي يليه هو «المنهاج في فقه الإمام الشافعي» للشيخ محي الدين النووي، وقد قام بنسخ هذا الكتاب الشيخ إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله، وكان الفراغ منه سنة 1260 هـ - 1844[39].

بل إن الشيخ عبد الله الخلف الدحيان - صديق مؤرخ نجد الشهير إبراهيم بن عيسى صاحب عقد الدرر- كان مولعاً بجمع الكتب والمخطوطات، وحسب صاحب «معجم علماء الكويت وأعلامها» بذل المال في سبيل ذلك، وكان وكيله في جمع هذه الكتب في بلاد نجد هو الشيخ إبراهيم بن عيسى، وجمع من جراء ذلك كتباً كثيرة من التراث الحنبلي

---

(38) حديث مع الدكتور شملان العيسى، بتاريخ 7/ 6/ 2010.

(39) عبد الله الحاتم، مصدر سابق، ص 60. وفي الصفحة صور ضوئية من شكل المخطوطتين.

والوهابي النادرة، وقد حدثني الباحث السعودي المتخصص في هذا المجال راشد بن عساكر أنه اطلع على جانب من هذه المكتبة في خزائن وزارة الأوقاف الكويتية[40].

كان علماء الدين، من المذاهب الثلاثة: الشافعي والمالكي والحنبلي، يتصدون للفتوى والوعظ للعامة في الكويت، ولكن بعد تطور وتعقد الإدارة في الكويت تحددت المسالة قليلاً، دون أن تصل الأمور الى إرساء «تقاليد» مذهبية ومدارس راسخة. إنما كانت محاولات خجولة. فقد وضع قاضي الكويت عبد العزيز حمادة سنة 1943 أسس ونواة المعهد الديني، وكان هذا المعهد يفتح أبوابه لمن يحب أن يتفقه في الدين، من بعد صلاة العصر حتى صلاة المغرب، وكان مكوناً من أربع غرف إحداهن لطلاب الحديث (ولاحظ هنا تمييز تيار أهل الحديث بغرفة خاصة)، وشيخ هذه الغرفة هو القاضي الشيخ المالكي عبد العزيز حمادة نفسه، والغرفة الثانية للفقه المالكي، وشيخهم هو الشيخ عيد بن بداح المطيري، وغرفة ثالثة للفقه الشافعي، وشيخهم هو محمد بن محمد صالح التركيت، والرابعة للفقه الحنبلي وشيخهم هو الشيخ عبد الله النوري. غير أن هذا المعهد لم يكن له أثرٌ ملموسٌ في تشييد الإسلام التقليدي المذهبي في الكويت.

الميراث العدساني

توارثت أسرة العداسنة قضاء الكويت زهاء مائة وخمسين عاماً، منذ قدوم جدهم الأكبر محمد بن عبد الرحمن العدساني من الأحساء إلى

(40) حديث للباحث مع راشد العساكر، في تاريخ 5 يونيو 2010.

الكويت، وكان قاضيها في ذلك الوقت رجل من آل عبد الجليل، وهي أسرة من شافعية البصرة والزبير. تزوج العدساني ابنة الشيخ ابن عبد الجليل، وبعد مدة تنازل له عن القضاء وكان ذلك سنة 1170 هـ - 1757م تقريبا، وتتابعت أسرة العدساني على هذا المنصب خلا انقطاعات قليلة مثلما حصل سنة 1225هـ - 1811م، حينما اعتزل الشيخ محمد بن محمد العدساني القضاء، بسبب خلاف بينه وبين الشيخ الحنبلي علي بن شارخ على إثبات كيفية رؤية هلال رمضان، لكنه عاد للقضاء مجدداً، حتى كان آخر رجل من العداسنة يلي القضاء هو عبد العزيز العدساني، الذي توفي في رمضان سنة 1348 هـ 1930م. يقول المؤرخ الكويتي عبد الله الحاتم: «القضاء ظل في آل العدساني أكثر من مائة وخمسين سنة، يتوراثونه أبا عن جد، الأمر الذي لانظير له في تاريخ القضاء»[41].

كل هذه المدة الهائلة لم تجعل من بيت العدساني حصناً يكوّن من حوله جامعة فقه تقليدي، وربما يعود السبب في ذلك إلى بساطة حياة الكويتيين، أو أنهم لم يلبثوا في البلد كثيراً بسبب انشغالهم في حياة البحر، وقد كانت فترة الرحلات والغوص وبيع المحاصيل البحرية تستغرق حوالى ثلثي السنة، وعليه فلم يكونوا يحتاجون من التعليم الديني وأمور القضاء إلا الحد الأدنى[42].

وربما أيضاً بسبب أن المنصب تحول إلى وظيفة متوارثة ووجاهة داخل أسرة العدساني، حتى لو لم يكن الشخص مؤهلاً تأهيلاً علمياً ونفسياً

---

(41) عبد الله بن خالد الحاتم.مرجع سابق، ص 206.

(42) من حديث للباحث مع المؤرخ الكويتي يعقوب الإبراهيم.

كما كان والده، وقد أشار إلى ذلك الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وهو يتحدث عن تاريخ القضاء الكويتي وسير قضاته، فلما استعرض جانباً من سيرة قضاة العدساني، قال متحدثاً عن شخصين من قضاة العدساني: «تصديا للقضاء بالإرث لا بالعلم والأهلية، فلهذا صارت الأحكام في زمنهما مهزلة وألعوبة، عاملهما الله بعفوه»[43].

يمكن إيجاز التأثير العام على شخصية العالم الديني في الكويت، قبل عصر الإصلاح أواخر عهد الشيخ مبارك، في مثلث الرحلة العلمية في الكويت: الزبير والأحساء وبر فارس السني. فقد كانت الزبير تلقب بالشام الصغير، بسبب النشاط الفقهي والعلمي فيها، وقد رحل إليها مؤسس الوهابية الشيخ محمد بن عبد الوهاب طلباً للعلم، وحافظت الزبير على أهميتها هذه حتى تأسست فيها مدرسة النجاة على يد الشيخ محمد الشنقيطي، وعلى غرارها كانت المدرسة المباركية التي أسسها الشيخ يوسف بن عيسى، مع رجالات الكويت، سنة 1911.

وأما الضلع الثاني من المثلث، وهي مدينة الأحساء بعلمائها وتنوعها المذهبي، فأول قاضٍ ذكر عند التأريخ لنشأة الكويت هو محمد بن عبد الوهاب بن فيروز، كما ذكر الرشيد في تاريخه، وهو من علماء الأحساء، ومنهم عبد العزيز آل مبارك، أحد أساتذة المباركية، وكان الشيخ مبارك الصباح يقدره، ومنهم الشيخ عبد العزيز العلجي. وقدر درس في الأحساء كثيرٌ من علماء الكويت مثل الشيخ عبد الله الخلف وأحمد الفارسي والشيخ يوسف بن عيسى.

(43) يوسف بن عيسى القناعي، صفحات من تاريخ الكويت، ص 40.

وأما مدن برّ فارس السنية، وهي الضلع الثالث، فهي مثل كوهج ولنجة وغيرهما، ومثل حواضر الخليج البحرين والمنامة، وقبل هذه البلدات كلها وأقدم منها بلدة «الزبارة» في رأس قطر، والحديث عنها قد يتشعب بنا إلى دروب تاريخية كثيرة. وبما أننا أتينا على سيرة الشيخ يوسف بن عيسى القناعي سابقاً، وهو أبرز شخصية دينية إصلاحية وسياسية وقضائية وتربوية في الكويت، فلا بد من التوقف قليلا عندها.

يوسف بن عيسى.. قنطرة العبور

الشيخ يوسف هو القنطرة بين الكويت القديمة والجديدة، وهو الحلقة الوسطى بين «المثقف الإسلامي» أي الحركي السياسي، وبين رجل الدين التقليدي والمحترف، وقد نسبت إليه أدوار كثيرة، وحاولت أغلب الحركات الاسلامية، وعلى رأسها تيار السلف وتيار الإخوان الانتساب إليه والفوز بأبوته الشرعية والتاريخية، بينما لم يكن الشيخ يوسف يوماً حزبياً، وكان يكره التحزب والتعصب، ويفضل الانتماء للإسلام الحضاري الكبير[44].

ولد الشيخ يوسف بن عيسى بن محمد القناعي في عهد الحاكم الخامس للكويت، عبد الله بن صباح سنة 1296هـ 1879-م. كان أبوه يعمل في البحر حيث كان يملك سفينة، إلا أن هذه السفينة غرقت 1309هـ 1892-م، وكانت تحمل أربعة آلاف منٍّ من التمر، وغرق معها أخوه محمد، فشق عليه الحال واشتغل وهو صبي في دفاتر التجار والحسابات، ثم أصابته

(44) من حديث مع أ. شملان بن يوسف بن عيسى.

رصاصة طائشة، أثناء وجوده في حفلة عرس أحد اقاربه في البصرة، أثرت على ساقه فترة من حياته، وبعهدها بقليل توفى أبوه وهو صبي. كل هذه الأمور ولدت عنده عزماً، واتجه إلى العلم، وقرأ على شيخ آل العدساني عبد الله بن خالد في النحو، ثم على علامة الحنابلة وشيخ أهل الحديث فيها عبد الله بن خلف، وشق عليه في كثرة الأسئلة، حتى خشي أن يغضب منه الشيخ عبد الله الخلف فاعتزل حلقته، لكن الشيخ لاطفه فرده.

1321هـ 1904م رحل إلى الأحساء لطلب العلم، وكان معه أحمد بن الشيخ خالد العدساني وآخر من آل المطوع ومعهم كتاب توصية من الشيخ عبد الله العدساني، إلى شيخ الشافعية والأحساء عبد الله بن عبد القادر، وقرأ هناك في الفقه والنحو حتى أجاد. ورحل إلى البصرة 1323هـ - 1906م ثم مكة من العام نفسه، وأخذ في مكة عن مجموعة من علماء الحرم المكي من شتى المذاهب، لمدة سنتين.

بعدها تفرغ للقراءة والاطلاع الحر، ونجد حبه لهذه القراءة إلى وقت متأخر من عمره في كتابه الشهير «الملتقطات»، وهي عدة أجزاء أصدرها لاحقا في مجلد ضخم ناهز الـ 700 صفحة، ضمنها مختاراته وتعليقاته من بطون الكتب، بل وحتى الصحف، وفيها تعليقات جميلة ومميزة للشيخ.

يقول عن مطالعاته، حسب ما ينقل عنه المؤرخ الكويتي سيف مرزوق الشملان[45] طبقاً للرومي صاحب معجم علماء الكويت: «كان

(45) مجلة مرآة الأمة، العدد الصادر 1973/7/12.

لمؤلفات ابن تيمية وابن القيم ومجلة المنار الغراء أكبر أثر في إنارة السبيل أمامي(...). أما اعتدالي في الآراء العصرية فيرجع سببه الى مجلة الهلال والمقتطف، والمؤلفات المتنوعة». وأشار أيضاً إلى تأثره بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ودعوتهما إلى الشورى والإصلاح الديني والسياسي ومحاربة التقليد والاستبداد.

ولما عاد الشيخ من مكة سنة 1325 هـ 1908م نشط في الدعوة لإصلاح التعليم، وحاول إصلاح تعليم الكتاتيب على نطاق ضيّق، ثم صار له دوره المشهود في إنشاء المدرسة المباركية سنة 1328 هـ 1911م، وقد كانت المدرسة في بدايتها تمضي على نهج الكتاتيب إلا انها أكبر حجماً، ولذلك لم يعارضها في البداية أحد من رموز الإسلام التقليدي المذهبي في الكويت مثل الشيخ أحمد الفارسي، والشيخ عبد العزيز العلجي، ولكن لما بدأت في الأخذ بشيء من الأسلوب الحديث عارضاها[46]. ثم أنشأ المدرسة الأحمدية 1339هـ 1921م بدعم أعيان الكويت، بعدما عجز عن إصلاح المباركية بسبب معارضات البعض، وبعدما عزله الشيخ مبارك عنها.

للشيخ أدوار تأسيسية وكبرى في مجلس الشورى سنة 1921م، أيام الحاكم أحمد الجابر الصباح، وأيضا دوره في المجلس البلدي، ثم توليه القضاء بعد وفاة الشيخ عبد الله الخلف الدحيان بطلب من الشيخ أحمد الجابر الصباح، واعتذر الشيخ لكن الحاكم أصر، وبسبب إصرار الحاكم قَبِل بشرط أن يكون ذلك مؤقتا وكان يسمى وكيل القضاء، أو «قاضي القضاة»، فحكمه هو الحكم النهائي، لكنه بعد سنة ونصف طلب الإعفاء من الحاكم

(46) الرومي، مصدر سابق، ص 466.

وخرج من القضاء. توفى الشيخ يوسف بن عيسى 1393 هـ 1973م عن عمر يناهز القرن، عن 96 سنة.

ما يهمنا من هذه السيرة هو كيف كان موقف الشيخ يوسف بن عيسى من أول حركة إسلام سياسي في الكويت، وهم الإخوان المسلمون وجمعية الإرشاد التي نشأت على يد قريبه عبد العزيز العلي المطوع، ثم جمعية الإصلاح، التي تأسست أوائل الستينات على يد الإخواني الشهير عبد الله العلي المطوع، شقيق عبد العزيز.

لم أطلع على معلومات تفيد بموقف الشيخ من نشأة الإسلام السياسي في الكويت، إلا نصاً غريباً وجدته في كتابه الضخم «الملتقطات»، حيث ينقل عن المفكر عبد الله القصيمي موقفا ناقداً للإخوان. لنقرأ هذه الفقرة من كلام الشيخ يوسف التي عنونها بـ «رد القصيمي على رسالة الإخوان المسلمين»: إن خلاصة رسالة الإخوان المسلمين هي «أن طريق المجد الإسلامي المنشود ينحصر في الرجوع إلى الأخلاق الدينية الأولى، وفي تنفيذ الحدود الشرعية، وفي أداء الزكاة وفي إقامة سائر الفروض اليومية والشهرية، ثم الإيمان بالله وبالجهاد في سبيله».

ويرد عليهم القصيمي بقوله: «ياليت هؤلاء يعلمون أن الأخلاق الدينية المحضة، ومثل مايدعون إليه، ويبشرون به من الفضائل، هو سبيلنا إلى دخول ملكوت الله، ولكن السبيل إلى المجد القومي المطلوب ينحصر في الأخلاق الصناعية والتجارية والاقتصادية والمادية والعلمية. ثم ضرب مثلا بأمريكا فهي أقوى منا، وهي لم تتفوق علينا بسبب إيمانها بالله،

ولا بسبب أخلاقها الدينية والروحية، وإنما نالت هذا التفوق بأخلاقها الصناعية والاقتصادية والمادية والعلمية. انتهى. وأقول: -ومازال النص للشيخ يوسف- أمرنا الله بقوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ولاشك أن لكل زمان حالاً يلابسه، وتتبدل الأحوال بحسبه، فالقوة في زماننا هذا بالعلم في الأساطيل والدبابات والطائرات، وبالأسلحة الجديدة وبالمفرقعات المهلكة وبالقنابل الذرية، فهذه القوة حدثت في أوقات متفرقة، والمسلمون يعلمون ويشاهدون ذلك، ودولتهم المعتمد عليها وهي الدولة التركية، فلم تتحرك وتستعد وتجاري الأمم الحية وتحذو حذوها بقية الدول الإسلامية والإمارات العربية. لقد انحطت الأمم الإسلامية حتى طمع بها أخس الأمم الذين ضربت عليهم الذلة في جميع أقطار الأرض، وطمعوا في الممالك الإسلامية، وهي في يد أهلها، والمسلمون إلى الآن لم ينتبهوا من سباتهم بل هم في غفلة عما يحييهم، ولله در الرصافي حيث يقول: أما والله لو كنا قروداً/ لما رضيت بحالتنا القرود»[47].

إن هذا النص المهم، للشيخ يوسف بن عيسى، ربما لخص موقفه من جوهر دعوة الإخوان المسلمين، أول انشقاق سياسي فكري، فهو ورغم كونه إصلاحياً متأثراً بدعوة رشيد رضا، وداعياً إلى إصلاح سياسي وديني، إلا أنه استشعر الخطر في التسييس الحاد للإسلام لدى جماعة الإخوان، ثم إنه استشعر أيضا خطأً جوهرياً في تشخيص الإخوان لطبيعة الأزمة التي تمر بها الأمة، هي في نظره أزمة علم ومدنية وتقنية وتطور، وهي في نظر الإخوان أزمة هوية ومحافظة عليها، ولذلك ربما كان حذر

(47) يوسف بن عيسى القناعي، الملتقطات حكم وفقه وأدب وطرائف، من غير ناشر. مطابع الرسالة في الكويت. الطبعة الثانية 1998 ص 151-152.

الشيخ نابعاً من تطور دعوة الاخوان إلى مزيد من التشدد والانغلاق، وقد نقل نص القصيمي مؤيداً له في أكثر من موضع في كتابه.

ومما يؤكد أن الشيخ كان واعياً بحجج الإخوان المسلمين، استحضاره للدولة العثمانية، فهي لديه سبب الأزمة، وليست مصدر الحل كما توهم الإخوان.

يؤيد هذا التوجه النقدي عند يوسف بن عيسى طبيعة علاقته بالأخوين عبد العزيز وعبد الله المطوع، خصوصاً الأخير منهما، وهما رمزا الإخوان المسلمين، يذكر الدكتور شملان، أن والده كان بمثابة الأب لأبناء المطوع، فعلاوة على صلة القرابة الشديدة، حيث كان أبناء المطوع يدعونه بـ «الخال»، إلا أنه كان كبير علماء الدين في وقته، ورمز الكويت الفكري والإصلاحي. يقول د. شملان: «أذكر أن عبد الله العلي المطوع كان متحمساً لدعوة الإخوان، وقصة الحلال والحرام والعودة إلى نقاء الإسلام والثورة على الأوضاع، وكان أبي يحاول أن يبين له حقائق الأمور، وذات مرة غضب منه أبي فطرده من المنزل وأنا أرى»، يتابع شملان: «والدي الشيخ يوسف كان مع الإصلاح الإسلامي والحضاري بشكل كبير، ولم يكن يحب هذه الأحزاب والحركات، ويحذر من التعصب، ولذلك فكل من يدعي من التيارات الاسلامية الحركية أبوة الشيخ يوسف بن عيسى له، فهو غير أمين مع التاريخ، لقد كان أبي رجلا منفتحاً، حتى إنه كان من أوائل الشيوخ الذين شجعوا تعليم البنات، وأدخل أخواتي في التعليم النظامي»[48].

(48) حديث للباحث مع شملان بن يوسف العيسى 7 يونيو 2010.

لكن هنا يجب أن يستوقف المراقب مرحلتان من علاقة الشيخ يوسف بالإخوان المسلمين أو بالنهوض الإسلامي الجديد، بين مرحلة جمعية الإرشاد التي تأسست في 1952، وكان عبد العزيز العلي المطوع هو أول مراقب لها، وبين جمعية الإصلاح التي تأسست في 1962، ويبدو أن الشيخ لم يكن له علاقة عميقة بها كما كان مع سالفتها جمعية الإرشاد.

يذكر أحمد الشرباصي في كتابه «أيام الكويت – القاهرة» أنه تم انتخاب عبد العزيز العلي المطوع مؤسس «جماعة الإخوان المسلمين» في الكويت كأول مراقب عام لـ ‹جمعية الإرشاد الإسلامي›، في حين تولى رئاسة الجمعية الشيخ يوسف بن عيسى القناعي الذي ينتمي عائلياً للمؤسس.

ويستدعي النظر التوقف عند أهداف الجمعية المعلنة حيث كانت الأهداف المعلنة «لجمعية الإرشاد الإسلامي» تتمثل في نشر الثقافة الإسلامية وبعث روح التدين وعرض الإسلام على أنه عقيدة ونظام عالمي صالح لمعالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية. وينص قانون الجمعية على عدم التدخل في الشؤون السياسية على أساس أنها جمعية دينية[49].

نحن هنا أمام حالتين من نماذج العلاقة بين الشيخ «الإصلاحي» يوسف بن عيسى بحركة الإخوان المسلمين، فهو كما يبدو انجذب في البداية لمحتواها الإصلاحي والتجديدي، ثم غير موقفه أو صار أكثر حذراً بعد أن أصحبت حركة الإخوان المسلمين في مصر لاعباً سياسياً بامتياز. ولذلك

---

(49) د. فلاح المديرس.مصدر سابق.

لم يكن موقفه من جمعية الإصلاح بعد عقد من السنين شبيها بموقفه من جمعية الإرشاد، والدليل موقفه الجاف تجاه مؤسس جمعية الإصلاح عبد الله العلي المطوع.

لماذا تركت الكويت سكونها الديني؟

لقد مرت الحالة الدينية في الكويت بعدة أطوار وتأثرت بمشارب شتى من الأحساء إلى الزبير إلى نجد إلى ساحل فارس العربي إلى العراق والشام، وغني عن القول إننا نتحدث هنا عن المشهد الديني السني، الذي هو المشهد الغالب، ولا نستطيع أن نضع ميزة خاصة للكويت أكبر مما هو عليه الحال في الزبير أو الإحساء، أو بلدة الزبارة في رأس قطر قديما. لكن هذا البلد أصبح في مهب التغييرات والإصلاحات والتحولات التي ألمت بالشرق الأوسط في الذبالة الأخيرة من عمر الدولة العثمانية ونشأة الحركات التحررية، وأصبح مقصداً لأشخاص مشبوبين بهم الإصلاح والتغيير بل «والتمرد» على الأوضاع والقوى المهيمنة[50]. وفي عهد الشيخ مبارك الصباح الذي تولى الحكم بعد مقتل أخويه في مايو 1896، أصبحت الكويت مع استفحال صراع القوى الكبرى في المنطقة بؤرة تجاذب عالمي بين بريطانيا وروسيا وألمانيا والدولة العثمانية.

الخليفة العثماني كان يعتبر الكويت مع البحرين والقطيف، القشرة الواقية للمدينتين المقدستين في الحجاز، ولذلك لما ظهرت سفن

(50) حافظ وهبة، أحد أعلام الإصلاح الديني والسياسي في الكويت، وهو مصري النشأة، قال عن نفسه:« لقد كنت ثائرا بفطرتي على الجمود كما كنت ثائرا على الاحتلال البريطاني». حافظ وهبة :خمسون عاما في جزيرة العرب. ص9..دار الآفاق العربية. الطبعة الاولى 2001 .

حربية فرنسية مبحرة قريباً من مياه الكويت، غضب وأمر وزير خارجيته أن يأمر سفيره في باريس بفتح الموضوع مع الفرنسيين وبحث هذه التحركات[51].

كانت منطقة شمال الخليج التي تضم البصرة والمحمرة وطرفا من سواحل الخليج الغربية، منطقة صراع ونفوذ بين تحالف الألمان مع العثمانيين، ضد بريطانيا العظمى، وكان على الخط أيضا روسيا وفرنسا، وتجلى هذا الصراع بشكل أوضح في معركة مد سكة الحديد التي كانت الكويت هي حلقتها الرابطة الأهم، ونشأ في منطقة الخليج الشمالي ماعرف بـ: «معركة السكك الحديدية في الخليج»[52]. وصارت الكويت في مرحلة مبارك رمانة الميزان لأنها تتميز بموقع استراتيجي هام بالقرب من من وادي الرافدين، مع الارتباط بإمارة عبدالعزيز بن سعود الجديدة في وسط الجزيرة العربية، كما أنها تمتلك ميناء رائعاً، وكانت نقطة التقاء لمحاور الخطوط التي تتنافس عليها الدول الاستعمارية، فالمحور الألماني يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بينما يمتد الروسي من الشمال إلى الجنوب، أما المحور البريطاني فيتجه من إنجلترا إلى الهند، وينطلق من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي عبر المحيط الهندي وخليج عمان. كل هذه المحاور تلتقي عند نقطة واحدة هي الكويت[53].

---

(51) وثيقة عثمانية مؤرخة 8 يناير 1902. الوثيقة بتفاصيلها في كتاب: علاقة نجد بالقوى المحيطة 1902-1914. د.منيرة عبد الله العرينان، دار ذات السلاسل. الطبعة الاولى 1990. ص 104.

(52) مصدر سابق.ص 145.

(53) مصدر سابق.ص 152.

إذن لم يكن المشهد في الكويت مثيرا للانتباه، فظل ملازما لحال السكون والدعة، حتى أتتِ المرحلة « التحولية» التي أصابت الكويت برعشة التغيير، وبسبب سكون الحال قبل ذلك، ووجود مرايا باهتة للنشاط الديني العلمي التقليدي تعكس ماكان يجري في حواضر العلم بجزيرة العرب أو تخومها مثل الزبير والأحساء، أوتعكس صخب الدعوة السلفية الوهابية في نجد. ولم يكن حنابلة الكويت ثوريين مثل حنابلة نجد، بل كانت الكويت ملاذاً لحنابلة الأحساء ونجد المختلفين مع الوهابية مثل علماء آل فيروز الحنابلة في الأحساء أو علماء نجد الآخرين.

في عهد الشيخ مبارك، وبسبب التجاذب الذي أصاب الكويت ورحلة بعض أبنائها تسرب وعي جديد، أصاب فيما أصاب سكون الإسلام التقليدي، وقبل أن يسفر وجه الإسلام السياسي والحركات المسيسة بشكل صريح، كانت هناك وجوه تجمع بين ملامح الماضي وبصمات الجديد، كان من أشهرها، الشيخ يوسف بن عيسى والشيخ عبد العزيز الرشيد.

نقف عند هذه التخوم من مراحل وتشكلات الإسلام التقليدي في الكويت، حيث جرت في الساقية مياه كثيرة بعد بروز الإسلام السياسي عقب هزيمة حزيران 67، وهي مياه لاعلاقة لشيوخ التقليد أو شيوخ الإصلاح في الكويت بها.

الجماعة السلفية في الكويت.. ماضيها وحاضرها

خليل علي حيدر(*)

المراد بالجماعة السلفية الكويتية، في هذه الدراسة التمهيدية، التيار الذي بدأ ينشط في الكويت منذ سبعينات القرن العشرين في الأوساط الدينية والشعبية، متبعا فكر ومنهج السلف الصالح والتوجه السلفي كما صار يفهم من مؤلفات واجتهادات الإمامين أحمد بن تيمية (1263-1328) وابن قيم الجوزية (1292-1350) قديما، والشيخ محمد بن عبدالوهاب (1703-1792) في العهود الحديثة، وكذلك ما يفهم ويستخلص من فكر وفتاوى كبار شيوخ الدين في الهيئة الدينية في المملكة العربية السعودية، ومنهم الشيوخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد ناصر الدين الألباني، محمد بن صالح العثيمين، صالح بن الفوزان، عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، واللجنة الدائمة للإفتاء.

(*) كاتب ومفكر كويتي.

وهي تعود إلى عدد من الأسباب:

1 - تأثر المجتمع الكويتي ونخبته عبر تاريخه الحديث بالأحداث والتيارات في بقية البلدان العربية. فعندما وقعت نكسة 1967 كانت صدمة هائلة للجميع، وكان الجمهور يطالب بأجوبة سريعة شافية لأسئلة معقدة، وببدائل يمكن الوثوق بها والركون إليها. وكانت النخبة المسيسة والمتعلمة، والتي درس الكثير منها في مصر ولبنان والبلدان الغربية، تريد إلزام نفسها بشيء أقدر على توحيد الأمة والتصدي للهزيمة، وبخاصة وأن هذه الهزيمة فسرت في كل العالم العربي في ظل نظرية المؤامرة الصليبية - الصهيونية، وأنها حلت بالأمة بسبب العمالة السياسية، وتبني القيم الغربية والابتعاد عن القيم الدينية. فكان الإسلام السياسي العقائدي وأحزابه وأيديولوجيته، وخصوصاً جماعة الإخوان المسلمين، هو المبادر لإشباع هذه الحاجة. وكان لهذه العوامل دورها المعروف في نمو التشيع السياسي الكويتي، وبخاصة بعد بروز حركة المعارضة السياسية الثورية في الحوزات الدينية، داخل إيران والعراق ولبنان وامتداد تأثيرها إلى الكويت.

وكان موقف الحركة القومية في الكويت، السلبي إزاء الشيعية وذوي الأُصول الفارسية، وعدم السماح بمشاركتهم السياسية إلى ما قبل 1968، من الأسباب التي جعلت الكثيرين منهم يتجهون نحو التشيع السياسي وجماعاته.

2 - تطور المجتمع الكويتي بشكل سريع تحت تأثير الثروة البترولية المتدفقة، التي غيرت ملامح المجتمع على نحو كامل. فقد تعاظم دور الدولة

وجهازها الوظيفي، وتوسعت شبكة التعليم العام والجامعي، وتدفقت على الكويت أعداد كبيرة من العرب والآسيويين وغيرهم طلبا للعمل. وجوبه المجتمع بقيم وثقافات وأفكار وأساليب معيشة وعلاقات بين الرجال والنساء والآباء والأبناء، لم يكن معتادا عليها. فأدى هذا كله إلى تزايد الأحساس بمخاطر الذوبان وفقدان الهوية. ولم يجد الكويتيون فرصة كافية لاستيعاب المتغيرات والتفاعل معها. فقد كانوا في عام 1950 مجتمعا بسيطا كادحا، وإذا بهم في الستينات مجتمع متعلم وسط الأحداث والتطورات العربية، ثم جاءت السبعينات بتزايد دخل البترول وارتفاع مستوى المعيشة، ليدخلوا مع الثمانينات في أجواء الثورة الإسلامية الإيرانية والصحوة الدينية والحرب العراقية- الإيرانية وافرازاتها الطائفية، فكان بدهياً أن يزداد بين الكويتيين الميل للانطواء على الذات والمحافظة الاجتماعية، واللجوء إلى الدين، والابتعاد عن التيارات والأفكار السياسية والعقائدية التي حطمت حياة العرب الآخرين.

3 -على الرغم من قوة مكانة الدستور الكويتي ودقة صياغته، إلا أن الحركة السياسية والاجتماعية لم تفرز الشريحة المؤثرة، القادرة على تعميق المكاسب الديمقراطية والقيم الليبرالية. ومع عودة الحياة النيابية عام 1981 بعد أول حل غير دستوري لمجلس الأمة، تزايدت الإمكانيات السياسية والبرلمانية للتيار الإسلامي، والى جانب الإخوان المسلمين دخل السلفيون حلبة البرلمان، وتغيرت تدريجيا خلال السنوات اللاحقة طبيعة نقاشات المجلس وبعض القوانين الصادرة عنه مقارنة بسنواته الأولى. والتقت بشكل ما مصالح العناصر والقوى، التي ترى

في دستور 1962 وبعض بنوده قيداً على مصالحها وتصرفاتها، ببعض أطروحات التيار الإسلامي وفكره ودعوته إلى الشورى وتحكيم القرآن وتطبيق الشريعة، بديلا للدستور ومجلس الأمة والقوانين العصرية. إذاً كان موقف التيار الديني من كل هذه الأدوات القانونية والأطر السياسية أنها من أدوات تغريب المجتمع وإحلال القوانين الوضعية محل الشريعة الإسلامية. فتعمق التعاون بين الطرفين انطلاقا من هذا العامل المشترك.

البدايات الأولى للجماعة السلفية

احتكر الإخوان المسلمون نشاط الإسلام السياسي في الكويت على امتداد ثلاثة عقود من الزمان. أي ما بين عام 1952 عندما تأسست جمعية الإرشاد الإسلامي، التي تلتها جمعية الإصلاح الاجتماعي، وعام 1981 عندما ظهرت جمعية إحياء التراث الإسلامي السلفية في 19 ديسمبر(كانون الأول) من ذلك العام. ورغم أن الظروف التي رافقت ظهور الجماعة السلفية، والتسهيلات التي قدمت لها حتى الآن، شأنها في ذلك شأن عموم التيار الديني في الكويت، إلا أن من بين العوامل التي أدت لظهورها يمكن الإشارة إليه كما يلي:

1 ـ عدم ارتباط السلطة السياسية الزمنية فى الكويت بالهيئة الدينية أوالمؤسسة الإسلامية الشرعية، كما هو الأمر في المملكة العربية السعودية مثلا. فرغم الدعم الذي حظيت به جماعة الإخوان المسلمين من الدولة، والتسهيلات التي قدمت لها، إلا أن الباب لم يقفل يوما في وجه أي نشاط سياسي إسلامي آخر. وهذا ما حدث فعلا، حيث ظهرت في الكويت

بعد الاستقلال جماعات دينية أخرى كالسلف وحزب التحرير، وعدة جماعات شيعية.

2 . تنامي حجم المجتمع الكويتي، وزيادة عدد الشباب بشكل أسرع من تنامي قدرة الإخوان المسلمين على استيعابهم. كما أن الدعاية السياسية المضادة للإخوان في المجتمع الكويتي، تحت تأثير حركة القوميين العرب والدعاية الناصرية الواسعة التأثير، حتى عام 1967، عمقت النفور منهم وهيأت المجال لأي حركة أو جماعة إسلامية منافسة لهم.

3 . واجهت الحكومة الكويتية، وكذلك القيادة التقليدية للإخوان المسلمين، صعوبات جمة في التحكم بالجماعة سياسيا بعد تنامي نفوذها في مصر والعالم العربي والإسلامي الثورة الإيرانية وانطلاق حرب أفغانستان وغيرها. وشعرت بعض الأوساط في الدولة أن امتدادات وعلاقات وارتباطات واستراتيجيات الإخوان المسلمين خارج قدرة السلطة على التحكم بها أو توجيهها. لذلك أيد البعض من داخل الحكومة الكويتية فكرة إيجاد شيء من التعددية التنظيمية والتنافس السياسي والبرلماني بين جماعات الإسلام السياسي، وتوفير هامش أوسع في التحرك والمناورة، و حاولت بعض مراكز النفوذ خلق قوة سياسية اجتماعية مؤثرة كالجماعة السلفية.

4 . أثارت سياسات نظام الشاه مخاوف الكويتيين وغيرهم من حقيقة أهدافه السياسية. لذلك رحبت أوساط شعبية واسعة بالثورة الإيرانية عام 1979. ولكن النظام الجديد سرعان ما أثار المخاوف الطائفية في عموم دول مجلس التعاون. وازدادت الفجوة المذهبية -

القومية اتساعا بسبب الحرب العراقية - الإيرانية، التي امتدت ثماني سنوات، وقد وجدت القوى المحافظة الأشد تخوفا من الثورة الإيرانية، والتشيع السياسي، وتصدير الثورة وجدت في نمو الجماعة السلفية الحليف الأفضل، مع العلم أن جماعة الإخوان في مصر لم تكن واضحة العداء لإيران الإسلامية، وللتشيع المذهبي والسياسي.

5 . بدأت الجماعة السلفية الكويتية في أوساط الحضر ولكنها تحولت مع الوقت إلى قوة استقطاب وتأثير لأبناء القبائل، وأداة فعالة في العمل البرلماني والطلابي والجمعيات التعاونية وغيرها. فقد ارتفعت نسبة المكون القبلي إلى ما يقارب أو يزيد على 50% من السكان الكويتيين، ووجد الكثير من الشباب أنفسهم بعيدين عن التأثير السياسي والاقتصادي، وغير قادرين على ترجمة قوتهم العددية إلى نفوذ ملموس .

ولما كانت الجماعة السلفية في فكرها وشعاراتها وأسلوب ممارستها للتدين أقرب إليهم، وبخاصة إلى البسطاء والشعبيين منهم، ازدادت السلفية وجمعياتها نفوذا في أوساطهم. وقد حاولوا في مرحلة لاحقة انتزاع القيادة السياسية والدينية من جمعية إحياء التراث كما سنبين لاحقا، ولكنهم أخفقوا لتعجلهم وافتقارهم إلى القوة المالية ودعم السلطة السياسية لهم، ولعدم تعاطف السلفيين خارج الدوائر القبلية معهم. كما أن هذه الحركة الانشقاقية التي سمت نفسها بالسلفية العلمية تبنت الكثير من الأفكار الدينية المتشددة ،التي عزلتها عن التوجة العام.

6 . كان عدوان أغسطس(آب) 1990 على الكويت نقطة تحول على كل صعيد. وكان لهذا الحدث الجلل تأثيرات متفاوتة على جماعات

الإسلام السياسي داخل البلاد. فقد وجدت جماعة الإخوان نفسها محرجة وغاضبة أحيانا من تذبذب مواقف جماعات الحزب من دولة لأخرى، كمصر والأردن، ولم تتطابق حسابات الحركة دوليا مع الحساسيات المحلية وثار كذلك جدل معروف حول شرعية الاستعانة بغير المسلمين لصد عدوان دولة إسلامية.

في حين استفادت الجماعة السلفية من ظرف معين، رغم أنها كانت أكثر تعاطفا مع الجانب العراقي خلال الحرب العراقية - الإيرانية لمخاوف طائفية ولحسن حظها، كانت جميع قيادتهم موجودة في الداخل، ورفضوا الخروج سواء أثناء الاحتلال أم في وسط الاحتلال أم في أواخره. ولا شك أن وجود هذه المحنة عززت مكانة الجماعة السلفية التي كانت وراء اللجان الشعبية أثناء الاحتلال، في مختلف مناطق الكويت، والمساهمة في المقاومة المسلحة، و توزيع المنشورات السياسية، وتقديم التعليمات الإرشادية للمواطنين. كذلك اتخذت الجماعة السلفية موقفا صريحا من الجماعات والحركات الدينية، التي أيدت النظام العراقي في احتلاله للكويت، ودعت جماعة الإخوان المسلمين في الكويت لكي تتخذ موقفا واضحا وصريحا من هذه الجماعات والحركات التي وقفت مع النظام العراقي[1].

من جانب آخر، أجبرت ظروف الاحتلال ومخاطر الحرب القادمة الكثير من سكان الكويت على النزوح إلى دول الجوار، بينما عاد

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول موقف الجماعات الاسلامية من احتلال الكويت وحرب 1991 انظر: الحركات الأصولية الاسلامية وأزمة الخليج، تحرير جيمس بيسكاتوري وترجمة د.أحمد مبارك البغدادي، الكويت: مؤسسة الشراع العربي 1992.

غير الكويتيين في الغالب إلى بلدانهم. ولما كان الكثير من الكويتيين قد لجأوا إلى المملكة العربية السعودية، وبخاصة أبناء القبائل وعائلاتهم، وأقاموا فيها خلال أشهر الاحتلال السبعة، فقد تأثر هؤلاء على نحو خاص بالأسلوب المعيشي والنمط الاجتماعي والتعليمي والديني، الذي عايشوه هناك، ورغب بعض هؤلاء بعد عودتهم في فبراير (شباط) 1991 أن ينشئوا في الكويت، من خلال الجماعة السلفية، هيئة دينية تنفيذية، كجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، العاملة بالسعودية، لفرض الأوامر والنواهي ومعاقبة المخالفين وإقفال المحال وقت الصلاة وغير ذلك. ورغم فشل تلك المحاولة بعد حملة إعلامية قوية ضدها، وعدم تقبل نخبة البلاد لها، إلا أن الدعوة إلى إقامة هذه الهيئة ما تزال تهدد الحريات الاجتماعية في الكويت.

7. استقطبت جماعتا الإخوان والسلف، إلى جانب الحضر وأبناء القبائل عددا كبيرا من ذوي الأصول الفارسية السنة، أو المهاجرين إلى الكويت من بلاد فارس ومناطقها الجنوبية. وبينما اتجه الكثير من الشيعة إلى جماعات التشيع السياسي، وجد عدد لا بأس به من المنتمين إلى مذهب أهل السنة وعاءهم الحركي والديني المناسب في جماعتي الإخوان المسلمين والسلف. ووجدت الشرائح الأبسط والأضعف والأقل نفوذا نفسها متجاوبة أكثر مع الإطار السلفي. ورغم انتمائهم المذهبي إلى الشافعية، كسائر أهل السنة جنوبي إيران وغربها، إلا أن اندماجهم مع الوسط السلفي وربما الحنبلي كان سلسا جدا فيما يبدو. والعديد منهم اليوم أشد تحمسا للجماعة السلفية حتى من أبناء القبائل، وهكذا استطاعت

الجماعة السلفية أن تجتذب إلى صفوفها الفئات الثلاث من أبناء الشعب الكويتي، الحضر العرب، والحضر من ذوي الأصول الفارسية أو الفارسية أو المهاجرة، وأبناء القبائل.

8 . اتسمت التيارات السياسية، التي حظيت بسعة الانتشار في الكويت، كحركة القوميين العرب أو جماعة الإخوان المسلمين وغيرها، بكونها امتدادا لحركات وأحزاب مؤسسة في الخارج، أي في البلدان العربية غالبا، فقد تأسست حركة القوميين العرب في بيروت ودول الشام عموما وكان محورها القضية الفلسطينية بعد وقوع نكبة 1948 .أما الإخوان المسلمون فجماعة تأسست في مصر عام 1928 وانتشرت جماعة مماثلة مرتبطة بها بعد ذلك. ولم ينتبه الكويتيون، إلا في مرحلة متأخرة، إلى ضرورة الانطلاق من تجاربهم ومصالحهم الوطنية بدلا من الشعارات العقائدية.

ولم تشذ الجماعة السلفية عن هذا، فهي من الناحية الفكرية العقيدية مجرد امتداد للفكر السلفي واجتهاداته دون أن تبذل الجماعة أي جهد مثلا في دراسة المجتمع الكويتي من ناحية التركيب والتاريخ والمصالح والتوازنات وغير ذلك. وما تزال تتأثر بالاجتهادات والفتاوى الواردة من المرجعية السلفية خارج الكويت، وبخاصة كبار شيوخ الدين في الهيئات الدينية السعودية. وكانت هذه الهيئات قد عملت منذ عام 1974 على تأسيس الجماعات السلفية في مختلف دول العالم، وضاعفت مجهودها بعد نجاح الثورة الايرانية عام 1979، ونشوب الصراعات السياسية

والطائفية إثر الحرب العراقية الايرانية وغير ذلك[2].

بدايات الجماعة السلفية في الكويت

وننتقل الآن إلى بدايات الجماعة السلفية في الكويت، فننقل للقارىء بعض النقاط التي تناولها الباحث صلاح محمد الغزالي. بدأ الفكر السلفي يصل إلى الكويت من السعودية عبر رحلات الحج ابتداء، ثم مرورا بالعلاقات الشخصية الثنائية مع شيوخ السلفية، وانتهاء بطلبة العلم الذين درسوا في الجامعات السعودية، وفي عام 1966 قرر الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، وهو أحد شيوخ السلفية في السعودية - مصري الأصل- الانتقال إلى الكويت والإقامة فيها مع مجموعة من علماء الشريعة، مثل الشيخ محمد الأشقر، والشيخ عمر الأشقر، والشيخ عبد الملك الشافعي، ومن هنا بدأت الدعوة السلفية تنتشر بالكويت.

جاء الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق السيد يوسف إلى الكويت، من خلال جمعية الإصلاح الاجتماعي، وبدأ بتقديم الدروس والمحاضرات لتنمية الجانب العقيدي لدى الشباب عموما، وشباب الإخوان المسلمين خصوصاً. أدى هذا التعاون إلى انتقال الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق إلى الدعوة السلفية الناشئة، فاستقطب معه عدداً من الشباب المؤمنين بفكره، وبدأت تتشكل جماعة سلفية في عام 1974. وعن ظروف الاحتكاك مع جماعة الإخوان قال الغزالي: بدأ يتبلور الاختلاف بين الجماعتين الكويتيين

---

(2) د.خالد أبو الفضل، السرقة الكبرى، القاهرة 2008 ص76.

الإخوان والسلفيين، إذ كان الاختلاف الأول هو أن الإخوان لا يركزون على العقيدة في تربية النشء من وجهة نظر السلفيين. أما الاختلاف الثاني فكان موضوع الدخول في البرلمان، فالإخوان يخوضون الانتخابات، أما السلف فترددوا في البداية إلى أن استقر رأيهم على جواز المشاركة فيها، والاختلاف الثالث كان خلال العمل الدعوي في المساجد، فالسلفيون انتشروا في مساجد المناطق الداخلية مثل كيفان والفيحاء والقادسية.

وكان الإخوان يستقطبون الأتباع في المساجد أيضاً، فأصبحت بعض المساجد داخل الديرة محل مواجهة وصراع يومي وتسابق لالتقاط أي مصل جديد يدخل المسجد لضمه إلى الجماعة والدعوة.. وعن طبيعة الانتقال بين الجماعتين، وعلاقة ذلك بتشدد الأعضاء يقول: لم يكن الفرز بين الإخوان والسلف فرزا بين معتدل ومتشدد، وإن كان هذا هو الطابع العام، ولكن يمكن ملاحظة بقاء عدد ليس بقليل من المتشددين داخل الإخوان، ولم ينتقلوا إلى السلفيين، كما أن مع السلفيين عددا من الأفراد المعتدلين من الإسلاميين. لقد بقي داخل الإخوان من يحمل التدين بتشدد في فكره وفي علاقاته وفي حياته، بل يكادون يكونون هم المسيطرون على القيادة، بينما ترك المجال للمعتدلين ليكونوا في الواجهات السياسية.

وعن الأوساط التي تحرك السلف فيها لكسب الأعضاء أوضح الغزالي: كان النشاط السلفي في تجميع الأتباع يعتمد على عدة جبهات، جبهة الإخوان المسلمين حيث بدؤوا باستقطاب القريبين لفكرهم إلى خارج الإخوان، والجبهة الثانية المتدينين في المجتمع الكويتي والعمل على

استقطابهم إلى السلفية بدلا من الاتجاه إلى الإخوان، والجبهة الثالثة الطلبة في جامعة الكويت حيث بدأ العمل على التجميع من القبائل. أما الجبهة الرابعة، والأهم من كل ذلك، فهم الدارسون في جامعات المملكة العربية السعودية، لذلك تجد أن معظم دكاترة كلية الشريعة في جامعة الكويت هم من خريجي الجامعات السعودية ومعظمهم سلفيون.

ومن المهم أن نذكر أن الجماعتين قد أثرتا كثيرا بعضهما ببعض، فقد أخذ إخوان الكويت الكثير من الطريقة السلفية، كما أخذ سلفيو الكويت الكثير من الوسائل الحركية للإخوان ،فأصبحوا يتشابهون في كثير من الأمور[3].

إن هذه المرحلة الحساسة، من تاريخ التنافس والتمايز بين الجماعتين، ما تزال بحاجة إلى المزيد من البحث، وتجميع المعلومات. فليس من الواضح والمحدد، دور القوى الداخلية والخارجية، وقادة الإخوان وشيوخ السلف خارج الكويت، وموقف رجال النفوذ والحكم في البلاد،

---

(3) صلاح الغزالي. الجماعات السياسية، ص 205 - 207. وعن الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق يقول المرجع نفسه: ولد فى مصر عام 1939، وباعتبار أن المملكة العربية السعودية هى دولة الإسلام، اختارت عائلته الإقامة فى المدينة المنورة، كان والده «رحمه الله» حافظا وقارئا لكتاب الله يقوم بالدعوة والتعليم والجهاد حيث شارك مع المجاهدين الفلسطينيين فى عام 1939 م و1948 م .درس الشيخ عبد الرحمن فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى عام 1961، وتخرج فى عام 1966 ليتوجه إلى دولة الكويت، ويستقر فيها(ص295).

للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق كتب وكراسات عديدة منها:

1. فصول من السياسة الشرعية فى الدعوة إلى الله.
2. المسلمون والعمل السياسي.
3. خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية.
4. السلفيون والأئمة الأربعة.
5. الأصول العلمية للدعوة السلفية.
6. وجوب تطبيق الحدود الشرعية.
7. الحد الفاصل بين الإيمان والكفر.

وكلها أطراف ذات مصالح متعارضة، والمعلومات والدراسات ما تزال قليلة وغير منشورة حولها. ولعلّ من أهم ما ينبغي دراسته هنا، طبيعة العلاقة بين الإخوان المسلمين والسلفية في المملكة العربية السعودية، وردود فعل السعودية، والتيارات الإسلامية فيها إزاء الثورة الإسلامية الإيرانية 1978 - 1979، حيث يميل البعض إلى تفسير التحرك السلفي على النطاق الإسلامي بهدف محاصرة التوجه الثوري والجهادي، تحت تأثير التطورات الإيرانية[4].

كان دخول الجماعة السلفية إلى الكويت متزامنا مع صراع الأجنحة داخل الجماعات السلفية السعودية، وتأثير الجماعة السرورية والتوجه الداعي لاستخدام العنف والخروج على الحاكم[5]. تنسب السرورية إلى محمد سرور بن نايف زين العابدين أحد المنشقين السوريين عن جماعة الإخوان المسلمين في سوريا، حيث جاء للعمل في السعودية وتولى التدريس عام 1965 في المعهد العلمي ببريدة. وقد مارس في ذلك المعهد مهمة التبشير بدعوته مع ممارسته لمهنة التعليم، وتتلمذ على يده الشيخ سلمان العودة. وقد انتقل سرور إلى الكويت ثم إلى بريطانيا، حيث أسس في برمنجهام مركز دراسات السنة النبوية ثم المنتدى الإسلامي، وأطلق مجلته الشهيرة «السُّنة». حاول سرور الجمع بين عقيدة السلف وخبرة الإخوان الحزبية في تجميع الشباب والتأثير في المجتمع. وهكذا تبلور مع

(4) أنظر مثلا: ، د. سامي ناصر الخالدي، الأحزاب الإسلامية في الكويت: الشيعة، الإخوان، السلف. الكويت 1999 ص223.

(5) أنظر الورقة القيمة التى كتبها أ.عبد الله بن بجاد العتيبي، الجماعات الدينية وتأثيرها على الاستقرار السياسي: منطقة الخليج نموذجا، وقد قدمها فى منتدى صحيفة الاتحاد السنوي عام 2008 فى أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة.

الوقت تيار سلفي سياسي جارف يسمى السرورية.

وقد أصبح، في ما بعد، أكبر التيارات الدينية في الشارع السعودي أساساً، وفي الشارع الخليجي بشكل أو بآخر، حيث استطاع سرور وجماعته الوليدة السيطرة على كثير من المراكز الحساسة في الهيئات الدينية والخيرية والإعلامية، وتغلغل في المساجد والمدارس والمراكز الصيفية ومكتبات المساجد، واستخدم لذلك مجموعة من الأفكار والمناهج والآليات التي استطاع أخذها وتطويرها من خطاب الوهابية، وفكر سيد قطب والتجربة الحركية الإخوانية، وذلك لجمع المؤيدين، والأتباع من حوله والمحافظة عليهم بعد كسبهم، مما يجعلنا نرى أن محمد سرور مثَّل القنطرة التنظيمية والفكرية التي جسرت بها السرورية الفجوة بين الحركية الإخوانية والوهابية[6].

ويقول عبد الله العتيبي في ورقته: إن مجلة السنة لقيت رواجا كبيرا أثناء الغزو العراقي للكويت، وتضخم تنظيمه داخل السعودية وبعض دول الخليج والعالم العربي. وقد أبرز عداءً سافرا للنظام السعودي، وعلى نحو أقل شيوخ الدين الرسميين في المملكة. كما كفّر في محاضرة له عام

(6) يقول عبد الله بن بجاد العتيبى فى الورقة نفسها، المشار إليها سابقا :الخطاب الجامي نسبة إلى الشيخ محمد أمان الجامي الإفريقي، الذي كان يعيش فى المدينة النبوية، هذا الخطاب تم صنعه وتبنيه من قبل الحكومة السعودية في النصف الثاني من الثمانينات وحتى النصف الثاني من التسعينات. وكان المبرر الأساس لخلق هذا الخطاب هو استشعار السعودية للخطر الكبير والتحريض الديني ضدها وضد مشروعيتها السياسية، عبر خطابات دينية كان يتم بثها بقوة فى أفغانستان وباكستان أيام الحرب الأفغانية السوفيتية، وهى خطابات تكفر الدولة السعودية وتحرض أبناءها القادمين لأفغانستان للعمل ضدها وضد مصالحها واستقرارها السياسي، وقد تبنت الدولة هذا الخطاب ونشرته فى المساجد والجامعات وعبر الكتب والأشرطة، والدعاة الذين تبنتهم الدولة ورعتهم ومكنتهم من المناصب فى مراكز الوعظ والتأثير الدينى، كالجامعات والمساجد والقضاء ووزارة الشؤون الإسلامية والجمعيات الخيرية وغيرها.

1996 في أحد المراكز الإسلامية، الملك فهد بن عبد العزيز والنظام السعودي. انتشر تيار سرور في الكويت عبر التيار المعروف هناك بالسلفية العلمية ومن رموزه حامد العلي وعبد الرزاق الشايجي، والأخير خاض معارك ضارية مع تيار الجامية.

الجماعة السلفية والعمل السياسي

لم تعط الجماعة في بداية تكونها أي أهمية للمشاركة في الحياة البرلمانية، وكان قد تم حل مجلس الأمة بشكل غير دستوري عام 1976، أي من غير تحديد أي موعد للانتخابات القادمة. ولم يسمح بها إلا في انتخابات فبراير(شباط) 1981. ويبدي الشيخ عبد الخالق في كتابه الصادر بمصر فصولاً عن السياسة الشرعية، 1983 موقفا سلفيا تقليديا من الحكام وولاة الأمور، ويؤكد أن أهل السنة وعلماء السلف قديما وحديثا قالوا بتحريم إنكار منكر الإمام المعلن للإسلام باليد، وأنه لا يجوز إنكار منكره إلا باللسان والقلب فقط. كما ويخصص الكثير من محتويات الكتاب لنقد فكر وممارسة العنف الديني في مصر، ويستهجن برفق مقالا سياسيا حاداً بعنوان «حصر دائرة الصراع» نشره د.عبد الله النفيسي في مجلة «المجتمع» يوم 1981/11/10، حيث يقول النفيسي فيه: إن العدو الفعلي واليومي للحركة الإسلامية هو الأنظمة، وإن المعوق الفعلي واليومي لمسيرة الحركة الإسلامية هو الأنظمة[7].

دخلت السلفية مجال السياسة المحلية علنا مع بداية ثمانينات القرن. فقد تأسست جمعية إحياء التراث عام 1981، وأصدرت مجلة

(7) عبد الرحمن عبد الخالق، فصول عن السياسية الشرعية، مصر: دار التقوى 1983 ص 114

«الفرقان» عام 1989. وعندما خرج السلف من صفوف الإخوان شكل الطلاب السلفيون، في ما بعد، قائمة باسمهم هي الاتحاد الإسلامي، شاركت في الانتخابات الطلابية عام 1980. وحين أجرت الانتخابات لمجلس الأمة، عام 1981، ترشح عن الجماعة السلفية اثنان تحت شعار تعديل المادة الثانية من الدستور[8]. وغيرها من مواد بذات الاتجاه. والمترشحان هما خالد بن سلطان بن عيسى وجاسم محمد سعود العون[9]. وحملت الدورة الانتخابية الثانية عام 1985 للجماعة السلفية أول انقسام فقد ترشح جاسم الشريدة في الانتخابات، وهو أحد مؤسسي الجماعة السلفية، بينما رأت الجماعة أن مرشحها الرسمي هو فريد العجيل. وقد بدأ التصعيد حينما أخذ الشريدة يتكلم عن الجماعة السلفية في مقره الانتخابي، وعبر بيانات، كان منها نقده لمجلس شورى الجماعة السلفية، وهو أعلى سلطة بالجماعة بأنه غير مؤهل علميا لقيادة الجماعة، وبأن بعضهم يمارس التجارة بالبورصة - سوق الكويت للأوراق المالية، وهو السوق الذي تتهمه الجماعة بأنه ربوي.

وكانت الجماعة قد شهدت صراعا فكريا حول مبدأ الانغماس في العمل السياسي، ودخول البرلمان. وعندما نجح الجناح المؤيد في إقناع البقية، كان قد استخدم صورة وردية مثالية للعمل البرلماني والسياسي، يصعب الالتزام بها في الحياة الواقعية. يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق مثلا مدافعا عن دخول الجماعة إلى البرلمان والعمل السياسي:

---

(8) الغزالي، الجماعات السياسية، ص219.

(9) المسلمون والعمل السياسي، الكويت: الدار السلفية ،الطبعة الثانية 1986 ص 66 - 67.

القول بأن العمل السياسي مشغلة عن الدعوة إلى الله خطأ أيضا، لأن العمل السياسي الإسلامي يجب أن يكون دعوة إلى الله، وإلا ما كان هذا سياسة شرعية، وإنما كان علوا وفسادا في الأرض، واستغلالا للدين، واستبدالا لطغيان بطغيان ولجاهلية بمثلها. فالعمل السياسي الإسلامي يجب أن يكون في ذاته دعوة إلى الله، فجمع الناس يجب أن يكون على أساس الدين، ولإعلاء كلمة رب العالمين، ولا يجوز مجاملة أحد في دين الله ولا مراعاة خاطر كبير أو عظيم.

لم تنتظر الجماعة السلفية صدور مجلة «الفرقان» لتبدأ التبشير بفكرها السياسي والديني. فقد بادرت به منذ اكتوبر(تشرين الأول) 1976 من خلال المقالات التي نشرت في جريدة «الوطن»، التي خصصت صفحتين كل يوم جمعة لجماعة السلفية تحت مسمى الشؤون الدينية، تولى تحريرها عدد من قيادات وكوادر الجماعة، مثل الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، وأحمد باقر، وسليمان معرفي، وعبد الله الدوب، وأمير الحداد، والشيخ عبد الله السبت وغيرهم. وقد تم نشر العديد من مقالات الشيخ عبد الخالق في نبذ العنف. وعلى هذا الأساس دانت حركة جهيمان العتيبي في الحرم المكي. وقد استمر هذا النشاط الإعلامي للجماعة في «الوطن» حتى عام 1985 عندما اختلفت معها حول انتخابات 1985[10]. واستمر التيار يعبر عن نفسه وأفكاره في عدة صحف يومية منذ ذلك الوقت حتى اليوم، حيث لا تتمتع مجلته «الفرقان» بشعبية واسعة بين القراء في الكويت، وتخاطب الجماعة في أحيان كثيرة القراء خارجها. ويقول د. المديرس: إن

---

(10) د. المديرس، ص 15.

الجماعة السلفية من الجماعات الدينية المتشددة، حيث تدعو إلى عدم مشاركة النصارى في مناسبات أعياد الميلاد، وعدم إلقاء التهنئة عليهم، بل وعدم استيراد وبيع وتوزيع بطاقات التهنئة. كما تولت توزيع كتاب بعنوان فتاوى في معاملة الكفار، حرمت فيه استخدام العمالة غير المسلمة. واتخذت مواقف متشددة من الشيعة، حيث يقول السيد جاسم العون إن الجماعة السلفية تختلف عن الشيعة بالأصول لا في الفروع .ووصفتها الجماعة في بعض منشوراتها باليهود والنصارى والمجوس[11].

والهيكل التنظيمي للجماعة السلفية مغلف بالسرية التامة، حيث لا يعرف أعضاء الهيئة التأسيسية، ولا هوية القادة الرئيسيين للجماعة. وهناك مجلس شورى وهو يعتبر بمثابة القيادة العليا، وهو الذي يضع السياسة العامة للجماعة. وليس ثمة أسلوب محدد للانضمام إلى الجماعة السلفية، حيث إن العضوية انتقائية، وفقا لما يراه قادة الجماعة من خلال متابعة المرشح ثم عرض الأمر عليه للانضمام[12]. وقد تبنت مجلة «الفرقان» السلفية منذ صدورها عام 1989 كل ما يصدر من أراء وفتاوى للجماعة السلفية في السعودية، لمثل الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد العثيمين، والشيخ صالح الفوزان.

كما ركزت على تغطية نشاطات الجماعة السلفية في الدول الإسلامية، وكذلك في الدول التي توجد فيها أقليات إسلامية[13]. وتدعو

(11) المرجع نفسه، ص 14.

(12) المرجع نفسه، ص 10.

الجماعة كما ذكرنا إلى إقامة حكم الله، وتعديل المادة الثانية من الدستور، ولم تر منذ بداية منطلقها تناقضا بين تطبيق الشريعة والحكم الوراثي، حيث أن الأصل في الإسلام هو الشورى، إلا أن الحكم الوراثي جائز، لأنه لم يبين أحد من السلف الصالح بأن الحكم الوراثي باطل[14].

نشطت الجماعة السلفية منذ ظهورها بشكل رئيسي من خلال اللجان التي شكلتها جمعية إحياء التراث الإسلامي، رغم أن الجماعة تنفي علاقتها بالجمعية[15]، وكذلك من خلال فروعها المنتشرة بالبلاد. ومن نشاطاتها إقامة المجمعات الربيعية في بر الكويت، وإدارة مراكز الشباب، واللجان النسائية وتوزيع المواد السمعية والبصرية والكتيبات.

وتتم في المجتمعات الدعوة إلى الفكر السلفي، من خلال محاضرات شيوخ الجماعة داخل الكويت وخارجها. وهي محاضرات لا تقتصر على المجتمعات وحدها. وتقوم مراكز الشباب باستقطاب اليافعين والأطفال صغار السن .أما اللجنة النسائية فتتولى تنظيم النساء وإعداد الدروس الدينية والندوات[16].

نمو الحركة السلفية بعد التحرير

---

(13) المرجع نفسه، ص 16.
(14) المرجع نفسه، ص 21.
(15) المرجع نفسه، ص 10.
(16) المرجع نفسه، ص 122.

كان موقف الإخوان والسلف من حل مجلس الأمة عام 1986 مضطربا، وإن كان أوضح بالنسبة للإخوان، من موقفهم عام 1976. أما السلف فإنهم لم يشاركوا بفاعلية في التحرك الشعبي للمطالبة بعودة الحياة البرلمانية. وقد رفضت الجماعتان استخدام قوتهم الضاغطة بالمساجد والمدارس والجمعيات الأهلية التي توجد فيها[17]. غير أن الجماعتين قامتا بدور فعال في مجال الصمود الكويتي تحت ظروف الاحتلال العراقي للبلاد بعد 2 أغسطس(آب) 1990. وكانت اللجان الشعبية التابعة للجماعة السلفية هي من الجهات التي عملت في الساحة الكويتية مع لجان التكافل الاجتماعي التابعة لحركة الإخوان المسلمين.

وتدل الفقرة الواردة في كتاب صلاح الغزالي على مدى تغلغل ونفوذ الإسلاميين، والإخوان المسلمين خصوصا، في الحياة المدنية الكويتية قبل الغزو، إذ تبين الفقرة أنهم كانوا في الواقع يديرون معظم مناطق الكويت السكنية. يقول الغزالي: تم الإعلان عن اللجان منذ الأيام الأولى للاحتلال العراقي للكويت، وتأتي سرعة تأسيس تلك اللجان لأنها موجودة بالأصل، فهي التنظيم التربوي الاجتماعي المدني للإخوان المسلمين، الذي يعمل في المناطق السكنية طوال فترة ما قبل الاحتلال، وكل ما تم بعد وقوع الكويت تحت الاحتلال العراقي هو إجراء بعض التعديل على هذا الجهاز، ليتناسب ومرحلة التعامل مع الغزو وجيشه، وذلك بالتعديل في الاسم وفي بعض الاختصاصات، فقد كان هذا الجهاز قبل الغزو وحتى بعد التحرير عبارة عن التنظيم التربوي بالمناطق السكنية، وهو العمود

(17) صلاح الغزالي، ص 251.

الفقري لتنظيم الإخوان المسلمين في الكويت، فحمل اسم لجان التكافل، وبدأ يعمل بالإضافة إلى العمل الدعوي بالمساجد وبث الخواطر الإيمانية لتصبير الناس على البلاء، فبدأوا ينشطون في العمل المدني في مختلف مناطق الكويت[18].

وتشير مصادر الجماعة السلفية من جانبها إلى أنها كانت وراء تشكيل اللجان الشعبية أثناء الاحتلال، وهي التي لعبت دورا في التصدي والمقاومة، حيث قدمت عددا من الشهداء، وكان على رأس هؤلاء الشهداء الدكتور هشام العبيدان، والشيخ محمود خليفة الجاسم[19]. خرجت الكويت دولة وحكومة وشعبا ومجتمعا في فبراير (شباط) 1991 من تجربة شديدة التأثير، وقد تأثرت على وجه الخصوص تياراتها السياسية الإسلامية والقومية، بسبب مواقف العديد من الدول والأحزاب والشخصيات العربية من الغزو والتحرير على حد سواء. وتنادى الكثيرون لإقامة الدولة والمجتمع على أسس جديدة، والقضاء على صور الفساد والفوضى، والتخلص من مختلف أسباب وأشكال التخلف. غير أن القوى المستفيدة من ظروف ما قبل الغزو سرعان ما استعادت قواها، وقامت بترميم كل ما تزعزع لها من مواقع. وتغيرت في بحر هذه التجربة المريرة أولويات الكثيرين، كما أثرت التجربة في طبيعة وتوازنات الانتخابات البرلمانية، وبخاصة مع تنامي الثقل في الحياة السياسية، وزيادة عدد الشباب، والسماح للمرأة في ما بعد، بالمشاركة في الترشيح والانتخاب.

---

(18) المرجع نفسه، ص 223.

(19) د. المديرس ،ص 28.

كان السلفيون قد شاركوا في انتخابات مجلس الأمة: 1981 و1985، كأفراد أصحاب توجه سلفي وليس باسم الجماعة السلفية. وكانت باكورة نشاطهم السياسي، بعد التحرير، المشاركة بالتوقيع على بيان الرؤية المستقبلية لبناء الكويت الجديدة، الذي أعدته شخصيات كويتية إسلامية ودستورية، وشارك في التوقيع عليه جمع من الشخصيات الوطنية، ثم بدأ تداول اسم التجمع الإسلامي الذي أطلق على الجناح السياسي للجماعة السلفية، ثم أصبح التجمع الإسلامي الشعبي لتأكيد العلاقة بين هذا التجمع واللجان الشعبية التي نشطت أثناء الاحتلال. وهكذا، وبعد انتخابات مجلس الأمة 2003، بدأ تداول اسم التجمع الإسلامي السلفي[20]. واشتمل البيان الأول لهذا التجمع على الدعوة لتحكيم الشريعة الإسلامية، ونقد حرمان الشعب من الرقابة على الحياة السياسية، والدعوة إلى أسلمة القوانين وتأييد الدعوة إلى فصل ولاية العهد عن رئاسة مجلس الوزراء.

ويلاحظ بعض المحللين في هذا البيان حدوث تغيير إيجابي كبير على الفكر السياسي للجماعة السلفية، منها قبول تشكيل جماعة سياسية، وهي التي كانت ترفض الأحزاب، وقبول العمل مع التيارات السياسية كافة من خلال دعوتها لتشكيل حكومة وحدة وطنية، وقبول مبدأ معارضة وليّ الأمر الحاكم والمطالبة بالحريات والديمقراطية، وإن كانت قد وضعت شرط الشريعة الإسلامية، وتأييد فصل ولاية العهد[21] عن رئاسة مجلس

---

(20) صلاح الغزالي، ص 251.

الوزراء، وهو مطلب معارض لكل الأحوال، وشهدت المرحلة كذلك توسعا كبيرا في مستوى نشاط الجماعة السلفية ضمن جمعية إحياء التراث الإسلامي داخل الكويت وخارجها؛ وتكاثرت فروعها في مختلف مناطق الكويت، وتشكلت في الجمعية إدارة لجان الزكاة والصدقات. وفي مجال النشاط الخارجي تم تشكيل إدارة بناء المساجد والمشاريع الإسلامية، وتبعتها عدة لجان للعمل على مستوى قارات العالم، وهي لجنة العالم العربي، ولجنة القارة الهندية، ولجنة جنوب شرق آسيا، ولجنة مسلمي آسيا الوسطى، ولجنة القارة الأفريقية، ولجنة أوروبا والأمريكتين[22].

أما مجلة «الفرقان»، التي بدأت الجمعية بإصدارها مع يناير (كانون الثاني) 1989 بشكل شهري، فقد تحولت إلى مجلة أسبوعية في بداية عام 2001. ومن مقالات العدد الأول، وبنظرة إجمالية على أوضاع العالم الإسلامي من خلال التفسير الإلهي للتاريخ، بقلم الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق قال فيه: «فالتاريخ حقا يعيد نفسه، إنه حلقات متصلة مترابطة، الفاعل الحقيقي فيها واحد وهو الله سبحانه وتعالى، والبشر جميعا ستار لقدرته، ومنفذون لمشيئته ومحكومون بإرادته»[23]. ووجه المقال نقدا لاذعا للثورة الإيرانية، القوة الغاشمة الإيرانية الخمينية الجاهلية. وقال: إن الله سبحانه قد هيأ شعب العراق المجيد ليبيد أحلام هذه الثورة، ويصد هذه

---

(21) المرجع نفسه، ص 252.

(22) المصدر نفسه، ص 252.

(23) الفرقان، يناير (كانون الثاني) 1989. من الواضح أن الشيخ عبد الخالق لايحسب هنا حسابا للمذابح والجرائم التاريخية للقادة، التي أمروا بها والمسؤولين الذين نفذوها.

الهجمة الشرسة ويحول هذه الريح الصفراء إلى عقر دارها، تأكل نفسها وتحرق فلذات أكبادها.

وفي زاوية كلمات مضيئة، كتب د أحمد البغدادي مقالا بعنوان «بالإسلام نحيا من جديد». وعلى الرغم من تبنيه لفكر الإسلام السياسي آنذاك، إلا أنه كتب يقول: «جوهر المشكلة يتمثل في السؤال التالي: هل من الممكن أن تتطور المجتمعات المعاصرة عن طريق تطبيق الشريعة؟ وبصيغة أخرى هل تستطيع الشريعة أن تحل المشاكل التي يواجهها المسلمون في العصر الراهن؟ ونشر العدد الأول من «الفرقان» لقاءً مع الشيخ أبو بكر الجزائري الواعظ بالمسجد النبوي الشريف، قال فيه: إن الدعوة الرافضية هي في باطن الأمر دعوة مجوسية! وقال في ما يتعلق بالعلمانية، بأن موقف الإسلام منها هو موقفه من الشرك والكفر والإلحاد، فما العلمانية في واقعها إلا بلشفية شيوعية تنكر أحكام الله في الخلق وتشريعه لعباده، والإسلام يحكم بلا تردد على كل مسلم يتبنى العلمانية والشيوعية بالردة والخروج عن الإسلام، فلو كان للمسلمين إمام شرعي وحاكم مبايع، لاستدعاه واستتابه ثلاثة أيام فإن لم يتب وإلا فصل رأسه عن جسده ورميه في مقابر الكافرين والمشركين.

تجددت هذه التهم عن نشاط جمعية إحياء التراث الإسلامي وعلاقتها بدعم الارهاب من قبل الولايات المتحدة، حيث جوبهت بحملة إعلامية سلفية واسعة لنفيها. واتخذت الحكومة الكويتية نفسها موقف المدافع عن الجمعية وتبرئتها مما وجهت إليها من تهم. وقد جاء في الصحف أن نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية، الشيخ الدكتور

محمد الصباح، قد عرض لمجلس الوزراء حصيلة الجهود الدبلوماسية التي بذلت في مواجهة الاتهامات الموجهة لجمعية إحياء التراث الإسلامي، والتشكيك في نشاطها الخيري، بهدف احتواء هذه الاتهامات ودحضها، وقد نفى مجلس الوزراء هذه الاتهامات الباطلة التي لا تستند إلى أدلة، مؤكدا ثقته بجمعية أحياء التراث وبسائر المؤسسات الكويتية الخيرية ودورها الإنساني والوطني، وهي جمعيات تخضع لإشراف الدولة، مشيدا بما قدمته من خدمات طبية في مجال العمل الخيري داخل الكويت وخارجها، وما تقوم به من جهد مشهود في محاربة الفكر الإرهابي، وتحريم نشاطاته المدمرة. وإذا ترفض دولة الكويت أي إساءة أو تشكيك في مؤسساتها وجمعياتها الخيرية ونشاطها الإيجابي، في خدمة المجتمع الكويتي والإسلامي والإنسانية في كل مكان، لتؤكد أن العمل الخيري يجسد سمة خالصة للمجتمع الكويتي في حبه لعمل الخير ومساعدة المحتاجين وتطبيق مبادىء إسلامنا الحنيف وقيمه العالية[24].

وكانت الكويت قد تبلغت رسميا قبل ذلك بأشهر، بقرار مجلس الأمن، ضم ثلاثة كويتيين إلى القائمة الدولية للإرهاب، بينهم السيد حامد العلي، الأمين العام الأسبق والأول للحركة السلفية العلمية، وقد تضمن ذلك منعه من السفر وتجميد أرصدته وتحجيم أنشطته[25] وقالت وزارة الخزانة الأمريكية، كما جاء في الصحف أن حامد العلي قد جند أفراداً في الكويت للمحاربة مع القاعدة في العراق، وأن فتاويه أيدت

---

(24) الوسط 2008/6/17.

(25) عالم اليوم 2008/1/24.

التفجيرات الانتحارية وأنه تغاضى عن هجمات 11 سبتمبر بالقول: إن من الممكن استخدام طائرة ركاب لتدمير موقع مهم يكبد العدو خسائر كبيرة. وجاء في الصحيفة نفسها: أن الحكومة الكويتية كانت قد قاضته وأدانته عام 2005 لإساءته للذات الأميرية، لكن بالرغم من تجريده من أي منصب رسمي بقي محافظا على موقفه. ففي مستهل حرب اسرائيل - حزب الله في لبنان عام 2006، أصدر فتوى شهيرة شجب فيها حزب الله بوصفه حركة رافضة شيعية. ورغم الجهد الذي بذلته الحكومة الكويتية في مجال مكافحة الإرهاب، جاء في تقرير سنوي لوزارة الخارجية الأمريكية حول الإرهاب الدولي أن الكويت استمرت في التردد بمواجهة المتطرفين في الداخل وتساهلت مع مؤيدي النشاط الإرهابي في العراق وأفغانستان[26]، ونفى الداعية السلفي حامد العلي في مقابلة صحفية أي تأييد للعنف المسلح في البلاد الإسلامية قائلا: نحن استنكرنا هذا كله، ونحرمه. ولم يزل هذا فكرنا،وقد قلنا إن هذه كلها أمور محرمة، والإصلاح لا يكون بالعنف، بل هذا تخريب، ولهذا رحبنا بمراجعات جماعة الجهاد المصرية، وشكرناهم عليها[27].

وفي مقابلة ثانية أكد كلامه: نحرم العنف كوسيلة للتغيير والإصلاح في بلادنا الإسلامية، ونؤمن بالوسائل السلمية. ولكنه أشار إلى التفريق بين هذا العنف وبين مقاومة الاحتلال. وقال: إنه يقف مع كل قضايا الأمة، من سبتة ومليلة، إلى تركستان الشرقية[28].

---

(26) الوطن الكويتية 2008/1/28.

(27) الوسط 2008/1/28.

ومن أعداد «الفرقان» الجديدة العدد الصادر يوم 17 سبتمبر (كانون الأول) 2001، بعد تفجيرات أمريكا يوم 11 سبتمبر (أيلول). وقد أدانت المجلة الإرهاب، ونشرت على الغلاف تحت عنوان حرب على أمريكا تصريحا للشيخ صالح اللحيدان، رئيس مجلس القضاء الأعلى السعودي، جاء فيه: إن التفجيرات الأخيرة التي استهدفت مركز التجارة العالمي في نيويورك، ومبنى وزارة الدفاع البنتاغون في واشنطن عمل منكر وغير مقبول في الإسلام. إلا أن تحليلات المجلة في الداخل ذهبت إلى أن اتهام المسلمين بهذه التهمة نابع من الحملة الدعائية الإعلامية التي تقودها إسرائيل في أمريكا وفي أوروبا.

السلف والانتخابات

ساهم الدور الايجابي للجماعة السلفية، أثناء الاحتلال، في دعم موقفهم الانتخابي بعد التحرير. وقد تم ترشيح سبعة مرشحين باسم التجمع الإسلامي السلفي في انتخابات عام 1992، فاز منهم ثلاثة، هم السادة: أحمد باقر، وجاسم العون، ومفرج نهار. وكانت أهم أعمالهم ما يلي: تقديم اقتراح بمشروع قانون لإنشاء الهيئة العامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حيث تشكلت بعد التحرير من السلفيين بعد أن أعجبتهم التجربة السعودية، وخصوصاً من عاش منهم بالمملكة خلال فترة الغزو العراقي للكويت، وقد تولى مقرر الأمانة العامة للهيئة - التي استمرت بشكل غير قانوني د.وليد الطبطبائي، ولكن لم يكتب للمشروع الإقرار حيث

(28) الرأي 2008/1/22.

عارضه الليبراليون بشدة، كما عارضه النواب الشيعة، كما قدم النائب مفرج نهار المطيري استجوابا للنائب وزير التربية ووزير التعليم العالي د. أحمد الربعي، تبعه تقديم طلب بطرح الثقة بالوزير كاد أن ينجح، كما تبني التجمع مشروع قانون منع التعليم المختلط مع آخرين وقد نجحوا، كما كان لهم موقف مبدئي يعتبره آخرون متشددا ضد إعطاء المرأة الحقوق السياسية في الترشيح والانتخاب[29].

وقع انشقاق ثان في الجماعة السلفية في انتخابات عام 1996، تجاوز في أبعاده أزمة 1985. وقد بدأت المشكلة عندما أقدم النائب السلفي جاسم العون، والذي تولى مناصب وزارية عامي 1992 و 1994، على استقبال ومصافحة بعض الفنانين والفنانات، وتبادل معهم الأحاديث الودية. وأصبح هذا محورا للخلاف في انتخابات 1996. انسحب جاسم العون من الانتخابات وعين وزيرا في الحكومة الجديدة بعد الانتخابات. وقد قدم الدعم لأحد مرشحي السلف الذي لم يحالفه الحظ، كما لم يفز مرشح الجماعة السلفية كذلك في حين نجح د. وليد الطبطبائي، كسلفي مستقل ممهدا لبداية ظهور الحركة السلفية العلمية.

غير أن بعض السلفيين فازوا في دوائر أخرى غير دائرة كيفان، التي أثيرت فيها المشكلة. ومن الفائزين السادة: أحمد باقر، ود. فهد صالح الخنة ومفرج نهار المطيري، وبذلك استطاعت الجماعة المحافظة على عددها في المجلس. وفاز في انتخابات عام 1999 مرشحان فقط عن الجماعة السلفية التجمع الإسلامي الشعبي. وعندما تم تعيين السيد أحمد

---

(29) الغزالي، ص255.

باقر وزيرا للاوقاف والشؤون الإسلامية ووزيرا للعدل، كان هذا التوزير سببا في خلاف كبير وقع بين التجمع الإسلامي الشعبي وبين الحركة الدستورية الإسلامية - حدس. ومع الكتلة الإسلامية في البرلمان بشكل عام.

تحول اسم التجمع الإسلامي الشعبي إلى التجمع الإسلامي السلفي في انتخابات 2003، التي فاز فيها اثنان من السلف. وأعلن السيد خالد السلطان أمين عام التجمع الاسلامي السلفي أهداف التجمع فحددها بما يلي: أسلمة القوانين وتطبيق الشريعة الإسلامية، ومحاربة الظواهر الأخلاقية السيئة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذود عن ثوابت العقيدة، وإبراز دور الدعوة السلفية في معالجة قضايا الأمة، العمل على تحجيم فعالية، ودور القوى والتجمعات المعادية للإسلام. وأضاف بأن العمل السياسي ليس هدفا بحد ذاته... بل هو الدعوة بنفسها . وبأن نشاطه يتسع ليشمل جميع أوجه العمل النقابي والمؤسسي، فيشمل بذلك النشاط النقابي والجمعيات التعاونية والمجلس البلدي[30].

امتد نشاط الجماعة السلفية والتجمع، منذ بداية اهتمام الجماعة بالتغلغل في الحياة السياسية والبرلمانية، إلى مجالين لا يقلان أهمية، وهما: المجالس البلدية والجمعيات التعاونية.ومن أبواب النفوذ السياسي لأصحاب الطموح السلفي والإخواني، وغيرهم من الإسلاميين، الأفرع المرخصة وغير المرخصة للجمعيات الإسلامية، ولجان الزكاة والعمل الطلابي وغير ذلك. ومن الأمثلة في هذا المجال تمكن السيد

---

(30) الغزالي، ص257.

مفرج نهار المطيري، الذي كان يشغل منصب أمين صندوق جمعية إحياء التراث الإسلامي، فرع منطقة الجهراء، والذي كان يتمتع كذلك بثقل قبلي لانتمائه لقبيلة مطير، من الفوز بالمركز الأول وحصوله على 29% من مجموع أصوات الناخبين[31]. وكثيرا ما يبدأ الإسلامي السلفي وغيره مسيرة الصعود التنظيمي والسياسي، منطلقا من العمل الطلابي الجامعي داخل الكويت أو خارجها، ليتولى بعد ذلك منصبا ما في إحدى الجمعيات الدينية ولجانها، وفي مقدمتها المالية والخيرية، ليدخل بعد ذلك مجال الجمعيات التعاونية، ثم المجلس البلدي أو مجلس الأمة، ليصل بعد ذلك إلى الوزارة.

وللجمعيات التعاونية في الكويت دور بالغ الأهمية في دعم الجماعات الإسلامية قلما يلتفت إليه الباحثون. فهذه الجمعيات تأخذ رأسمالها من سكان المنطقة على هيئة أسهم اشتراك، حيث تقوم بتوزيع نسبة من الأرباح على المساهمين سنويا. وتشرف الحكومة على إجراء انتخابات دورية لأعضاء مجالس إدارتها، التي يبذل الإسلاميون كل جهد للسيطرة عليها، ولهذه الجمعيات التعاونية الاستهلاكية في مختلف المناطق، نشاطات واسعة، تشمل بيع المواد الغذائية واللوازم المنزلية والفواكه والخضار، وتتبعها محلات لبيع الأدوات الكهربية وتصليحها، والتمديدات الصحية وتصليح السيارات والمكيفات وأجهزة الحاسوب وورش التجارة. كما تتولى تأجير مئات المحلات في المنطقة لنشاطات تجارية متنوعة. وهكذا، تتعامل

(31) المصدر نفسه، ص36.

هذه الجمعيات التعاونية بملايين الدنانير، تمتلك بسببها نفوذا ماليا لدى البنوك والشركات والمؤسسات التجارية، التي تحسب لهذه الجمعيات ألف حساب، حيث تتحكم بمصير تعريف معظم بضائعهم في البلاد، وبخاصة للأسر الكويتية.

وتدعم هذه الجمعيات في معظم الأحيان في الإيداع والإنفاق المؤسسات المالية الإسلامية. وتنفق مبالغ سنوية على النشاطات الدينية بلغت عام 2007 قرابة المليونين وثلاثمائة ألف دينار كويتي. ومن أبرز هذه النشاطات حملات العمرة ، والتي قد يستفيد منها الإسلاميون، أو ينتقون خلالها الموالين، أو يوسعون بها نفوذهم الحزبي والانتخابي والطلابي. ويصل عدد هذه الجمعيات التعاونية في عموم دولة الكويت، بموجب التقرير السنوي لاتحاد الجمعيات الاستهلاكية لعام 2007 ميلادية، إلى 51 جمعية، بعدد إجمالي للمساهمين 384066 فردا، يمتلكون أكثر من أربعة ملايين اسما ونصف المليون، قيمتها الإجمالية 4،539،311. أما إجمالي المبيعات، حتى نهاية عام 2007، فقد بلغ ما يقارب 500 مليون دينار كويتي أو 483،495،418 بالتحديد.

والواقع أن نجاحات الجماعة السلفية كانت أوسع حتى من هذه المكاسب في مجلس الأمة والجمعيات التعاونية. فقد استطاعت بالاشتراك مع الجماعات الإسلامية الأخرى أن تغير طبيعة المجتمع الكويتي ومؤسساته على نحو شامل. فمعظم مؤسسات المجتمع المدني في جميع القطاعات العمالية والطلابية والنسائية، وقطاع المعلمين وغيرها من القطاعات التي كانت في السابق بيد القوى القومية واليسارية والليبرالية، سقطت بيد

جماعات الإسلام السياسي، وأصبحت مراكز ومقرات مؤسسات المجتمع المدني الحديث، المشهورة رسميا من خلال قانون جمعيات النفع العام واجهات اجتماعية ودينية، ومراكز للتعبئة والتنظيم لهذه الجماعات. كذلك عملت هذه الجماعات على استغلال أماكن العبادة مثل المساجد واللجان الخيرية، التي أصبحت فروعها تغطي جميع مناطق الكويت بمثابة مراكز حزبية لهذه الجماعات، وستار لعملها الحزبي لاستقطاب وتنظيم أكبر عد ممكن من المواطنين[32].

ولم تكتف جماعات الإسلام السياسي بالهيمنة على الهيئات الشعبية وجمعيات النفع العام ، بل صار لها نفوذ كبير في مختلف أجهزة الدولة كوزارة التربية والتعليم العالي ، ووزارة الأوقاف ووزارة الشؤون وجامعة الكويت . كما غدت معظم المناصب القيادية من نصيب المنتمين لهذه الجماعات. وأصبحت الجماعة السلفية، وغيرها من جماعات الإسلام السياسي، تؤثر على متخذي القرار السياسي من خلال نفوذهم عبر ممثلي هذه الجماعات في مجلس الأمة، وفي المجالس العليا المعنية مثل المجلس الأعلى للتخطيط والمجلس الاعلى للبترول واللجنة الاستشارية العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة[33].

انشقاق الجماعة السلفية

باقتراب انتخابات 1996 ونتيجة للتفاعلات التي جرت في مجال الاستعداد لها وتهيئة مرشحي تلك الانتخابات، جرى انقسام في الجماعة

---

(32) د. المديرس، ص47.

(33) د. المديرس، ص48.

السلفية، ظلت إحداها تابعة لجمعية إحياء التراث، بينما حملت الأخرى اسم الحركة السلفية العلمية. وقد أشرنا في مدخل الورقة إلى هذا الانقسام ونقوم هنا بتناوله على نحو أوسع.

فبعد أن خرج مجموعة من الشباب السلفي عن الجماعة، تم تشكيل مجموعة المشكاة، وهي مجموعة فكرية انبثقت عنها الحركة السلفية العلمية كحركة سياسية، وقد اعتذر د. وليد الطبطبائي عن الدخول فيها بحجة أنه عضو في البرلمان. كما يذكر الشيخ أحمد فهد الأحمد الجابر الصباح، أنه كان يحضر تلك الاجتماعات التي وضعت النظام الأساسي للحركة[34].

تولى منصب الأمين العام للحركة استاذ الثقافة الإسلامية في كلية التربية الأساسية في جامعة الكويت حامد بن عبد الله أحمد العلي من مواليد 1961، حتى عام 2000، حيث تم انتخاب خلفه د. حاكم عبيسان المطيري، وهو من مواليد 1964. وكلاهما ممن درسوا في الكليات الدينية السعودية مثل الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

حققت الحركة نتائج انتخابية جيدة نسبيا عام 1999، عندما تفوق مرشحها د. عواد برد على مرشح التجمع السلفي السيد مفرج نهار. ودخلت الحركة انتخابات 2003 وهي أكثر نضجا واستعداد. إلا أن الحركة شهدت صراعا اجتماعيا داخلها، حيث خرج الحضر من الحركة

(34) الغزالي، ص 261.

مثل أمينها العام حامد العلي وناطقها الرسمي د. عبد الرازق الشايجي فضلا عن قرار د. وليد الطبطبائي العمل كإسلامي مستقل، في حين بدأت الحركة السلفية العلمية تنحصر في القبليين فقط مع استثناءات محدودة جدا ليست في صدارة الحركة[35].

وفي نهاية مارس 2007 أعلنت الحركة السلفية- حيث ألغت كلمة العلمية عن اسمها - رؤيتها للإصلاح ، في مؤتمر صحفي حضره الأمين العام للحركة تركي فلاح الظفيري.

وقد دعت الحركة إلى تطبيق الشريعة، وفتح المجال أمام إشهاد الأحزاب السياسية وطالبت بتجنيد البدو. وعمدت الحركة خلال العامين اللاحقين إلى تأسيس ما يشبه التنظيم الواجهي ، القادر على استقطاب العناصر الإسلامية المستقلة. وهكذا تم في 7 يناير (كانون الثاني) 2005 عقد المؤتمر التأسيسي لما سمي بحزب الأمة.

قدم الحزب نفسه في إطار محافظ، وأعلن عن إيمانه بالتعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة، ومبدأ الفصل بين السلطات والمحافظة على الحريات، بما في ذلك حرية التجمع، وحرية الصحافة، وحرية قيام الأحزاب السياسية والنقابات المهنية، ورفض كل أشكال الاستبداد السياسي.

ولم ترى في أورق الحزب أية إشارة إلى اسم الكويت أو مصطلح

---

(35) الغزالي، ص 263 - 264.

الديمقراطية والدستور، وهو تجاهل قد يحمل عدة تفسيرات يعارض بعضها بشكل واضح وصريح أهداف الحزب المعلنة، وبخاصة المحافظة على الحريات(36).

أما عن أسباب الانقسام في الجماعة السلفية إلى جماعتين رئيسيتين: التجمع الإسلامي السلفي، والحركة السلفية العلمية فعديدة، منها تعدد النصوص الدينية وسهولة الخروج منها باجتهادات متفاوتة متناقضة في الميدان السياسي. ومنها اتساع الفجوة السياسية والاجتماعية بين مصالح ومواقف كل من الحضر وأبناء القبائل؛ حيث يعتبر الكثيرون من أبناء القبائل أنفسهم أقل نصيبا من الحضر على الصعيد المادي والسياسي. وبينما تمسك القيادة والمناطق الحضرية رسميا بالجماعة السلفية، يهيمن على سلف المناطق القبلية والمحسوبين عليها شعور بالغبن، وأنها غير قادرة على استخدام التيار كأداة ضغط سياسية.

وكان من أسباب هذا الانقسام كذلك ما تمر به الحركة الإسلامية وايديولوجية الإسلام السياسي من تطورات وصراعات وأزمات وتجارب، منذ عام 1967، عندما وقعت النكسة العربية وانفتح الباب لها في بلدان كثيرة. فقد شهدت الساحة الفكرية للسلفية، والإسلام السياسي عموما، حركات واجتهادات كثيرة في مصر والسعودية وبين مجاهدي الأفغان العرب.

---

(36) الغزالي، ص 265 - 276.

وظهرت قيادات وجماعات اختلفت مواقفها من وسائل الدعوة وأهداف الحركة الإسلامية والتعجيل بتحقيقها. وظهر بين السلفيين أنفسهم، بعد تراث طويل من إطاعة الحكام وأولياء الأمر، وتحريم الخروج عليهم لغير الكفر البواح، من يكفرهم أو يفسقهم ويدعو علنا إلى الإطاحة بهم وتغيير أنظمتهم إلى النظام الإسلامي المنشود.

وأخيرا، فقد نقلنا منذ قليل إشارة أحد الباحثين إلى ما يؤكده الشيخ أحمد فهد الأحمد الجابر الصباح، أحد القيادات الكويتية البارزة حاليا، عن حضوره شخصيا الاجتماعات التي تمخض عنها تأسيس الحركة السلفية العلمية. ولعلَّ هذا يدل على اهتمام المسؤولين، وكبار متخذي القرار بخلق بعض التوازنات السياسية في الجماعة السلفية، بتشجيع بروز الحركة الجديدة.

ولقد أشرنا إلى قيادة الحركة السلفية العلمية، الأمانة العامة، وكان الأول الشيخ حامد العلي، ثم تولى المنصب د. حاكم المطيري. وقد برز الأول بعد تركه للمنصب، في مجال الانترنت، حيث أشرف على موقع معروف في مجال السلفية المتشددة، ودعم ما سمي منذ عام 2003 بالمقاومة الإسلامية في العراق. ودأب الموقع على إصدار بيانات وتحليلات تكفيرية ضد الشيعة في العراق وغيرها، إلى جانب مهاجمة الأنظمة العربية والإسلامية والبلدان الغربية.

ونقف أخيرا عند د. حاكم المطيري، وكتابه الصادر عام 2004 بعنوان «الحرية» أو «الطوفان». يقتبس د. المطيري فقرة واردة في كتاب مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، من تأليف بدر الدين البعلي (ت777 هـ)، دون إشارة إلى المصدر، ليقيم عليها كل تجليلات الكتاب. ويمكن الإشارة هنا إلى ثلاث أفكار رئيسية في الكتاب، وهي التي تقوم عليها كذلك الحركة السلفية العلمية وهي:

أ ـ إن أكثر الأنظمة اليوم ليست هي الأنظمة التي توصف بالجور، الذي اختلف العلماء في شأنه، بل هي الأنظمة التي توصف بالكفر، الذي أجمع العلماء على وجوب الخروج عليها لمن استطاع، فلا يمكن تنزيل كلام السلف على الواقع إلا كما لو صح تنزيله على دولة العبيدين في مصر ... وان على الأمة أن تشق طريقها الى تحقيق نهضتها بكل وسيلة مشروعة سليمة كانت أوثورية ، برضا السلطة ومشاركتها أو دون رضاها ومعارضتها[37].

ب ـ يرفض بناء على هذا موقف الجماعة السلفية المعروف من طاعة ولي الأمر، وينتقد خضوع الحركات الإسلامية للسلطات، ويقول: لقد تحول كثير من دعاة الحركة الإسلامية وعلمائها، في كثير من الأقطار، إلى سدنة للأنظمة الحاكمة، توظفهم في خدمتها لمواجهة حركات المعارضة السياسية بما فيها الحركات الإسلامية التي ترفض التحالف مع هذه الأنظمة لأسباب شرعية كثيرة[38].

---

(37) د. المطيري، ص 315 - 317.

سدنة للأنظمة الحاكمة، توظفهم في خدمتها لمواجهة حركات المعارضة السياسية بما فيها الحركات الإسلامية التي ترفض التحالف مع هذه الأنظمة لأسباب شرعية كثيرة[38].

جـ . يشيد بفكر ومؤلفات سيد قطب، وخصوصاً كتاب «معالم في الطريق»، الذي يقول المطيري عنه: إن سيد قطب قد أكد فيه جاهلية الأنظمة، التي لا تحكم بما أنزل الله ، وجاهلية المجتمعات التي ترضى بالتحاكم إلى غير شريعة الله ويضيف قائلا ولم تلبث الحركة الإسلامية في العالم العربي بعد قتل سيد قطب بعشرين سنة (أعدم عام 1966) أن تراجعت عن خطابها السياسي، وحكمت على أفكار سيد قطب بأنها متطرفة! وبدأت الحركة الإسلامية تنقسم على نفسها في ما يجب اتخاذه من مواقف حيال الأنظمة الحاكمة الظالمة ، وبدأت الدعوة إلى الإصلاح الداخلي والتحالف مع الأنظمة الملكية أو العسكرية[39].

---

(38) المصدر نفسه، ص302.

(39) المصدر نفسه، ص301.

1 ـ يمثل التحدي العالمي أبرز مشاكل الأفكار والتوجهات السلفية بشكل عام، وخصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) 2001. فالفكر السلفي معاد للأقليات الدينية والمذهبية، ولحقوق المرأة العصرية، وللإفكار الإنسانية التحررية. وقد اتيحت الفرصة للبشرية لأن ترى نموذجا من الحياة الاجتماعية والسياسية تحت سلطة هذه العقيدة، خلال حكم جماعة طالبان في أفغانستان، والتي حظيت وما تزال بتعاطف وإعجاب الجماعات السلفية في كل مكان بما فيها الكويت.

2 ـ يظهر أن المجتمع الكويتي، بدستوره وتعدديته الثقافية والسياسية والمذهبية، وثرائه، وحرياته، ومصالحه، شديد الارتباط بالغرب وعنده نفرة من النموذج السلفي في الحكم والإدارة والتدين، ويمثل ذلك التحدي الثاني في وجه الجماعة السلفية في الكويت.

ومما يضعف قدرة السلف، أو أي جماعة إسلامية أخرى، في الهيمنة السياسية أو الدينية على البلاد، عدم امتلاك هذه التيارات والجماعات أي شرعية سياسية أو تاريخية، خارج ما يمنح الدستور بقية التيارات. ومن هنا، فوضع السلفيين أو الإخوان أو عموم شيوخ الدين في الكويت، لا يماثل وضع الهيئة الدينية ورجال الشريعة في المملكة العربية السعودية، أو الحوزة الدينية والمرجعية الشيعية في جمهورية إيران الإسلامية.

3 ـ ثالث التحديات، التي لا يستهان بها في طريق نمو الجماعة

السلفية وانتشارها، هم جماعة الإخوان المسلمين، والمتمثلة في الكويت بالحركة الدستورية الإسلامية أو حدس اختصارا.

فرغم أن أيديولوجية الإسلام السياسي تجمعهما إلا أن عوامل أخرى تفرقهما. وفي الكويت تتصارع الجماعتان على مدار العام في المجالات السياسية والاقتصادية، وعلى المغانم الإدارية وغيرها، ولا تنجح المساعي والوساطات دائما في توحيد جهودهما، أو حل خلافاتهما، بوجود التعقيدات والحسابات الانتخابية. ويتهم السلف الإخوان عادة، وهذا ما نراه داخل الكويت وخارجها، بإهمال قضايا العقيدة وتغليب المصالح السياسية وضعف التدين، فيما يعتبر الإخوان السلفيين جماعة متعصبة متشددة لا تعرف كيف ترتب الأولويات السياسية والدينية والحركية، وتثير معارك كبرى لأسباب واهية[40].

ويلاحظ المطيري في معرض نقده الذاتي، أن الحركات السياسية ومنها الإسلامية، إنما تقوم بهدف التغيير بينما أصبح وجود الحركات الإسلامية واستمرار هذا الوجود، في نظر أتباعها، غاية لا وسيلة، وطال عليها الأمد دون أن تراجع نفسها وأهدافها وخططها وهياكلها التنظيمية.

ويضيف المطيري أن الكثير من الحركات العالمية، التي لم تبذل عشر ما بذلته الحركة الإسلامية من تضحيات، ولا تملك عشر ما تملكه الحركة الإسلامية من طاقات وقدرات، قد نجحت في تحقيق أهدافها والوصول إلى السلطة وإقامة مشروعها، بينما فشلت عامة الحركات الإسلامية في العالم العربي الإسلامي في الوصول إلى تحقيق هدفها. بينما

---

(40) الوطن الكويتية 2008/7/13.

استطاعت حتى الحركة الشيعية في إيران أن تقطع شوطا كبيراً في تحقيق مشروعها، وأنجزت ما لم تستطيع الحركة الإسلامية في السودان تحقيقه بعد مضي خمس عشرة سنة على وصولها للسلطة هناك.

أما الحركات السلفية المعاصرة في العالم الإسلامي فيقول د. المطيري: فلم تستطع طرح مشروع إصلاحي، بل ما زالت تدور في حلقة مفرغة، بعيدا عن الواقع وتطور الحياة الاجتماعية والسياسية، وما زال الجدل دائراً بين علمائها في مشروعية وعدم مشروعية العمل الجماعي والمشاركة السياسية، ودخول البرلمان، وتشكيل الأحزاب... الخ[41].

ننهي البحث عند هذه النقطة، على الرغم من وجود الكثير مما يستحق الحديث فيه، كعلاقة السلف مع الجماعات الأخرى ومع الدولة، والقضايا التي تثيرها صحافتها وأقلام الكتاب السلفيين، وتحرك الجماعة السلفية في البرلمان، وغير ذلك، وكلها قضايا تستحق أوراقا مستقلة.

---

(41) د .المطيرى، ص 303 - 304.

ذكرياتي مع جهيمان العتيبي قائد المحتلين للمسجد الحرام

ناصر الحزيمي(*)

قبل أن أبدأ حديثي عن تجربتي في الانضمام إلى «الجماعة السلفية المحتسبة»، وعلاقتي بقائد ومنظر هذه الجماعة جهيمان بن محمد بن سيف الضان العتيبي، أحب أن أعطي لمحة سريعة أو مقدمة، وليعذرني الجميع فأنا أكتب من ذاكرتي بعد ثلاثة عقود من حادث احتلال الحرم وبعد ربع قرن من خروجي من السجن، حيث دخلته في 15 محرم 1400 هـ 5- ديسمبر 1980، وخرجت منه في 26 رمضان 1406هـ 26- ابريل 1986.

(*) كاتب سعودي.

هي البداية الحقيقية للصحوة وموجة التدين السياسي، التي عمت أنحاء الشرق الإسلامي مع بدايات انحسار القوى التقدمية واليسار عموماً، وانحسار المد القومي كجاذب براق للجماهير.

كانت الخطب المسجلة للشيخ عبد الحميد كشك هي الأكثر انتشاراً بين عامة الناس والمتدينين، وكشك هو واعظ وخطيب مصري مفوَّه شبه ضرير دخل السجن سنة 1966 وخرج منه سنة 1968، وتكثفت خطبه ودروسه الوعظية بعد هذا التاريخ إلى سنة 1982 تقريبا، وقد توفي سنة 1996. وهكذا عرفت بواسطة تلك الخطب ما أصاب «الإخوان المسلمين» في مصر من معاناة في الحقبة الناصرية، كما تشكلت عندي قناعة بأن الإسلام له أعداء كثر يريدون به شراً، وعلى رأسهم من يدّعون الإسلام ولا يعملون به أو يحكِّمونه في شؤونهم العامة والخاصة.

عرفت في البداية كتاب «معالم في الطريق» لسيد قطب ولم أنجذب إليه لعدم فهمي له وقتها، وقرأت القسم المتعلق بالعبادات من كتاب «فقه السنة» لسيد سابق. ثم قرأت «صفة صلاة النبي» لمحمد ناصر الدين الألباني، وقيل لي وقتها إنه سلفي يلتزم بصحة الحديث، ولأنني لم أكن أسأل عن شيء حتى لا أوصم بالجهل، فلم أفهم من قولهم «سلفي» إلا دلالة سطحية قسرية لم تنفذ إلى العمق.

السلفيون في الكويت

زرت الكويت سنة 1976 وهناك تعرفت على الجماعة السلفية ورموزها، مثل عبد الله السبت، وعبد الرحمن عبد الخالق، وعبد الرحمن عبد الصمد، وقد تكررت زيارتي لمخيمهم، كما أنني حضرت ديوانياتهم، ففهمت السلفية من خلال السماع غالباً، فرفضت التمذهب ونفرت من المذاهب الفقهية الأربعة، ومن أقوال العلماء ومصنفاتهم الفقهية.

كما فهمت معنى «التوحيد» عند هذه الجماعة، وتبنيت مواقفها الرافضة للجماعات الأخرى، مثل: «الإخوان المسلمين» وجماعة التبليغ، وهما أكبر الجماعات الموجودة في الكويت من غير التيار السلفي. كما سمعت بوجود حزب التحرير الإسلامي، إلا أنني لم ألتق بأحد منهم. حقيقة كنت قد سمعت مبكراً في الزبير عن جماعة «الإخوان المسلمين» وحزب التحرير، وتعرفت في الكويت على شخص سيكون له دور في تأسيس الجماعة السلفية في الرياض، أعني محمد الحيدري[1]، الذي اتفقت معه على أن نلتقي في الرياض، وهكذا زرت الرياض بعد ستة شهور من مكوثي في الكويت، وسكنت في عزبة، وهي البيت الذي يقيم فيه العزاب، كانوا مجموعة من معارفي وبلدياتي في الزبير، وهو بيت مبني من الطين والحجر صغير جداً، عند دوار «ام سليم» القريب من حي الخزان وسط العاصمة الرياض. أما نحن فكان فينا من يعمل، وفينا من يدرس في معهد إعداد

(1) معظم الأشخاص الذين جاء ذكرهم في هذا النص ممن ارتبط الكاتب بهم في مرحلة اعتناقه لأفكار الجماعة السلفية، هم أشخاص مغمورون وبقوا مجهولين لدى الباحثين إلا ماندر ممن كان له صلة وثيقة بالجماعة. وسيجد القارئ بعض الاستثناء مع أسماء كانت معروفة أو اشتهرت لاحقاً في المجال الديني في مجال الفتوى. القصد من ذكر أسماء أشخاص غير معروفين اليوم هو توثيق تلك التجربة، برموزها وشخوصها والفاعلين فيها تسهيلاً للباحثين . ومركز المسبار يقدم هذه المادة الخام لتكون مصدراً لكل دارس مهتم بالحركة.

المعلمين، وكان عددنا سبعة ، كنا موزعين على ثلاث غرف، أبعاد كل منها 3×2 متر، وواحدة منها فوق السطح.

سلفيون وإخوان مسلمون

عملت في الرياض، بعد وصولي إليها، في محل لبيع خامات التمديدات الكهربائية براتب قدره 900 ريال، وكنت أقرأ كثيراً في كتب السُنَّة ومرويات الحديث النبوي، وقرأت في مصطلح الحديث، وامتلكت بعض الكتب لعالم الحديث السوري محمد ناصر الدين الألباني، وقرأت «كتاب التوحيد» لمحمد بن عبد الوهاب، واحتككت ببعض الشباب الذين عرفت في ما بعد، أنهم من «الإخوان المسلمين». كان «الإخوان المسلمون» في الرياض موزعين على فئتين: فئة رئيسية معترف بها من قبل التنظيم الدولي للإخوان المسلمين؛ تتميّز بالتنظيم والمشروع الرؤيوي، وتركز أكثر على كتابات سيد قطب، وهم لا يرون البيعة لولي الأمر، ويُعرفون عند البعض بـ (الإخوان المسلمين الجناح القطبي أو القطبيين)، والفئة الثانية «جماعة دار العلم»، نسبة إلى بيت كان لهم في دخنة وسط الرياض، كان يطلق عليه دار العلم، وكان يحضر جلساتهم مجموعة من المشايخ منهم الشيخ إبراهيم الغيث، الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سابقاً، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ المفتي العام، والشيخ الراحل عبد الله بن جبرين عضو الإفتاء السابق.

وفي الرياض كان هناك نشاط ملموس لجماعة التبليغ، الذين

يتواجدون في المناطق الأكثر شعبية، وكان لهم مسجد في «اسكيرينة» وسط الرياض، ولهذا كان يطلق عليهم البعض «جماعة اسكيرينة»، ومنحاهم في الدعوة وعظي تربوي ذو توجه صوفي سلمي. وكان يوجد في الرياض مجموعات متفرقة في المساجد ليس لها أي توجه عموماً، غير الاجتماع على الالتزام الديني والتواصي على أداء الفروض، كانت أشبه بفرق الحواري، أو مراكز الأحياء الثقافية، فكل مسجد فيه غرفة ولابد وأن تجد فيها غالباً مكتبة وشباباً ملتفين حول إمام المسجد.

كانت هذه الأماكن بؤر تجنيد لصالح «الإخوان المسلمين»، أو جماعة التبليغ، وقد تعرفت على أحد هذه المجاميع، وشاركتهم في رحلات خلوية، وسافرت معهم في رمضان من العام 1976 نفسه. ولأول مرة في حياتي أقوم بأداء العمرة، وبالصدفة المحضة جلست في حلقة فيها شيخ يحاجج بالكتاب والسُنَّة، وحوله مجموعة من الطلبة يسألونه، ويرد عليهم بكل ثقة وروية، وتردد في الحلقة اسم الألباني، سألت عن اسم ذلك الشيخ فقيل لي إنه الشيخ علي المزروعي، وهو مدرس في دار الحديث بالمدينة المنورة.

كان هذا اللقاء منعطف تحول في تفكيري.

أتممنا العمرة، وعدنا في صبيحة العيد إلى الرياض عن طريق البر، وأنا على قناعة أن عليَّ أن أطلب العلم في دار الحديث بالمدينة المنورة على الشيخ علي المزروعي، وهكذا قدمت استقالتي في أواسط ذي القعدة

1396 نوفمبر 1976 من المحل الذي كنت أعمل فيه، ولملمت عفشي وتوجهت إلى المدينة المنورة جواً في صباح باكر. ووصلت دار الحديث وكلمت الشيخ علي المزروعي ليشفع لي في الدراسة بدار الحديث، وقد بذل جهده، فلم يتيسر له ذلك لانتهاء فترة التسجيل، فكتب لي علي المزروعي خطاباً لأمير الإخوان[2] في مكة عايض بن دريميح، وأوصاني أن أسأل عنه، أو عن عبد الله الحربي، فركبت سيارة أجرة متوجهة إلى مكة في تلك الساعة.

أول محل للتسجيلات الإسلامية

في عام 1977 افتتح أول محل للتسجيلات الإسلامية، على مستوى المملكة، وذلك في الرياض في عمائر الدغيثر، المطلة على شارع البطحاء، كان اسمه «تسجيلات اليمامة الإسلامية» وهو عبارة عن فتحة صغيرة جداً تبلغ أبعادها 2×4 متر.كان محل تسجيلات إسلامية وحيداً بين مجموعة من محلات الأغاني، وكان حدثا مهما بين الإسلاميين، حتى إن بعض المشايخ زاروا هذا المحل وباركوا لصاحبه هذه الخطوة، وأبدو استعدادهم لدعمه وعرضوا خدماتهم على صاحب التسجيلات. في تلك

---

(2) الإخوان هو الاسم الذي كانت الجماعة السلفية تطلقه على نفسها وينادي به الأفراد بعضهم بعضاً تحبباً، وهو وصف لاعلاقة له بجماعة «الإخوان المسلمين». ووصف « الإخوان» نابع من كون الجماعة السلفية إخوة في الله اجتمعوا على محبته واتباع سنة رسوله، وهو وصف محبب لكل من تطوع في نجد منذ فترة مبكرة لانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد كان المتطوعون المقاتلون من أبناء البادية في جيش الملك عبدالعزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية يسمون بـ«الإخوان»، ولهذا يقال عنهم «إخوان من طاع الله».ومن مطوّعة نجد إخوان بريدة، ومع ذلك فقد كان لكل من إخوان بريدة ، والإخوان البدو، والإخوان المحتسبة الذين كان منهم كاتب هذه الذكريات أفكار يتميزون بها عن بعضهم البعض. وكل هذه الفئات لاعلاقة لها بالإخوان المسلمين.لهذا فكلما جاء ذكر لـ «الإخوان المسلمين» في هذا النص فسوف يكون بين مزدوجتين تمييزاً لهم عن الجماعة السلفية المحتسبة التي ستكثر الإشارة إليها بـ«الإخوان».

الفترة لا يستغرب أن تسمع صخب الأغاني المنبعثة من محلات تسجيلات الأغاني أما بعد أن افتتح ذلك المحل، فقد أصبح من الصعب جداً أن يُسمع صوت مغنٍ واحد، لأن صاحب محل التسجيلات الإسلامية يعترض عليه، ويكفي أن ينطلق صوت القران الكريم من محل التسجيلات الإسلامية، لكي يُسكت جميع أصوات الأغاني، ومن يعترض على ذلك من محلات تسجيل الأغاني برفع صوت مغنٍ يتهم بالتشويش على القرانِ الكريم وعدم احترامه له، وهكذا بفتح محل صغير للتسجيلات الإسلامية غيرت جميع محلات التسجيلات الخاصة بالأغاني نشاطها أو غيرت أماكنها.

مكتبات الرياض

في تلك الفترة لم يكن يوجد في الرياض إلا مكتبة تجارية واحدة متخصصة بالكتاب الإسلامي؛ وخصوصا كتب «الإخوان المسلمين»، وهي مكتبة الحرمين في عمائر الدغيثر المطلة على شارع البطحاء نفسها. نعم يوجد مكتبات تجارية أخرى إلا أن مكتبة الحرمين أكثر تركيزاً على كتب «الإخوان المسلمين»؛ خصوصا والكتب الحركية على وجه العموم والكتب السلفية المحايدة، في تلك الفترة، كانت بعيدة عن كتب السجال والردود، فلم أجد عندهم من كتب الألباني إلا مختصر صحيح مسلم للمنذري، والذي علق عليه الألباني، و«صفة صلاة النبي»، و «الزواج الإسلامي السعيد».

أما الكتاب الذي أثار ردود العلماء، وهو «حجاب المرأة المسلمة ولباسها في الصلاة»، فلم يكن متوافراً غالباً، إلا أن بعض الردود عليه موجودة مثل رد الشيخ عبد القادر حبيب السندي، والشيخ الأنصاري، وغالباً كانت توزع مجانا. في هذا الكتاب «حجاب المرأة»، رجَّح فيه الشيخ

ابن تيمية جواز كشف المرأة لوجهها وكفيها، وأنهما ليسا بعورة، خلافا لما هو سائد بين علماء المذهب الحنبلي في السعودية، وعُدَّت هذه الفتوى من قبل الشيخ وصمة في مسيرته العلمية بين علماء نجد عموما.

يضاف إلى ذلك دعوة الشيخ إلى عدم التمذهب بأحد المذاهب الأربعة المتبوعة (المذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي)، والأخذ من الكتاب (القرآن) والسنة الصحيحة مباشرةً؛ هذه الأمور سيكون لها تبعات أخرى فيما بعد خصوصا وأن «الجماعة السلفية المحتسبة» غالت جدا في مفهوم الأخذ بالكتاب والسنة، لدرجة أنها أهملت إجراءات الفهم لهذين الأصلين، مثل اللغة وأصول الفقه، بل شاع بين بعضهم ذمها وذم كل ما يمت للرأي أو القياس أو الإستحسان بصلة، ناهيك عن المصالح المرسلة وفقه النوازل، لأنهم يرون أن الصحابة لم يكن عندهم هذه العلوم .

صراع بين التيارات

في تلك الفترة لم يكن لرجال الحسبة من السلطة على المجتمع، كمثل ما نشهده هذه الأيام، كانوا كباراً في السن، تتحكم في انفعالاتهم الحكمة والموعظة الحسنة، لم ينظر لهم المجتمع كجسم غريب عنه، بل كانوا ضمن نسيجه، وكانوا يسمون النُّواب، وكان دورهم الغالب هو التذكير بوقت الصلاة. كان النائب الأخ الأكبر للجميع ووالداً مسموع الكلمة، لم يكن على خصام مع مجتمعه، بل يسدد ويقارب بالتي هي أحسن.

من الأمور التي تميزت بها تلك الفترة، حدة الصراع من أجل

اجتذاب العناصر المتدينة حديثا وخصوصا طلاب المدارس، ففي كل مدرسة تقريبا تياران أو ثلاثة (التيار القطبي وتيار حسن البنا، وكلاهما إخوان مسلمون، وتيار جماعة التبليغ)، وكان هناك وراء الكواليس جدال دائم حول استقطاب شخص ما إلى جانب معين منهم، قد يصل أحيانا إلى المشادات الكلامية، ولم أسمع أن هناك عنفاً جسدياً مورس ضد شخص حركي، يملك القدرة على استقطاب شباب العناصر الأخرى في الرياض، لكنني سمعت من مصادر متعددة أن مثل هذا الصدام قد مورس في الكويت؛ يقال: إن أحد شباب «الإخوان المسلمين» دعا أحد السلفيين الحركيين إلى منزله، وحينما استقبله ورحب به دخل الشاب الإخواني إلى البيت، وعاد بعد برهة، وقد لبس ملابس الكراتيه وطبق عليه جميع ما تعلمه في جمعية الإصلاح الاجتماعي من فنون القتال والاشتباك، وكان الشاب السلفي هزيل الجسم. كان ما حدث فضيحة، فتدخل كبار الجماعتين لتلافي تبعاتها، وحل المشكلة، دون البحث في مثل هذه الممارسات ومؤشراتها المستقبلية.

بيت الإخوان في مكة

وصلتُ مكة مع صلاة الظهر، وسألت في معهد الحرم عن عايض بن دريميح أو عبد الله الحربي، ووصلت أخيراً. قال لي: لعلنا نجد عايض في بيت الإخوان السلفيين في حوض البقر[3]، وهو أول بيت للإخوان في مكة، وذهبنا إلى هناك. كان البيت عبارة عن أرض مسورة بالبلوك فيه غرفتان متواضعتان مسقوفتان بالخشب و«البلاكاش»، والبناء بمجمله عشوائي فلا أساسات تذكر للغرف ولا استقامة للسور، أما الأرضية فغير ممهدة، تركت بنتوءاتها الصخرية، ولا يوجد فيها حمام، ومن أراد قضاء حاجته يذهب إلى حمامات المسجد القريب من البيت، وكذا من أراد الإغتسال. البيت

فقير بكل معنى الكلمة، وأنا أظن أنه كان زريبة للحيوانات، وذلك لبقايا مخلفاتها فيه.

انتظرت عايضاً حتى جاء بعد برهة وأعطيته الرسالة، التي كتبها علي المزروعي، وقال لي إن المعهد مغلق وسيستأنف الدراسة بعد الحج، وأنا سأكلم مدير المعهد الشيخ صالح المقوشي، وفعلاً تركت أمر المعهد والتسجيل به لعايض، واندمجت في حياة الإخوان من الجماعة السلفية، ولا زمت عبد الله الحربي، الرجل الأول من حيث الحركة في فرع مكة، فهو الذي يجمع الإخوان ويذهب بهم للدعوة في ضواحي مكة، وهو الذي يقودهم لطلب العلم على المشايخ. تعرفت وقتها بسلطان اللحياني وبأخيه منصور، والذي كان وقتها ينتمي لجماعة التبليغ، وابن عمهم عبد اللطيف اللحياني، وسويلم السلمي، ومرزوق الهذلي، وحسين الغامدي، وسالم الحازمي، ونور الدين ابن شيخنا بديع الدين بن احسان الله شاه الراشدي.

هذه أغلب أسماء الإخوان في مكة، في الوقت الذي وصلت فيه، ولا يتعدى سن أكبرهم الخامسة والعشرين ما عدا عايض بن دريميح فسنه وقتها كان فوق الأربعين، وذكر لي أنه بدأ بتعليم نفسه كبيراً، وكان بدويا يرعى الإبل إلى سن الثلاثين، ثم انتقل إلى مكة بعد أن علم نفسه القراءة والكتابة في البادية فدخل معهد الحرم لعدم اشتراطهم الشهادة الابتدائية، وإنما يُجرى معك مقابلة شخصية يحدد من خلالها المستوى العلمي والتحصيلي غير النظامي، فمعهد الحرم شكل مطور من دراسة الأروقة، لأن دروسه تتم في أروقة الحرم على الأرض.

---

(3) وهو يقع في أول حي العزيزية بمكة.

وقتها كنا في موسم الحج، وكنت منبهرا جداً بهذا المكان الجديد عليَّ. حجاج من جميع الأجناس ومن جميع بقاع الأرض، وحركة لا تفتر طوال الأربع وعشرين ساعة، ومعتمرون. فقضيت جل وقتي في الحرم، واستطاع عايض بن دريميح أن يحصل للإخوان على إحدى الخلوات، وكان في بدروم الحرم عدد كبير من الخلوات، وكان الإخوان في مكة أدرى الناس بها وبدهاليزها التي كانت خير معين لجهيمان في حادثة اقتحام الحرم.

كانت هذه الخلوات خير معين لي في المبيت هناك، ما عدا ليالي، كنا نمنع من المبيت فيها، بسبب توقع قدوم سيل ينحدر من شعاب مكة، ويأتي هادراً إلى مركز انحدار الأرض في الحرم، لذلك كان له تصريف تحت الحرم، وكان أحيانا يدخل القبو، وكان الناس ينبه بعضهم بعضاً ويلفتون إلى السيل لأخذ الحيطة والحذر، وخصوصاً القاطنين في الخلوات، ثم أخبرني عبد الله الحربي أن الإخوان في المدينة المنورة سوف يحجون، وأننا يجب أن نستعد لنصب الخيام في منى، وفعلا بعدها بأيام وصلت الخيام من المدينة في ستة ذي الحجة تقريبا، وتعاونا في نصبها في المكان المحدد لها في منى، بحيث أصبحت جاهزة ، وكان مخيماً كبيراً، وبدأنا باستقبال الحجاج فتعرفت وقتها على علي بن مشرف العمري، وهو أول من تعرفت عليه من أهل المدينة.

كما أني كنت بغاية الشوق للقاء أناس سبقتهم سمعتهم بشكل عجيب مثل جهيمان، وآخرين تعرفت عليهم جميعا في المخيم بمنى، مثل: ناصر بن حسين، وسليمان بن شتيوي، وسعد التميمي، واليمني أحمد

حسن المعلم، وفيصل محمد فيصل اليامي، وعالم الحديث اليمني مقبل ابن هادي الوادعي، وردن العتيبي، ومطلق بن سهل وهو من أهل ساجر، وسلطان وفهد وعمر وعبد الله وعباس أبناء جار الله من مدينة حائل، ومجموعة من السودانيين من جماعة أنصار السُنَّة، قدموا من الطائف، ومجموعات قدمت من جميع مناطق المملكة، وقد خُصص في المخيم مكان للشيخ الألباني، والذي التقيت به أول مرة. كنت وقتها مندهشاً حتى الثمالة لالتقائي بالشيخ الألباني وبحاشيته الكبيرة من سلفيي الشام. كنت في حالة ذهول شديدة، ولم أصدق أنني فعلا أجلس بشكل مباشر مع الشيخ، الذي تتلمذت على بعض كتبه، وتبنيت أفكاره واجتهاداته من خلال السماع لدرجة التقليد الأعمى!

كان الدور المناط بإخوان مكة هو القيام بكل مستلزمات المخيم، لأن جميع من في المخيم دخلوا تحت إمرة عايض بن دريميح النفيعي، أمير الإخوان في مكة، فتوزع الإخوان المهام، منهم من أشرف على المطبخ، ومنهم من تولى جلب المياه، ومنهم من كان عليه جلب الإعاشة، وكان دوري مع عبد الله الحربي جلب الإعاشة، فكنا نجلب الخبز للإفطار بكميات كبيرة من مخبز في البلد، قبل صلاة الفجر.

اللقاء الأول بجهيمان

وهكذا مرت أيام الحج بين أداء المناسك، وحضور دروس الإخوان، ودروس الألباني وتعارفي مع من لم أعرفه من الإخوان، وتوطيد علاقتي بجهيمان، الذي بدا وقتها مشغولاً جداً، وبدأت أتعرف على المسائل، التي يخالف بها الإخوان أصحاب المذاهب الفقهية من المقلدين وانتهى الحج

وعاد الإخوان لمناطقهم وعدنا للحرم.

هذا اللقاء، الذي تم في الحج، يكاد أن يكون العلامة على أنني أصبحت أنتمي لجماعة سلفية حقيقية، فمسلكهم وسيماهم ودماثة خلقهم وما يشغلون به وقتهم، كله كان محسوباً، كما أنهم يتميزون عن الجماعة السلفية في الكويت أنهم أكثر جدية وخشونة وعزوفاً عن الشكليات الدنيوية. فمثلا لم يحدث خلال علاقتي بالجماعة السلفية المحتسبة، أن خرجنا في مجموعة من أجل أن نأكل كُنافة مثلا، مثل ما كان يحدث في الكويت، حيث كنا نخرج لأكل الكنافة عند الكرد أو الصمدي، أو نخرج لنتناول الآيس كريم أو غير ذلك، بل كانت الخطوات محسوبة ومقننة، ليس من خلال نظام داخلي، بل كانت طريقة حياة، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى طبيعتهم البدوية الصرفة، لهذا تجدهم متواضعين في طريقة حياتهم، فبيوتهم في الحرة الشرقية بسيطة، بحيث أنني لم أدخل مجلساً من مجالسهم يحتوي على غير الموكيت والمتاكي، مع مكتبة عامرة بكتب الحديث وكتب التفسير.

مكتبات الإخوان

كانت مكتبة جهيمان تحتوي على أغلب كتب الألباني، والكتب الستة بشروحها وتفسير ابن سعدي، وتفسير ابن كثير والبغوي، وكتاب «إتحاف الجماعة للشيخ حمود التويجري»، ونيل الأوطار وسبل السلام، ومجموعة التوحيد وكتب ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وشرح العقيدة الطحاوية، أما كتب المذاهب الفقهية فتكاد تكون معدومة. هذه مجمل مكتبة جهيمان

وقس عليها أغلب مكتبات الإخوان، ما عدا مكتبة مقبل بن هادي الوادعي، ومكتبة علي المزروعي، فمقبل تتميز مكتبته بأنها مكتبة حديثية صرفة، وما يتبعها من كتب فقه الحديث، أما المزروعي فمكتبته فقهية حديثية.

حياة متقشفة

في تلك الفترة، وخلال سنة من وجودي في مكة، انتقل الإخوان إلى بيت آخر يقع في مكان يسمى الصفيراء في ضواحي مكة، وضمن حدود الحرم، وهو بيت من البلوك لم يكتمل تشطيبه، جدرانه عارية من دون أسمنت، وفيه ثلاث غرف، وحمامات وحوش واسع ثلثه مسقوف بـ«الأبلاكاش»، وكان بعيداً عن عين كل رقيب أو حسيب، إذ لم يكن حوله أي بيت آخر، بل كان منفرداً في تلك البقعة، وكان بابه يفتح على سهل واسع من الأرض. كان هذا البيت محطة استراحة الإخوان المعتمرين من خارج مكة.

كنت أستلم من معهد الحرم مكافأة قدرها 150 ريالاً فقط، وبما أني متأثر بسير السلف الصالح، ممن طلب العلم ولاقى المحن في سبيل ذلك، فقد كنت قانعا بهذا المبلغ، والذي كنت أصرفه على القليل من الطعام، وعلى الكثير من الكتب. كان أصحاب المكتبات ينظروننا إلى ميسرة ويصبرون على السداد، وكان ذلك شائعاً ومعروفاً بين الطلبة، وكان يصل لنا بعض الصدقات المخصصة لطلاب العلم في مكة بين فينة وأخرى، وكان مجموع ما وصلني خلال سنة في مكة 2000 ريال تقريبا، يوزعها علينا مشايخنا في المعهد، أو الشيخ صالح المقوشي مدير المعهد. كنت أسدد بما أحصل عليه من صدقات ديوني المتراكمة لأصحاب المكتبات، وأعتاش

بما بقي معي منها.

بائع متجول

كان بعض زملائنا، وخصوصاً المغتربين منهم، يعملون كعمال نظافة في الحرم، وكان بعضهم يعمل كبائع متجول، وقررت أن أعمل كبائع متجول للساعات، واصطحبني أحد الإخوان إلى تاجر جملة، لكي يزودني بالبضاعة، وكانت عبارة عن ساعات (وست أند)، وحينما أخذت هذه البضاعة، ودرت فيها على المعتمرين والحجاج، التقيت بأحد الإخوان ففحص الساعات ثم قال لي هذه البضاعة يحرم عليك ترويجها، وحين سألته عن السبب قال إن هذه الساعات تحتوي على رسمة الصليب، وقد أمرنا بكسر الصليب وطمسه. كنتُ أحمل هذه الأفكار ولم أنتبه لوجود الصليب على الساعات، وذهبت إلى الشخص الذي زكاني عند تاجر الساعات وشرحت له الأمر، فأخذ الساعات مني وأعادها إلى التاجر مثلما أخذتها منه.

وفي المساء دار حوار حول هذه الساعات، وأنه لا يجوز لي أن أرجعها إليه، وإنما ينبغي عليَّ أن أنكر المنكر بيدي، بحيث أعيدها وقد طمست الصليب، وقد اكتشفت فيما بعد، أن الإخوان عموماً يطمسون الصليب بوضع صبغ الأظافر عليه، وبعضهم ممن اقتنع بتحريم لبس الحديد المحلق[4]، يستبدل أبزيم الساعة المعدني بسير من الجلد أو البلاستك، ومن لم يستبدل السير لا يلبس الساعة، وإنما يضعها في جيبه أو يعلقها بسلسال ويضعها في جيبه، وقد شاهدت مجموعة من الإخوان

يفعلون ذلك ويهتمون به.

كنا بحق في حالة ضنك وضيق مالي، يضطر طالب العلم بسببه إلى التخلي عن أعز ما يملك وهي الكتب. وقد حدث لي حادث هنا وهو أني كنت أهوى تملك الطبعات الأصلية من الكتب، وقد حصلت على كتاب «فتح الباري شرح صحيح البخاري» طبعة بولاق، وعلم بها أحد الزملاء وكنت قد استدنت منه مبلغاً من المال وساومني أن يأخذ مني الكتاب، مقابل دينه ، وكان دينه عليّ 450 ريالاً، فرفضت لأن الكتاب أغلى من ذلك، وبعد أسبوع عاد لي مطالباً بنقوده متشكيا من ضيق ذات يده، فعرضت عليه أن يأخذ فتح الباري ويعرضه على أحد هواة جمع الطبعات المعروفين عندنا في مكة، لعله يشتريه وفعلا أخذ الكتاب وعاد لي بعد يومين وقال لي: إن الكتاب قد بيع بـ 500 ريال، وأعطاني 50 ريال، وأخذ نقوده التي أدين بها له، وبعد مدة زرته في مقر إقامته وأثناء تأملي لمكتبته وجدت كتاب فتح الباري طبع بولاق نسختي العزيزة عليَّ تتوسط مكتبته، فما كان مني إلا أن خرجت من بيته مسرعا لشعوري بأنني تعرضت للخديعة والضرر.

مثل هذه الممارسات وغيرها كثيراً ما تحدث بين الطلبة، وقد تهون مصيبتي بجانب مصائب بعض الطلبة، إذ إن بعضهم يبيع مكتبته بمجملها بسبب ضيق ذات اليد. وقد تعرفت على رجل حضرمي أصيب بلوثة بسبب حرق مكتبته في اليمن الجنوبي على يد -كما يقول- الشيوعيين، هذا الرجل

(4) وهو ما كان على هيئة سوار في المعصم، وقد ذهب بعض الفقهاء إلى تحريم لبس الحلي إذا كان على هيئة سوار خلافاً للأقراط وغيرها.

بولاق نسختي العزيزة عليَّ تتوسط مكتبته، فما كان مني إلا أن خرجت من بيته مسرعا لشعوري بأنني تعرضت للخديعة والضرر.

مثل هذه الممارسات وغيرها كثيراً ما تحدث بين الطلبة، وقد تهون مصيبتي بجانب مصائب بعض الطلبة، إذ إن بعضهم يبيع مكتبته بمجملها بسبب ضيق ذات اليد. وقد تعرفت على رجل حضرمي أصيب بلوثة بسبب حرق مكتبته في اليمن الجنوبي على يد -كما يقول- الشيوعيين، هذا الرجل كان يملك مكتبة كبيرة جداً، تحوي على كل ما وصلت إليه يده من طبعات أصلية من جميع أنحاء العالم، والغريب أنه يحفظ أسماء الكتب ومؤلفيها وتواريخ طبعها، وأين طبعت، والطبعة الجيدة منها، ومن اختصرها، ومن شرحها، ومن ألف في بابها. كان يجلس يتكلم مع نفسه غالباً، وكان يمر أحياناً على بعض حلقات العلم، ثم يقول لي: إن هذا الشيخ يدرس الطلبة كتاباً ناقصاً في هذه الطبعة التي اعتمدها، ثم يمر من المكان نفسه في اليوم التالي، ويردد ما قاله بالأمس. في الحقيقة لقد استفدت منه فوائد ما كنت لأحصل عليها إلا بعد كد وتعب.

الدراسة في معهد الحرم

كان الشيخ بديع بن إحسان الله شاه الراشدي السندي مدرساً في معهد الحرم بمكة. أستأنف معهد الحرم عامه الدراسي بعد الحج، وعاد الشيخ بديع الدين من زيارته لبلده باكستان وبدأت الدراسة في حلقة المبتدئين في القرآن والحديث والفقه ونحوه والتوحيد والفرائض والتفسير

ثم قرأنا عليه المختصر لابن كثير، وحقيقة لم أستفد من الشيخ بديع في المصطلح قدر استفادتي من مناقشات الطلبة ومراجعاتهم. ثم بعد ذلك كنا نذهب جميعا إلى أحد المطاعم القريبة من الحرم، ما عدا الشيخ بديع فيذهب إلى شيخ أعمى اسمه الشيخ فتحي، وهو من جماعة أهل الحديث في الهند وواعظ في الحرم، له خلوة فيه، يذهب الشيخ إليه لكي يفطر معه إلى أن يأتي وقت عمله في التدريس في معهد الحرم، ونحن كذلك، فنستأنف الدراسة من الساعة الثامنة وحتى صلاة الظهر. ثم ندرس حصة واحدة بعد صلاة الظهر تستغرق الحصة خمسين دقيقة تقريبا، أذهب بعدها إلى بيت الإخوان، وأحيانا أبقى في الحرم خصوصاً في الشهور الأولى من سكناي بمكة.

الشيخ بديع الدين السندي

كنت أحرص على أن أكون في الحرم قبل صلاة العصر بساعة، أقضيها غالباً مع الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي، وكان يحتفي بي كثيراً، خصوصاً حين علم أنني من الزبير، كنت بعد صلاة المغرب أحضر حلقة الشيخ بديع في كتاب المحلى لابن حزم. ثم مُنع الشيخ من تدريس كتاب المحلى، واستعيض عنه بكتاب تفسير ابن كثير. وسبب منع الشيخ من تدريس كتاب المحلى أنه كان يهاجم المذاهب الأربعة وخصوصا المذهب الحنفي، وكان بجانب حلقة الشيخ بديع حلقة لطلاب علم من بخارى يدرسون المذهب الحنفي، وكان الشيخ يسمعهم ما يكرهون وما هو خارج عن الذوق والأدب، حتى أنه كان يسميهم مخنثي الفقهاء.

كان كثيراً ما يردد قوله ملتفتا لهم: أنظر إلى هؤلاء «المخانيث» يتركون حديث رسول الله لآراء الرجال، وهكذا حتى شكوه للشيخ محمد بن سبيل مدير الشؤون الدينية في الحرم، وقدموا فيه عريضة جاء فيها: إن الشيخ بديع يتطاول على العلماء، وإنه يدرِّس المذهب الظاهري، وهذا أمر لم يعهد مثله في الحرمين. فاستدعي الشيخ وطلب منه أن يخفف من لهجته ضد علماء المذاهب الأربعة، وأن يمتنع عن تدريس الفقه الظاهري المتمثل بكتاب «المحلى» لابن حزم، واقترح عليه كتاب تفسير ابن كثير بديلاً عنه، وقد تم ذلك بعد أن قطعنا شوطاً لا بأس به من المحلى، وأصبحنا نقرأ في تفسير ابن كثير.

كانت مرحلة قراءتي، على الشيخ بديع الدين بن إحسان الله شاه الراشدي السندي، من أهم مراحل تكويني المرحلي في تلك الفترة، بالرغم من أني واجهت مشكلة مع عربية الشيخ غير الواضحة، فقد كان يتحدث العربية الفصحى بلكنة أعجمية غالبة، وكنت في البداية أواجه صعوبة في فهم ما يقول لأنه كان سريعاً في كلامه، فشكوت حالتي لعبد الله الحربي، فقال لي إنه كان يواجه المشكلة نفسها ومع الأيام أصبح يفهم كلامه. أما السرعة فقد كلمه عنها فخفف من سرعته قليلاً، وفعلاً بعد مدة أصبحت أستبين كلامه باعتيادي على لكنته.

وبالرغم من أن الشيخ بديع قد سافر مبكراً إلى أوروبا، وبعض دول أسيا واتّقن عدة لغات مثل الهندية والفارسية والإنكليزية والعربية إضافة إلى لغته الأم الأوردية، إلا أنه بقي أسير الفهم التراثي للأفكار، نعم كان ظاهري المذهب لكنه ينكر أن «طوق الحمامة» لابن حزم، وينكر أن ابن

حزم قد حلل الفناء. كان يخاصم بشكل متعصب كل من يشكك بعقيدة ابن حزم، وهذه الحالة لازمته إلى وفاته، وقد نقل لي بعض الزملاء أن الشيخ بديع كان يرفض فكرة أن ولده نور الدين، قد توفي في حادث احتلال الحرم، وكان مؤمناً بأن ابنه حي يرزق والغريب أنه يستدل بالآية «وما قتلوه وما صلبوه».

ولو سئلت عمن أفادني في دراستي في مكة، لقلت إنني لم أستفد إلا من شخصين، استفادة حقيقية، وهما: الشيخ بديع والشيخ عبد العزيز بن راشد. أما الشيخ بديع فقد استفدت منه في الدروس التي كان يعقدها بعد صلاة الفجر، وأما الشيخ ابن راشد فقد استفدت منه خلال مذاكرتي معه مصطلح الحديث. حاولت أن أدرس بعض المتون مثل متن السلم في المنطق، وبدأت به فعلاً على شيخ هندي، وعلم عبد الله الحربي بذلك، فكلمني ناصحاً بانفعال لكي يصرفني عن دراسة المنطق، وذكر أن علماء السلف قد شددوا النكير على من يتعاطاه، وأنه مبتدع، وأن عالم المنطق لا يعد في مصاف العلماء، وأن علماءه يجب أن يضربوا بالنّعال، وأنه ليس من علوم السلف.

عبدالعزيز بن راشد

كنت أحرص على قضاء وقتي بعد صلاة العصر في المسجد الحرام، ألتقي خلاله بالشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي، الذي توطدت به علاقتي بعد أن علم أنني من الزبير، وقال لي إنه انطلق من مكة مع عبد

الله القصيمي، وذهبا للزبير للدراسة على بعض مشايخها، وأنهم سكنوا في مسجد الإبراهيم، وبعد شهور تركوا الزبير وتوجهوا إلى الهند، بعد أن زودهم علماء الزبير بخطابات توصية لعلماء الهند، وبعد ذلك تركو الهند، وتوجهوا إلى بغداد، وكان معهم في بغداد عبد الله بن يابس، ثم تركوا بغداد وتوجهوا إلى مصر للدراسة في الأزهر. وأخذ يحكي لي عن حياتهم في مصر وعن أسباب التحولات التي طرأت على فكر عبد الله القصيمي.

كنت أستمتع بحديثه الهادئ وذاكرته القوية، وبعد ذلك أصبحت أقرأ عليه في المصطلح، فما كنت أقرأه في درس الفجر أعيده عليه بعد العصر.رحمه الله. كان رئيفا رفيقا بصغار الطلبة، تنشرح أساريره لهم، كنت أمر عليه بعد كل عصر حتى بعد أن استقر بي المقام في المدينة، وكنت أحرص على زيارته كلما نزلت مكة، وفي إحدى هذه النزلات وجدت عنده شيخاً بشوشاً فقدمني له الشيخ عبد العزيز بقوله: هذا فلان من الإخوان. ثم قال الشيخ عبد العزيز: وهذا الشيخ محمد أمين المصري. فقلت: الشيخ محمد أمين المصري شيخ شيخنا مقبل بن هادي الوادعي؟! فقال: نعم. فقلت للشيخ محمد: لقد سمعت عنك كثيراً، وتمنيت لو كنت درست عليك. فقال: «إن الملأ يأتمرون بكم».

كنت وقتها مطلعاً على ما كان يكتبه بعض المشايخ، وطلبة العلم، ضد الإخوان. فقلت له سيكفينا الله شرهم. هذا الكلام كان قبل الاعتقال الأول بشهور.

لقد رأيت الشيخ عبدالعزيز بن راشد يسعى خلف الشيخ عبد الله بن حميد، ووقف يسأله عن سبب منعه من التدريس والسماح لعلوي المالكي . كان الشيخ قد منع من التدريس في الحرم بسبب أنه ظاهري المذهب، ولمهاجمته للمذاهب الأربعة، وكان يشعر بالمرارة لأنه يحارب في مصر لآرائه في التوحيد وهي سلفية، وكان بعض علماء الأزهر يطلقون عليه اسم الوهابي الخامسي، وكانوا يطلقون على الوهابية الخامسية، وواحدهم خامسي، لأنهم يرون أنهم استحدثوا مذهبا خامساً غير المذاهب الأربعة وهي الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، فلما انتقل إلى بلده المملكة العربية السعودية حورب من قبل علماء المذهب الحنبلي، لأنه ظاهري المذهب، من أتباع ابن حزم، ومنعه الشيخ عبد الله بن حميد، رئيس إدارة الحرمين ورئيس مجلس القضاء الأعلى، من التدريس. توفي الشيخ عبدالعزيز ابن راشد في رمضان 1397هـ - 1977.

الدعوة في القرى والبوادي

كنا في يوم الجمعة، وهو يوم إجازة ، نذهب للدعوة في القرى الموجودة في ضواحي مكة، كان الخطاب الدعوي وقتها يركز على البدع المنتشرة بين أهل هذه القرى، وكان غالبا يتولى هذه المهمة عبد الله الحربي، كنا نصلي معهم الجمعة أو يصلي بهم عبد الله الحربي. ولا توجد قرية قصدناها إلا ووجدنا جماعة التبليغ قد سبقتنا إليها، فهذه الجماعة لها نشاط ملموس بين العامة من أهل هذه القرى، وهم محبوبون عند أهلها

لدماثة أخلاقهم وتواضعهم. ومن الملاحظ أن كثيراً من الإخوان كانوا في جماعة التبليغ أصلا قبل أن ينضموا إلى الجماعة السلفية المحتسبة، أو إلى الجماعة السلفية الموجودة في الكويت، وهناك مقولة متداولة وهي أنه لو قامت الدولة الإسلامية لكان أفراد جماعة التبليغ من عوام دولة الإسلام، والسلفيون من علمائها، و «الإخوان المسلمون» من ساستها. لا أذكر من هو صاحب هذه المقولة، لكني في فترة البدايات كنت معجباً بها، وكنت أرددها خصوصا وأنني كنت وقتها من المتعاطفين مع التقريب بين الجماعات الإسلامية.

تعصب جهيمان لقبيلته

في أحد الأيام زارنا في مكة جهيمان، وبعد أن أدى مناسك العمرة جلس معنا في بيت الإخوان، وكانت الجلسة ذات طابع علمي، ثم طلب مني أن أصحبه في سفرة للدعوة، فوافقت، وكانت هذه أول رحلة طويلة لي خارج مكة. وأذكر أننا زرنا وقتها بعض قرى الحجاز مثل رهاط ومدركة، ثم ذهبنا إلى الطائف. ومنذ تلك السفرة لم أفارق جهيمان في أي سفرة سافرها للدعوة، قبل الاعتقال الأول.

لقد عرفت جهيمان عن قرب من خلال هذه السفرات، وتعلقت به، وأعجبني فيه كرمه وتواضعه ودماثة خلقه وتفانيه في العمل الدعوي، وكرهت فيه تعصبه لقبيلته عتيبة، وذكره لمثالب القبائل الأخرى، وأوقعني هذا الأمر في حيرة شديدة، فجهيمان بالرغم من أنه كان شديداً في خطابه

الدعوي، إلا أنه ضعيف أمام رواسب القبلية عنده، فهو يمحص ويحقق أحاديث الرسول، ويضعُف أمام أخبار قبيلته، ويرويها كأمجاد مسلَّم بها، وإن كان فيها ظلم للآخرين.

من الأشياء التي كثيراً ما سمعتها من جهيمان، وسيكون لها دور في تشكيل أفعاله، قوله: «إن البدو يتميزون بقدرات خاصة لا يتمتع بها الحاضرة، مثل الفراسة وتحمل المشاق». هذا الكلام لم أسمعه بشكل عارض، أو لمرة واحدة، وإنما كان يردده كثيراً. كنت في تلك الفترة مفتوناً بمثل هذه الأفكار، ولكن بعد أن دخلت إلى السجن وخلوت بنفسي، وجدت أنها أفكار سطحية وغثة، ولا تصنع أمة حديثة بأي حال من الأحوال، أتفكر فيما لو وصلت هذه الفئة إلى رأس السلطة ماذا سيكون شكلها.

يخبرني جهيمان أنه ذهب إلى أحد المسؤولين عن الدعوة في دار الإفتاء والدعوة والإرشاد، فلم يقابله هذا المسؤول بتواضع، وكان دائما يردد قصة هذا اللقاء. ثم أخبرني أسامة عواد إبراهيم، وهو مصري قُبض عليه في قضية الحرم، أنه كان مع هذا الشخص الذي يذكره جهيمان دائما، وأن جهيمان في أوائل سيطرته على الحرم وجد هذا الشخص أمامه، فأمر بسجنه في سجن الحرم هو ومجموعة معه، ، وكان موقفه السابق مع جهيمان هو الجرم الذي استوجب سجنه. إنه مثال بسيط على ممارسة رجل على رأس الحركة، فما بالك بممارسات الرعاع والدهماء بعد ذلك.

من المعروف أن جهيمان نشأ في إحدى الهجر، التي أنشئت

لاستقرار البدو والذين عرفوا، في ما بعد باسم الإخوان، «إخوان من طاع الله»، واسم هذه الهجرة «ساجر»، وكان جميع البدو القاطنين في هذه الهجرة من الإخوان، الذين حاربوا مع الملك عبد العزيز بقيادة سلطان بن بجاد، و«كان الإخوان يطلقون عليه سلطان الدين»، ثم تمردوا على الملك عبد العزيز بسبب منهج التحديث، الذي انتهجه الملك، وحاربوه في وقعة «السبلة»، وهُزموا أمامه، واستسلم سلطان بن بجاد للملك عبد العزيز وتوفى بعد ذلك في السجن.

هذه الواقعة ولّدت شعوراً بالغبن عند الإخوان عموماً، وعند أهل ساجر خصوصاً، ونشأ جيل ورث بعضهم الضغينة للحكم القائم والتمرد عليه، فجهيمان مثلا كان يعمل في التهريب من الكويت قبل أن يتديَّن، كما أخبرني أحد المعتقلين معي أنه كان يهرِّب الدخان من الكويت مع جهيمان، ولم يكن الدخان ممنوعاً، وإنما كانت الضرائب عليه باهظة والرقابة عليه شديدة في المنطقه الوسطى، عكس المنطقة الغربية والشرقية، وغالباً كانوا يهربون الدخان لصالح تجار معينين، يوفرون لهم أحيانا سيارات الفورد الحمراء. وقد نجد في شعر الكثير من الشعراء الشعبيين إشارات إلى ذلك.

مثل هذا المحيط المتمرد هو الذي كون نفسية جهيمان بن محمد بن سيف الضان، وجعله لا يدين بالولاء للنظام القائم، في فتراته المبكرة. توفي والد جهيمان محمد بن سيف الضان العتيبي توفي في أوائل السبعينات في حادث دهس سيارة على طريق المدينة، وكان بصحبته في هذه السفرة جهيمان، وأما جده سيف فقد قتل مبكراً في خلاف قبلي قبل السبلة بمدة .

وليس صحيحاً ما جاء في مقدمة رسائل جهيمان (ص 15)، والتي كتبها الدكتور رفعت سيد أحمد من أن جد جهيمان قتل في السبلة، وأنه كان صديقاً حميماً لسلطان بن بجاد، ومن الذين نصحوه بعدم الاستسلام للملك عبد العزيز. ولكن جهيمان كان يرى أن قبيلته قد تقاعست عن أخذ الثأر من ابن سعود، انتقاماً لسلطان بن بجاد، وكثيراً ما كان يصرح بذلك.

تأسيس الجماعة السلفية المحتسبة

في العام 1965 حدثت قصة تعرف بحادثة «تكسير الصور»[5]، في العام الذي تلاه تأسست «الجماعة السلفية المحتسبة» في سنة 1966، حيث اجتمع ستة من الإخوان فوق كثيب رمل في الحرة الشرقية بالمدينة المنورة، كان ذلك مساءً بعد صلاة العشاء، وقرروا أن يؤسسوا جماعة تقوم بأمور الدعوة والتذكير في المساجد والأماكن العامة، كانوا قد خرجوا جميعهم من عباءة جماعة التبليغ، ما عدا واحداً منهم قيل لي إنه من «الإخوان المسلمين»، كانوا غير راضين عن نهج جماعة التبليغ لقلة عنايتها بالتوحيد في دعوتها، كانوا يرونها جماعة متساهلة كثيراً في قضايا الولاء والبراء، وإنكار المنكر، ولا تدعو بهدي من الكتاب والسُّنَّة، وهؤلاء الستة هم: جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي، وسليمان بن شتيوي، وناصر

(5) حيث قامت مجموعة من المحتسبين في المدينة المنورة بالهجوم على استوديوهات التصوير والمحلات التجارية وتكسير تماثيل العرض «المانيكانات»، لأنهم كانوا يرونها منكراً يجب تغييره، وكان من الإخوان من شارك فيها، وهي الحادثة التي كانت السبب في تأسيس «الجماعة السلفية»، كما كان الهدف هو احتواء المتطوعين في جماعة يشرف عليها علماء دين موثوقون من الجماعة ومقربون من الحكم.

بن حسين العمري الحربي، وسعد التميمي، وهناك اثنان لم أدركهما ولم أعرفهما، لأن أحدهما وهو يمني توفي في ظروف غريبة، إذ إنه ذهب إلى الدعوة سيراً على قدميه إلى منطقة بعيدة «يقال إنها منطقة النخيل» شرق المدينة، ووُجد ميتا في أحد الآبار. أما الأخر فقد انفصل عن الجماعة مبكراً، لأنه من «الإخوان المسلمين»، ويبدو أن هذا الشخص كان يطمح إلى تجنيد مجموعة من السلفيين، فاصطدم بمواقف السلفيين الرافضة لفكرة التحزب الحركي، وكان جهيمان يتحدث عنه بصفته شخصاً عمل مع الإخوان السلفيين لهدف معين مخالف لما عليه الخط السلفي. هذا ما سمعته من جهيمان مباشرة.

ذهبت هذه المجموعة إلى الشيخ عبد العزيز بن باز، وأخبروه بقرارهم تكوين جماعة سلفية تنبذ التمذهب، وتدعو إلى التوحيد والتمسك بالكتاب والسُنَّة الصحيحة، وأنهم لا يهدفون من عملهم هذا إلى مطامح دنيوية، وأنهم يعرضون عليه منصب المرشد لهم والموجه، فوافق، وأخبروه أن اسمها سيكون الجماعة السلفية، فقال لهم: بما أنكم تحتسبون الأجر من الله، فليكن اسمها «الجماعة السلفية المحتسبة»، وهذا ما حصل.

لم تكن الجماعة سرية، بل كانت علنية بشكل مبالغ فيه ، حتى إن بعض الأوراق مطبوع عليها اسم الجماعة، وأنا أذكر، في حج سنة 1977 ميلادية، كان بيد حزام البهلول- وهو يمني من الإخوان، ثم تحول إلى «الإخوان المسلمين»- ميكرفون يعلن فيه انطلاق حملة حج الجماعة السلفية المحتسبة.

بيت الإخوان في الحرة الشرقية

ذهبت إلى حرة الشرقية، في المدينة المنورة، حيث كان علي المزروعي وجهيمان، وحيث قيادة الإخوان، وسكنت في بيت الإخوان الجديد، وهو عبارة عن بيت صمم على طراز الأربطة، حيث بني على الطراز العربي، وروعي فيه تعدد السكان. كانت الغرف تتسع لثلاثة طلاب، وهو من دورين في كل دور ثماني غرف محيطة بالفناء، وكان ملحقاً به مسجد، وقد بناه أحد المحسنين، ووضعه بتصرف الشيخ عبد العزيز بن باز، ووضعه الشيخ ابن باز تحت تصرف الإخوان بإشراف أبي بكر جابر الجزائري.

كانت بيوت الإخوان بمجملها في الحرة الشرقية، وقد بنيت بشكل عشوائي على أراضٍ استُملكت بوضع اليد عليها، وكانوا يقومون بالبناء في الليل بعيداً عن أعين مراقبي البلدية، وكان بعضهم يدفع الرشوة للمراقب، الذي يطّلع على عملية البناء غير النظامية، فتمددت الأحياء، وكثرت المباني وسيطر الإخوان على أحياء بكاملها، بحيث لا تجد من يبيع الدخان أو يشربه في هذه الأحياء، كما أن طريقة بناء هذه الأحياء تتيح لمن يضطر للهرب أن يهرب بسهولة، فلكل بيت بابان، أحدهما رئيسي للرجال غالباً، والأخر خلفي للنساء، يفتح الباب الخلفي على عدة بيوت بحيث تأخذ النساء حريتهن في الزيارات المنزلية، ثم استعملت هذه الأبواب الخلفية بعد ذلك للهرب، وقد هرب جهيمان من هذه الأبواب عندما لوحق في الاعتقال الأول، الذي تم في سنة 1398 هـ 1978. وذلك حديث أخر سنأتي عليه لاحقا.

تسللتُ لبيت جهيمان، وكان تحت المراقبة، والبيت خالٍ في أوائل سنة 1399 هـ 1978 لاستعادة أوراقي الثبوتية من الباب الخلفي، وقبل ذلك بمدة وجيزة أخرجنا بعض كتب جهيمان من الباب الخلفي أيضا، وكان معي عبدالله الحربي، كل ذلك تم والبابان الرئيسيان الواقعان على الشارع مراقبان، ولم يتنبه أحد إلى وجود باب آخر، وحقيقة هم معذورون أي القوات الأمنية فلبيت جهيمان ثلاثة أبواب، اثنان منها على شارعين، والثالث يفتح على زقاق ضيق لا يسع المشي فيه إلا لشخص واحد، وهو الذي تستعمله النساء في تنقلاتهنَّ بين بيوت جاراتهن، وهو الذي دخلنا منه.

كان جدولي اليومي في المدينة مزدحماً، فاذا لم أكن مع جهيمان في رحلاته الدعوية، فغالبا كنت أدرس على علي المزروعي في كتاب «الرفع والتكميل»، أو «بلوغ المرام»، أوعلى مقبل ابن هادي الوادعي، وكنت أدرس عليه أصول البحث والتخريج.

تسرب الفكر التكفيري

ثم قرأت على فيصل محمد فيصل كتاب «الإيمان» لابن تيمية، وقد تكثفت القراءة في هذا الكتاب بعد أن تسلل الفكر التكفيري لبعض عناصر الإخوان، ولذلك سبب، وهو أن الإخوان قد التقوا ببعض الأفراد من جماعة التكفير والهجرة المصرية، جماعة مصطفى شكري المعروفة بين عناصرها باسم «جماعة المسلمين»، فطرحوا بين الجماعة قضايا الحاكمية والموقف من الحكام وفعَّلوها، وكان على رأسهم شخص عرف

بيننا بعبد الله المصري، وآخر اسمه أسامة القوصي، قدما للعمرة ثم تخلفا عن السفر، وجلسا، ثم استمالا معهم عدداً محدوداً من طلاب الجامعة الإسلامية من مصر، وبعض الطلاب اليمنيين.

كان فيصل محمد فيصل قد مر بمثل هذه الأفكار، وتبناها من قبل، وتحديداً في سنة 1977، حتى إنه ترك سكنى المدينة ونصب له خيمة مع عائلته في منطقة برية في الضواحي المدينة، وكان معه عصام شيخ، وانضم إليهم أحمد الزامل بعد ذلك، ولكنه لم يواصل معهم، وعاد للسكنى بين الإخوان في الحرة الشرقية. ثم عاد عصام وفيصل إلى المدينة.

كانت هذه الأفكار، التي بات يحملها فيصل، تؤرق مضجع جهيمان الذي لم يكن راضياً عنها، وصادف في أحد الأيام أن زار المدينة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، فعرض له جهيمان المشكلة مع فيصل، فطلب الألباني لقاءه، وفعلاً تم لقاء في بيت فيصل محمد فيصل، بترتيب من جهيمان، وحضره يوسف أكبر، وجهيمان، وفيصل محمد فيصل، وعصام شيخ، والشيخ الألباني، وتم الحوار حول مسائل الحاكمية والفكر التكفيري، وعلاقة هذه الأطروحات بفكر الخوارج، وأن الكفر أنواع واستشهد الشيخ الألباني بكلام علماء السلف، مثل: أحمد بن حنبل، وابن تيمية، وابن القيم وغيرهم، وسجل يوسف أكبر هذه الجلسة على شريط كاسيت، وأثناء خروجهم من بيت فيصل أخذ جهيمان هذا الشريط على سبيل الاستعارة، حال خروجهم من بيت فيصل مباشرة، ولم يرجعه، ولم يُطلع عليه أحداً، وعلمت بعد ذلك من يوسف أكبر أن جهيمان قد أتلفه مباشرة. كانت وجهة

نظر جهيمان أن مشايخ السلطة يبحثون عن مثالب الإخوان، وهذا الشريط يعزز التهمة بأن الإخوان يحملون فكر الخوارج.

على كل حال خرج فيصل، بعد هذا اللقاء، بفكر جديد حول قضايا التكفير والإيمان، كانت أكثر اعتدالاً، داعياً إلى قراءة كتاب «الإيمان» لابن تيمية لتحصين الجماعة من الفكر التكفيري، وكان خير من يقرأ عليه كتب ابن تيمية هو فيصل محمد فيصل ، كان الإخوان السلفيون يطلقون على فيصل محمد فيصل، ابن تيمية الصغير لحفظه فتاوى ابن تيمية وآرائه وتدريسه لها.

نزلاء بيت الإخوان

كان معي في بيت الإخوان، في تلك الفترة، أحمد حسن المعلم، وهو شاعر الجماعة من اليمن، وهو أهم شخص في بيت الإخوان، بل يكاد أن يكون المسؤول عن بيت الإخوان، كما أنه عضو في مجلس إدارة الإخوان، وكان يدرس في الجامعة الإسلامية، ومقرباً جداً من جهيمان، حتى إنه هو الذي صاغ رسائل جهيمان، وقام بتصحيحها مع محمد عبد الله القحطاني، المهدي المزعوم بعد ذلك، وكلاهما شاعر. وكان معي يوسف أكبر، وهو شاب من جدة، يدرس في كلية البترول والمعادن، ثم ترك الدراسة فيها. وكان معنا أيضاً عيد الشابحي، وأحمد بن محمد عبد الوهاب البنا. سألت أحمد: هل لهذا الأخير علاقة بحسن البنا؟ فقال إنه تشابه أسماء وليس لهم صلة بحسن البنا مؤسس جماعة «الإخوان المسلمين»، وإنهم من قرية

أخرى غير قرية حسن البنا..

أما والده الشيخ محمد عبد الوهاب البنا فمن مصر، من جماعة أنصار السُنَّة المحمدية، سكن المدينة وحصل على الجنسية السعودية، ثم منع من سكنى المدينة المنورة لمشاركته في حادثة تكسير الصور كما تقدم، فسكن جدة، كانوا مسجلين في الجامعة الإسلامية، وجميعهم تركوا الدراسة فيها ما عدا أحمد البنا، الذي أكمل في الجامعة الإسلامية، وأحمد هذا هو أول من سمعت منه عن جماعة شكري مصطفى، «التكفير والهجرة»، وأخبرني أنه تأثر بفكرهم قبل فترة وجيزة، وأنه كان يتبنى أطروحاتهم. حتى إنه لم يكن يصلي خلف أبيه في جدة، وقد التقى بهم في العطلة الصيفية إذ كان يقضيها بين أقربائه في مصر، وحينما عاد إلى جدة توقف عن الصلاة خلف أبيه، لأنه متوقف فيه حتى يتبين له إسلامه، ثم ناقش والده في هذا الأمر فأقنعه والده بخطأ ما يعتقد ويقول، فعاد عن رأيه.

أما عيد الشابحي فاندمج في الدعوة السلفية حتى النخاع، ثم تزوج بأخت محمد عبد الله القحطاني، ثم دخل الحرم مع من دخل. أما يوسف أكبر فترك الجامعة واندمج مع الإخوان، ثم اعتقل في قضية توزيع رسائل جهيمان، قبل دخول الحرم بفترة وجيزة. والغريب أن يوسف كان يعتقد أن محمد بن عبد الله القحطاني لم يمت، وإنما حُصر، وكان يجاهر بهذا القول، وهو في السجن، وهو أمر غريب. وكان معه على هذا الرأي الفلسطيني عبد الرحمن حمودة.

من الذين عاشرتهم في بيت الإخوان، وفي السجن بعد ذلك خالد الشريمي، وحقيقة لم أجد أحداً عنده نكران للذات، وسعي دائب في خدمة الإخوان مثله، في الفترة الأخيرة، وقبل الانشقاق الأول، والذي خسر بسببه جهيمان وجناحه بيت الإخوان. كان بيت الإخوان يستقبل مجموعة من المرتادين للمدينة والمعتمرين المخالفين لنظام الإقامة، وكانوا بمجملهم من مصر وأغلبهم من الجماعة الإسلامية، من طلاب الجامعات المصرية، واتضح، لاحقاً أن بعضهم من جماعة الجهاد، وبعضهم من جماعة التكفير والهجرة، أو لهم علاقة بها. وكان أكثر ما يثار وقتها بينهم هو موقف السلفيين من سيد قطب، وموقفهم من تكفير الحاكم، وموقفهم من العمل لدى الدولة، وكانت تحدث سجالات طويلة عريضة بينهم وبين السلفيين من أصحاب البيت، حتى وصلوا إلى الشقاق والخلاف إلى درجة أن بعضهم صار يصلي جماعة أخرى، بعد صلاة الجماعة السلفية، هذا في حال إذا لم يتقدم أحد منهم للإمامة.

وعلمت، في ما بعد، أنهم لا يرون الصلاة خلف من بينوا له منهجم، ولم ينضم إليهم، ويتبنى أفكارهم. كانت مجاميعهم تذهب وتجيئ إلى بيت الإخوان السلفيين، ولم يشعر الإخوان بأي خطر تجاههم، واعتبروا خلافهم معهم خلافاً في الرأي لا يستدعي الشقاق، وأنهم مجتهدون. كان منهم شاب اسمه ماهر وهو مصري سبق وأن حاز على بطولة مصر في الكراتيه للناشئين، كان يدرب بعضهم على الكراتيه فوق سطح بيت الإخوان، وكنت أنضم إليهم في التدريب أحيانا، ولم نكن نشعر بنفرة منهم، وكان بعضهم يعمل عند عيد الشابحي.وذلك أن عيداً بعد أن ترك الدراسة في الجامعة الإسلامية، اشترى له حفاراً «كومبريشن»، وأصبح يعمل في الحفر، وكان

السوق عليهم كريماً والطلب جيد، وكان بعض عماله من المصريين من مخالفي أنظمة الإقامة، ممن يأتون للعمرة أو الحج في الحفر باليومية.

صدام الجماعة مع الفقهاء

في عام 1978 بدأت الأزمة تشتد بين المشايخ والإخوان «الجماعة السلفية المحتسبة». بدأت هذه الأزمة منذ عام 1976 حينما أفتى علي المزروعي في الحرم المكي في رمضان بجواز الأكل بعد أذان الفجر، لأن الأذان لا يدل على دخول وقت الفجر المنهي عن الأكل فيه في رمضان، وإنما يدل على دخول وقت صلاة الفجر، وتبع ذلك حوار وجدل جر إلى التعريف بموقف الإخوان من الرأي والتشدد في نبذ التمذهب واتباع المذاهب الأربعة. كان هذا الخطاب وقتها جديداً، وغير مطروق على المستوى العام، ولم يكن المشايخ الذين ناقشوا علي المزروعي مستعدين للإجابة على أسئلته، التي أوردها عليهم بخصوص الاجتهاد والتقليد.

كان الوضع أشبه بالمفاجأة غير المحضر لها وغير المنتظرة، وأظهرت المناقشات وقتها مدى جمود أغلب المشايخ وطلاب العلم على متون الفقه الحنبلي، وبعدهم عن كتب السنة وعلم الحديث ومصطلح الحديث. وكان من النادر أن تجد من يملك أدوات تخريج الحديث وتحقيقه. هذه الجلسات كانت السبب في منع علي المزروعي من التدريس في الحرم، وهي السبب بعد ذلك في وضع الإخوان موضع الملاحظة الدقيقة من قبل جمهور المشايخ، في تلك الفترة خصوصا. كما أن بعض المنتسبين للإخوان كانوا لا يستفتون شيخا إلا ويطلبون منه الدليل، فإذا جاء بالدليل من السُنَّة سألوه هل هو صحيح أو ضعيف، ومثل هذه الأسئلة يضيق بها صدر المفتي

المقتصر اطلاعه على «زاد المستقنع» في الفقه الحنبلي، وهم الأغلبية.

لقد كسر الإخوان حاجز الهيبة بين المفتي والمستفتي، وكانوا عاملاً في كسر احتكار العلم الشرعي لفئة من الفقهاء وأساتذة الجامعات. يمكن القول إن الإخوان (جمهروا) العلم وجعلوه شعبياً، وبثوا روح المحاججة بين العوام، ومثل هذا الأثر سيكون له مردود سيئ على مسلك عوام المتدينين، وظهر أثره على عوام الصحوة بعد ذلك من خلال المواقف والأراء، وبعد أن كان العلماء يحتكرون التأثير على العامة، أصبح العامة يحركون العلماء نحو أهدافهم، أي أصبح التأثير متبادلاً بينهم.

كما أن من الأمور التي نفرت قلوب المشايخ من الجماعة السلفية هو تبنيهم بعض الفتاوى، مثل القول بأن «الصلاة خير من النوم»، تكون في الأذان الأول من الفجر وليس الثاني، وهو المعروف با «التثويب»، وأخذوا يؤذنون به في مسجد الإخوان في الحرة الشرقية في المدينة والمساجد التي يسيطرون عليها. وكذلك مسألة بدعية المحاريب، وأنها لم توجد إلا بعد عصر النبوة، فأغلق بعضهم المحراب الموجود في مسجده، وأصبح أغلب أئمتهم لا يصلون فيها لقناعتهم بأنها بدعة، ومنها صلاة بعض صغار طلبة العلم من الجماعة بالنعال في المسجد النبوي، وقد استفز ذلك العامة عليهم. كل هذه الأشياء جعلت المشايخ الحنابلة يرمونهم بالشذوذ والتنطع في الدين.

هذه الأشياء حدثت قبل عام 1978، وكان جهيمان يتبناها.

انشقاق داخل الجماعة

كما أن وحشة حصلت مبكراً بين جهيمان واثنين من مؤسسي الجماعة، وهما: سليمان بن شتيوي، وسعد التميمي، وسببها أن جهيمان تفرد بالجماعة وأصبح يستبد بقراراتها، مثل دعوته إلى إعلان البراءة ممن يسئ لخط سير الجماعة الدعوي. كان سليمان وسعد يعملان مدرسين موظفين في الحكومة، و كان جهيمان ضد الوظائف الحكومية، وضد التعليم الرسمي، وكان يعلن لهم، بشكل مباشر وغير مباشر، موقفه هذا، فنفروا منه كما نفر منه فالح بن نافع الحربي بعد تخرجه من الجامعة الإسلامية، لأنه عمل في الحكومة. علماً أن فالح صمت عن هذا الموقف من الوظائف، ومن ممارسات الإخوان طيلة الفترة التي كان يدرس فيها طالباً، وكانت الجماعة تساعده ببعض الإعانات المالية، ثم لما توظف بدأ يعترض على الممارسات الشاذة والاستفزازية، التي كان يمارسها الإخوان، وأصبح يتودد للعلماء والمشايخ، وطرد بعد ذلك من بيت فيصل محمد فيصل، بعد نقاش حاد بينه وفيصل وعصام شيخ.

كانت تلك السنة ساخنة بمعنى الكلمة، وعقد اجتماع تحدث فيه الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، وبحضور مجموعة من المشايخ، وحضره من الإخوان: ناصر بن حسين، وأحمد حسن المعلم، وسعد التميمي، وفالح بن نافع، وأحمد الزامل، ومن كان ساكنا في بيت الإخوان مثلي. وملخص تلك الجلسة هو التبرؤ من الأفكار الشاذة، التي ذكرناها قبل، وأنه يجب أن يؤذن بالصلاة خير من النوم في الأذان الثاني، كما هو المعمول به في السعودية وفي الحرمين، وأن من لم يعجبه ذلك يخرج من بيت الإخوان، تقررأن الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، نائب المرشد الشيخ عبدالعزيز بن باز، هو الذي سيتولى الإشراف المباشر على البيت، وفعلاً أصبح يأتي نسيب الجزائري

فيؤذن في مسجد الإخوان في الأذان الأول والثاني لصلاة الفجر ويؤم فيه.

أما نحن فقد تركنا بيت الإخوان واحداً تلو الأخر، ولم يبق في البيت ممن ذكرناهم أحد. هذه الواقعة تعتبر أول انشقاق بين صفوف الإخوان بشكل جماعي، وانحاز هنا أغلب الإخوان، وبشكل واضح إلى صف جهيمان، وأصبح هو القائد المطلق لجميع أفراد الجماعة، وأصبح بيته مكان تجمع الإخوان، علماً أن جهيمان قد كثف من رحلاته الدعوية، في هذه الفترة، وأنا كنت معه في أغلبها، زرنا خلالها جميع مناطق المملكة، ويبدو أن هذا الاجتماع لتبرئة النفس أو للتبري من الجماعة، أكثر منه سعياً صادقاً لتصحيح الخط المتطرف للجماعة، وإلا ما معنى أن يجتمع مجموعة من المشايخ بمجموعة من الشباب، محدودي العدد والأهمية، ويقرروا سحب البيت من الإخوان، وهل الإخوان هم بيت الحرة فقط؟!

كان وقتها في كل بلد بيت، في الرياض وجده ومكة والطائف ورنية وحائل والإحساء، كل هذه المراكز لم تعلم بالاجتماع، وحين علمت دانت بالولاء لجهيمان. لم يكن لهذا الاجتماع أي فاعلية في تصحيح أوضاع التنظيم، بل بالعكس زادت الأمر سوءاً، ووضعت جهيمان موضع القائد الفعلي والمطلق. على كل حال كان هم الجزائري الأول هو الخروج من ورطة قيادة هذه الجماعة العصية على التطويع من قبله؛ إذ لم يكن له فيها إلا اسم المرشد.

أما العمل التنظيمي الفعلي والأفكار فكانت بيد جهيمان، وكما قلت تكثفت رحلات جهيمان وتكثف خطابه ضد الدولة والوظائف

الحكومية، وأصبح من العيب أن تكون من الإخوان، وأن تعمل في الدولة، وامتد الخطاب المعادي للوظيفة إلى الدراسة في مدارس الحكومة، وسادت قناعة بين هذه الفئة بأن العلم الشرعي يمكن تحصيله عن طريق الكتب والمشايخ، واشتد النكير على من يحرص على العلوم البحتة، لهذا انضم للجماعة مجموعة من المراهقين الهاربين من أهاليهم، بسبب الدراسة بشكل رئيسي، وبذريعة وجود الفتن في بيوت أهاليهم، مثل التلفزيون والصور وآوتهم الجماعة في كل مكان.

هروب جهيمان

في أحد الأيام صليت الظهر مع جهيمان، في المسجد القريب من بيته كالمعتاد، ثم تغدينا وجلسنا في الحوش الخارجي جهة مدخل الرجال، والذي يفتح على الشارع نشرب الشاي ونبحث في أحد الكتب، وإذا بجمس أحمر عليه شعار إمارة المدينة ورجل ينادي: «يا أبو هذال»، وهذال هو أكبر أبناء جهيمان، فخرج له جهيمان وتحدث معه لدقائق، ثم سار الجمس وعاد جهيمان متغير اللون، وقال لي: إن هذا رجل من الجماعة يعني أنه من قبيلته، وقد أخبرني عن وصول برقية من الرياض إلى الإمارة بأسماء مجموعة سوف تعتقل هذه الليلة»، وأن جهيمان على رأس القائمة، وأن طريقة القبض عليه كانت بالترتيب مع شخص لم يشاهده جهيمان من قبل بأن يقوم بمصافحته بعد صلاة العصرلتأكيد هويته.

صلينا العصر وسلم عليه رجل لم نشاهده من قبل في الحرة

الشرقية، ووقف معه وكأنه يسأله في مسألة فقهية، ثم عدنا سويةً إلى البيت، وبلغ مجموعة من الإخوان بالخبر، ثم خرج جهيمان يتحدث مع دهام العنزي، ثم عاد وقال: هل تريد أن تخرج معي حتى انجلاء هذه الغمة؟ فوافقت وركبت أنا وهو في وانيت دهام، وانطلقنا بعد العصر وتجنبنا الطرق المسفلتة وسلكنا طرقاً برية، حتى لا نتعرض لنقاط التفتيش إمعانا في الحذر، وسلكنا طريقاً برياً يعرفه دهام جيداً، وتوغلنا في الصحراء، وحقيقة لا أذكر الطريق الذي سلكناه إلا أننا سلكنا طريقاً يقع شرق شمال المدينة، وقضينا ثلاث ليالٍ في الصحراء، واصطدنا بعض الضبان وطبخناها وأكلناها، إلا أن جهيمان كان يعيش لحظات قلق، وكان يريد أن يطلع على أخبار الاعتقالات، وهل تمت بالفعل، ومن اعتقل من الجماعة.

اقترح دهام أن ننزل على عبيد وعابد، وهم من الإخوان من أهل المحلاني في الشمال الغربي من القصيم على طريق المدينة المنورة، وكانوا بادية يرعون غنمهم ويسكنون الخيام، فتوجهنا إلى مخيمهم شمالاً، وسأل دهام عنهم بعض البدو القاطنين في بيوت الشعر، واستطاع العثور عليهم، وأبلغ عبيداً وعابداً بالأمر، ولم يكن عندهم علم بالتطورات الأمنية، وطلب جهيمان ألا يتردد اسمه بينهم، وفعلاً أصبحنا نناديه بـ «أبو محمد»، وطلب من عبيد أن ينزل للقصيم، لكي يأتي بالأخبار.

نزل عبيد للقصيم، وبقينا نحن مع عابد ننتظره، وحقيقة كانوا أناساً كرماء قليلي الأسئلة، يعلمون أبناءهم في الصحراء القرآن والكتابة والقراءة بكل جدارة، ويتبعون في التعليم مصطلحات البيئة المحيطة بهم

نفسها، من غير تكلف أو افتعال، وهم يميلون للزهد والتقشف في حياتهم ومعاشهم، معهم أغنامهم، ووانيت يجلبون به الماء لهم ولأغنامهم، معتزلين بذلك المدن لأنهم يرون أن الفساد والفتن قد كثر فيها وعم.

انتظرنا عدة أيام حتى عاد عبيد من القصيم محملا بالأخبار، وأبلغنا عمن اعتقل في جميع مناطق المملكة، وكانوا خمسة وعشرين تقريباً، منهم علي المزروعي، ومقبل بن هادي الوادعي، وسليمان بن شتيوي في المدينة المنورة، والشيخ بديع الدين بن إحسان الله شاه الراشدي، وعايض بن دريميح في مكة المكرمة، ومحمد الحيدري، ومحمد عبد الله القحطاني، (المهدي)، في الرياض، وعمر العليط في بريدة، وردن في ساجر، وكان البحث جارياً عن جهيمان، وكانت مزرعة أخيه نايف مراقبة على مدار الساعة، وكذلك كان أحمد حسن المعلم مطلوباً ولم يقبض عليه.

أتتنا هذه الأخبار فأصبنا بوجوم، وخصوصاً جهيمان الذي كان قلقا على أمه، وبعد أيام قال لي جهيمان: أنت لست من المطلوبين، والأفضل أن ننفصل، فاخترت البقاء مع عبيد ضيوفاً عند علي الحضيني في مزرعته في قرية العمار جنوب القصيم، والتي تبعد عن ساجر مسقط رأس جهيمان تقريبا مئة كيلو شمالاً. وكان سبب نزول عبيد هو طمأنة أم جهيمان عن طريق علي الحضيني، وجدت عند علي الحضيني أحمد الزامل ومطلق بن سهل، وأخبرنا علي بأن ساجر جميعها مراقبة، وأن هناك مراقبة على بيت نايف، الأخ الأكبر لجهيمان، على مدار الساعة، وأن الأمن قد نصبوا خيمة في مزرعته يراقبون منها.

ركبنا في وانيت جمس نحن الثلاثة، مع أحد معارف مطلق،

وانطلقنا نحو ساجر بعد العصر، كنت أنا وأحمد الزامل في حوض الجمس، ومطلق مع السائق، وعند اقترابنا من ساجر حصل لنا حادث تصادم مع وانيت تويوتا، ونزلنا نشاهد الحادث، ووصل الأمر إلى أنهم طلبوا من أحد المارة تبليغ الدوريات عن الحادث، وركبنا نحن الثلاثة، مع هذا الشخص، حيث أنزلنا في ساجر وبقي معه مطلق. أما أنا، وأحمد الزامل، فقد مشينا مسافة حتى وصلنا إلى الشعيب، ونزولاً عند اقتراح أحمد بقينا في الشعيب حتى حل الظلام، ثم توجهنا إلى بيت أحد الإخوان، وهو مدوخ العتيبي، وكان هو وأخوه مشعل من الإخوان، وبتنا عنده ليلتنا، ثم توجهنا في الصباح الباكر إلى الرياض فدخلتها بعد اعتقال الإخوان بخمسة عشر يوما تقريبا.

السجن في سبيل الدعوة

كان الجو العام ما بين ساخط ومتعاطف. كانت هذه الاعتقالات الجماعية هي الأولى من نوعها في المملكة وقتها إذ لم يحدث أن اعتقلت جماعة إسلامية أو تنظيم إسلامي من قبل، ومن الأسباب التي لمستها في سبب ابتهاج الشباب السلفيين، أنه أصبح لهم صلة بالمعتقلات التي كانت حكراً على «الإخوان المسلمين»، وكما قال أحد الإخوة من السلفيين: لم يعد أحد أحسن من أحد، فكما أن من بين «الإخوان المسلمين» من دخل المعتقلات، فعندنا نحن الجماعة السلفية الآن من دخل المعتقلات في سبيل الدعوة إلى الله.

كانت الرياض بجماعاتها الإسلامية تموج بالأسئلة، التي تبحث عن إجابات، وعن مصير المعتقلين، وعلمت عن طريق أحد الإخوان

السلفيين، أن هناك وساطات من قبل بعض المشايخ قد تحركت، وبعد أسبوعين دُعينا إلى اجتماع عام نظمه أحمد المعلم، في البرِّ على طريق الرياض المجمعة، وحضره مجموعة كبيرة من الإخوان، وتكلم أحمد حسن المعلم عن الذي حصل مع السلفيين من اعتقالات، وأن هذا إبتلاء من الله ليختبر عباده.

كان أحمد المعلم هو أكبر قيادي في المجموعة، فهو عضو مجلس الشورى في الجماعة، وهو الذي بقي مع جهيمان منهم. وأثناء ما كان أحمد المعلم يتكلم والإخوان منصتون لكلامه، وقفت إلى جانب المجموعة سيارة وانيت، ونزل منها محمد الحيدري، أمير الإخوان في الرياض، وهو من الذين اعتقلوا، وأخبرنا أن الإخوان أطلق سراحهم، وطلب منا أن نفض هذا الاجتماع، وأنه أخذ عليه تعهداً بعدم التجمع والتحزب. وفهمنا من كلامه، أنه لم يعد منضماً إلى الإخوان، وحقيقة كان موقفه شجاعاً في تلك اللحظة وتلك الظروف، ولم أقابله بعدها في أي مكان حتى هذه الساعة.

وهكذا أصبحنا بعد ذلك نستقصي أخبار من اعتقل وأفرج عنهم، وعلمنا أن مقبل بن هادي الوادعي قد أفرج عنه مع الإبعاد عن المملكة، وسمحت له الحكومة أن يناقش رسالته للماجستير ثم يسافر بعدها، وقد كان ذلك بعد شهرين تقريباً من خروجه من السجن، وقد حضرت مناقشة رسالته في الجامعة الإسلامية، وكانت في كتاب «الإلزامات والتتبع للدارقطني». في تلك الفترة انتعش حال الجماعة السلفية، وانضم إلى صفوفهم مجاميع من الشباب حتى إن بعض من تحول من «الإخوان المسلمين» إلى الإخوان السلفيين أصبح ملء السمع والبصر بين الناس، فالاعتقال صنع منهم أبطالا، وصبغهم بصبغة مغناطيسية فكان الجميع

ينجذب إليهم، ومن لم يكن مقتنعا بأفكار الجماعة كان يدفعه الفضول لمتابعتها ومتابعة أفكارها، وزاد هذا الأمر، وبوتيرة متسارعة، بعد توزيع أول رسالة كتبها جهيمان ويلخص فيها أفكاره كما سيأتي.

في هذه الفترة توطدت علاقتي بالشيخ عبد العزيز بن باز، عن طريق خالد الشريمي، فطلبنا منه أن يعمل لنا درساً في سنن الترمذي، وقد كان ذلك فأخذنا ندرس عليه بعد صلاة الفجر أنا وخالد الشريمي وعبد العزيز السدحان، إضافة إلى طلاب علم آخرين يقرأون على الشيخ كتباً أخرى، وكنت أحضر تجمعات الإخوان في بيت الإخوان أو في بيت أحدهم.

رسائل الجماعة

في أحد الأيام التقيت بعبد اللطيف الدرباس، وهو من الإخوان، الذين أعرفهم بشكل جيد ويحمل الجنسية الكويتية، وقد أحرق أوراقه الثبوتية مبكراً وسكن المدينة، ثم اتخذ له خيمة في الصحراء، وبالرغم من أنه حضري أصلا إلا أنه يمجد حياة البداوة بشكل فيه جلافة متكلفة، وهذه طبيعة الطارئين على التحول سواء كان دينياً أو اجتماعياً، حيث تجدهم لاهثين لإثبات جدارتهم بالموقع الجديد، الذي وصلوا إليه. وقد ذكر لي عبد العزيز السدحان أنه كان في مخيمهم في الكويت، وكان معه عبد اللطيف الدرباس، وقد وضع الفطور وكأن أحدهم استنكف أو اشمأز من الطعام، فقام الدرباس كرد على هذا الشخص بذر التراب في الفطور، وقال لهم: كلوا. فرد عليه عبد العزيز السدحان بأن هذا مخالف للسُنَّة. فقال له: ما دليلك! فذكر له قول الرسول للذي وقعت منه التمرة «أمط

عنها الأذى وكل» فسماه أذى، فقال له الدرباس أنتم تريدون أن تلبسوا علينا ديننا!

على كل حال ذكر لي عبداللطيف الدرباس أن جهيمان قد ألف رسالة عنوانها «رفع الالتباس عن ملة إبراهيم عليه السلام»، وأنه سيطبعها في الكويت، وأنه أي عبد اللطيف ذهب بها إلى دار القبس أولاً، فطلبوا مبلغاً مرتفعاً، ثم ذهب بها إلى دار الطليعة ذات التوجه اليساري، وحينما أخبرهم الدرباس بملابسات تأليفها، وأن مؤلفها مطارد من قبل الأمن السعودي، تحمست الدار وطبعتها بسعر التكلفة، أي أقل من الريال للنسخة، علما أن دار القبس طلبت منهم ثلاثة ريالات تقريبا للنسخة. طُبعت الرسالة وطلب الإخوان من دار الطليعة أن لا تذكر اسم أو مكان المطابع ، وهذا ماحصل، وطبعت الرسالة والرسائل الأخرى بعد ذلك في الدار نفسها.

حصلت بعض الأخطاء الخطيرة، مثل أن بعض الطبعات ذكر فيها اسم دار الطليعة ومكان الطباعة الكويت في ذيل الغلاف، فعمد الإخوان إلى قص الاسم بالموس من جميع النسخ، والسبب في حرصهم على عدم ذكر اسم المطبعة أو مكان الطباعة، هو أنهم حريصون على تأمين الطرق البرية الترابية بين الكويت والسعودية، عن طريق حفر الباطن، والتي يسلكها مهربو الرسائل من الكويت إلى داخل المملكة، وكذلك مرور الإخوان الذين لا يحملون أوراقاً ثبوتية أو جوازات إلى الكويت ومنها، وكانت الأغلبية العظمى من الإخوان قد أتلفت أوراقها الثبوتية لأنهم يحرمون الصورة الضوئية واستخداماتها، ولموقفهم من الأنظمة القائمة، إذ يرون أن وضع

الحدود بين الدول وتقييدهم بجوازات المرور هو من حكم الطاغوت، ومما لم يأمر به الله، والأولى بالمسلم عدم الامتثال له، بل الأولى مخالفته.

وبعد مدة جاءني عقاب العتيبي وقال لي:» إن مطلق بن سهل يريد أن يراك، وفعلا توجهت لساجر مع أحد الإخوان، ووصلت لساجر، وتوجهت لمزرعة مطلق، وهناك وجدت عنده شخصاً مشكوكاً بصدق انتمائه إلى الجماعة، وتدور الشكوك حوله بأنه عين للمباحث، وكان عند مطلق بعائلته أظن أن سمه أحمد اللهيبي، وأخذني مطلق جانباً وأسر لي: أن جهيمان يريد أن يراني وسنرتب لك اللقاء به، في ما بعد، هو الآن غير موجود، وبعد ليلتين أيقظني مطلق من النوم، وكانت الساعة الثانية تقريباً، وقال لي: تعال وذهبت معه في الجمس لبيت عقاب، وفي الحوش الخلفي وجدت عقاب وعيد الشابحي وحامد الأحمدي يتسامرون، وبعد السلام جلست معهم نتجاذب أطراف الحديث.

وبعد ساعات جاء جهيمان، وبعد السلام والتحية دخلنا إلى إحدى الغرف الكبيرة، وجلسنا على بساط، وكانت الغرفة ملأى بأكياس حمراء إلى سقفها، ظننتها أولاً أكياس بصل، وبعدها علمت أنها رسالة «رفع الالتباس». ورأيت مع جهيمان نسخة منها وأختاماً بمقدار السطرين كان يراجعها، ثم قال لي: إن هذه الرسالة قد قرأت على الشيخ عبد العزيز بن باز، وقد أضاف لها فقرة، بعد طباعتها فرأوا أن يضيفوها في المكان المقرر لإصرار الشيخ عبد العزيز بن باز عليها، لهذا صنعت أختام بهذه الفقرة لأنه ليس من السهل إعادة طباعتها، فجلست أتحدث معهم وشاركتهم في وضع الختم على النسخ المعدة للتوزيع .

قال لي جهيمان: من الضروري أن تعتمر، وتحث الإخوان في الرياض على العمرة في رمضان هذه السنة، لأنك ستستلم الكمية التي ستوزع في الحرم ليلة سبع وعشرين، وستجد الإخوان أمامك. ثم استأذن وانصرف، وبعد ذلك جاء مطلق وأخذني إلى مزرعته، ومنها عدت إلى الرياض، وأخبرت بعض الإخوان الذين أثق بهم، واعتمرت في رمضان ووجدت الإخوان قد استأجروا عمارة كاملة بعوائلهم، وفي الدور الأرضي وجدت كمية كبيرة من أكياس البصل الحمراء في إحدى الغرف، وحينما حلت علينا ليلة سبع وعشرين أخذت الكمية المتفق عليها إلى الحرم، وكانت هناك كمية أرسلت إلى الطائف، إلى جدة، وكمية ذهبت إلى المدينة مبكراً، ووزعت الكمية على الإخوان النازلين إلى الحرم، وخزنّا كمية في خلوات المسجد مبكراً، وفي الركعة الأخيرة قمنا بتوزيعها أمام المصلين، وفي التوقيت نفسه تم ذلك في جميع أنحاء المملكة، وكانت تحمل اسم جهيمان الصريح.

كان هناك شباب تبرعوا بتوزيع الرسالة، وهم ليسوا من الإخوان، وأكاد أجزم أن هناك مجموعة ساعدت في التوزيع، وهي تجهل ماذا توزع ومن هو جهيمان، وبعد صلاة الفجر جلست في الحرم، فوجدت الناس يتصفحونها ثم عدت إلى الرياض، وكتب الشيخ بديع بن إحسان الله الراشدي رداً على الرسالة يقول فيه:» إن ملة إبراهيم ليس فيها التباس، أظنه نشر الرد في جريدة «الندوة»، فانفض من حوله الإخوان، وهذا مما سرع بعودته إلى وطنه الباكستان.

عبدالعزيز بن باز وجهيمان

في هذه الفترة انتظمت أكثر في دروس الشيخ عبد العزيز بن باز، وأصبحت أشعر أن أمر الإخوان في طريقه إلى الفوضى، فحاولت أن أنظم نفسي، وفي أحد الأيام مرَّ علينا في الرياض أحمد الزامل، وطلب مني مرافقته إلى الطائف، وكان معه عائلته، واستأجر بيتاً في الطائف، وذهبت معه من غير أن أستفسر، لأنني أعلم أن جهيمان هو من طلبني، وذهبت معه، وهناك لم ألتق بجهيمان إلا بعد ثلاثة أيام، وبعد السلام عاتبني جهيمان عتاباً شديداً، وقال لي: ماذا تريدون من الشيخ ابن باز، هذا الشيخ قد فقد بصره وبصيرته، وأنتم تلتفون حوله، هذا من شيوخ آل سعود، وقد حذرنا منه الشيخ الألباني في جلسة خاصة مشافهة، حيث قال: «إن الشيخ ابن باز من الممكن خداعه بسهولة، فلا تعولوا عليه في القضايا التي تمس بأمن الجماعة، وهو سبق أن ورطنا».

كنت أسمع هذا الكلام وأنا لا أجرؤ على دفعه، أو الرد عليه، وانفض اللقاء بعد يومين وعدت إلى الرياض، وعدت إلى الدراسة على الشيخ مع مجموعة من الشباب منهم خالد الشريمي. وفي أحد الأيام التقيت بأحمد الزامل فقال لي: جهيمان يقول لك:» لماذا لا زلتم تدرسون على ابن باز»؟ فسكتُّ ولعلَّ هذا الموقف مني، ومن مجموعة من الإخوان الذين التفوا حول الشيخ ابن باز كان في صالحنا لاحقاً، إذ لم نقتنع بفكرة المهدي، وما تبعها بعد ذلك من تبعات، كان منها حمل السلاح في الحرم، وإطلاق النار.

على الرغم من هذا الضغط، الذي مورس علي بسبب دراستي

على ابن باز، إلا أن علاقتي بالإخوان لم تنقطع، بل توطدت، ولم أورط نفسي في توزيع الرسائل التي صدرت بعد ذلك، وهي إحدى عشرة رسالة، المجموعة الأولى في أربع رسائل ، ثم سبع رسائل أخرى، ولم يعد جهيمان يطلبني إلى أن قال لي أحد الإخوان:» إنهم سيذهبون إلى المدينة، فهل ترغب بمصاحبتنا؟ هذه المرة لم أشعر أن هناك ترتيباً للقاء جهيمان، وفعلا سافرنا إلى المدينة وعند وصولنا إلى جبل طمية فضل أحد الإخوان أن نستريح في ظل الجبل قليلا، وفعلا نزلنا وأنزلنا ما نجلس عليه، وعملنا الشاي، وإذا بوانيت ياباني يقف عندنا، وإذا بأحمد المعلم ينزل منه، وكان مطلوباً، وكنت أظنه في الكويت.

وبعد السلام أخبرنا أنه وبعض الإخوان مقيمون خلف الجبل، وحينما صعدنا إلى مكانهم وجدنا جهيمان ومحمد عبد الله القحطاني، وسلمنا عليهم وشعرت وقتها أن جهيمان ليس كعادته معي من حيث الانبساط والمجاملة، وكنت أعلم السبب، وكانت طريقته في توجيه الكلام لي غير مباشرة، وهي الطريقة المتبعة لديه إذا أراد أن يبكت أفكاراً أو مواقف معينة، فإذا اعترضت قال : أنا لم أوجه الكلام لك. وهكذا يستفزك من غير أن تستطيع الرد، فأنت تعلم أنه يقصدك ومن يوجه له الكلام يعلم ذلك وبعض الحضور، وهذا المسلك هو الذي أبعد سليمان بن شتيوي عن الجماعة.

كانت الاجتماع مع جهيمان من أجل صياغة رسائله، التي سيطبعونها وكان المسؤول عن الصياغة كل من محمد عبد الله القحطاني، وأحمد حسن المعلم، وهذان الاثنان هما من كانا في الأغلب من يقوم بكتابة

رسائل جهيمان، فكلاهما شاعر وكلاهما متمكن من اللغة العربية، على العكس من جهيمان، الذي كان يينفر من تعلم النحو والصرف والإملاء مبكراً، بل كان ينقل هذا النبذ لمن حوله. وكثيراً ما قيل: «إن جهيمان من خريجي الجامعة الإسلامية، أو إنه من طلاب دار الحديث في المدينة المنورة، والحقيقة أن تحصيل جهيمان الدراسي لم يتجاوز الصف الرابع الابتدائي، وسبب دراسته لها هو أنه كان يطمح بترقية في مهنته كسواق وانيت في الحرس الوطني، هذه هي الحقيقة وما عدا ذلك فتخرصات، وجميع من استند إلى ذلك يقول كيف يمكن لشخص لم يتجاوز تعليمه السنة الرابعة الإبتدائي ويكتب هذه الرسائل؟!

الحقيقة أن جهيمان كان يملي هذه الرسائل ، ولم يكن حتى يدونها كمسودات، فقد كان نفوراً من الكتابة لرداءة خطه. وكما قلت: كان يمليها كأفكار، ومن ثم يقوم بصياغتها أحمد المعلم أو محمد عبد الله القحطاني، وقد ساعدت جهيمان ذاكرة حديدية، تسعفه في استحضار إحالاته ونقولاته حينما يحتاج ذلك.

الأحلام المبشرة بالمهدي

في عام 1399هـ1979 كثر الحديث عن تواتر الرؤى، وأن البشرية تعيش لحظاتها الأخيرة قبل القيامة . هذه القناعة كانت حاضرة بشكل ملفت. قبل هذا التاريخ بمدة، كانت مجالس الجماعة قبل الاعتقال الأول يتخللها أسئلة عن آخر الزمان، وعن تأويل الرؤيا التي يراها البعض، وبما أن الجماعة كانت على يقين أننا في آخر الزمان، فقد كانت تصعد

خطابها نحو سيناريو مفترض، وهو أن آخر الزمان موعد ظهور المهدي، ومن علامات خروجه تواتر الرؤيا حوله. وشكلت هذه القضية هوساً لنا جمعياً بين أفراد الجماعة.

يجب هنا أن نسلط الضوء على فكرة العلامات، أو الفتن وأشراط الساعة عند جهيمان، يقول جهيمان في مستهل رسالته «الفتن وأخبار المهدي والدجال ونزول عيسى عليه السلام وأشراط الساعة»، وعنوان الرساله هو الترتيب أوالسيناريو المفترض للأحداث، التي ستقع، والذي سيفصّله جهيمان، وهو ترتيب مهم، كما سيتضح لنا بعد ذلك. يقول جهيمان: «... بذلت وسعي في جمع أحاديث مما صح من أحاديث الفتن وأشراط الساعة، لعظم الحاجة إليها اليوم، وقمت بترتيبها حسب أزمنة وأمكنة وقوعها، مع الحرص على التوفيق بين النصوص، والجمع بينها وإخراجها في صورة متكاملة لتتم بذلك الفائدة...»(6) ثم يقول جهيمان معللاً سبب جمعه: ... وقد سبق إلى الجمع والتأليف في هذا الموضوع ... كثير من أهل العلم، ولكنني لاحظت فيما كتبوا أمرين هامين:

الأمر الأول: عدم الاقتصار على الصحيح من ذلك، بل جمعوا بين الصحيح والضعيف ومعلوم أن ديننا لابد أن يصح ثبوته لنعتقده ونعمل به.

الأمر الثاني: عدم التوفيق والربط بين دلالتها وتطبيقها على الواقع الذي وردت فيه.

لذلك يجد القارئ في تلك الكتب شيئاً من التعارض، بل في بعض المواضع لايكاد أن يفقه ما دلت عليه – معِ أنهم يعذرون في عدم معرفة ذلك لأنهم لم يروا ما رأينا[7].

كنت وقتها معهم جسداً، دون قناعة فكرية بما أصبح يتردد، وازداد الأمر سوءاً بالنسبة إلي حينما طرحتْ مسألة المهدي المنتظر وتحديده بمحمد بن عبد الله القحطاني، وما يتردد من حث الجماعة بعضهم بعضاً على تملك السلاح وحيازته، لأمر افترضوا حتمية وقوعه لا محالة، وامتزج القدري بالمسلكي حتى صعب التفريق بينهما عندهم. وهكذا سارت المجموعة نحو الكارثة. كانت أجواء الجماعة في تلك الفترة ملبدة بأفكار الخلاص والمهدي والمنامات والرؤى.

«المهدي» محمد بن عبدالله

التقيت بمحمد بن عبد الله القحطاني، في تلك الفترة، وسألته هل أنت مقتنع فعلا أنك المهدي المنتظر؟ فقال لي: «أنا لم أكن مقتنعاً أولاً بما كان يقوله الإخوان من أنني المهدي المنتظر، وبعد مدة اعتزلتهم ثم استخرت الله، أكثر من مرة، حول ذلك، وانشرح صدري لذلك في ليلة» فقلت له: من أول من أشار إلى أنك المهدي؟! فقال لي: «هذه الفكرة كانت

---

(6) رسالة الفتن وأخبار المهدي والدجال ونزول عيسى عليه السلام وأشراط الساعه. جهيمان ضمن مجموعة السبع رسائل ص 3.

(7) المصدر السابق ص 3.

موجودة عند بعض الإخوان في مسجد الرويل[8].

قبل أن ننضم للإخوان، وكانوا يرددونها أحيانا، وكنت أبتسم في داخلي منها، وأعتبرها مزحة، حتى تواترت الرؤى فأخذتها على محمل الجد» وكما ترى يبدو أن مسألة المهدي عندهم بدأت مزحاً، وانتهت إلى جد جر إلى كارثة.

في هذه المرحلة بحثت عن مصدر للرزق، فعملت في محل لبيع الأواني المنزلية، وبدأت علاقتي بالإخوان تخبو أو تبرد، ولم أعد أهتم باجتماعاتهم أو أخبارهم، وحافظت على علاقتي بدروس الشيخ عبد العزيز بن باز، وعلاقتي بخالد الشريمي. وفي أحد الأيام بعد موسم الحج التقيت بناصر الدخيل في المسجد الجامع، وأخبرني عن عزم الإخوان دخول الحرم في الأول من محرم 1400 هـ 20 نوفمبر 1979 وأنهم سيبايعون المهدي المنتظر محمد بن عبد الله القحطاني بين الركن والمقام. وسألني: «هل ستدخل معهم»؟ فأخبرته بأنني غير مقتنع بقصة المهدي المنتظر. فقال لي: «إن الإخوان جميعهم قد حجوا هذا العام، ورابطوا في مكة في انتظار هذا الحدث» وافترقنا.

كنت أعلم أن هناك مجموعة من الإخوان غير مقتنعين بقصة المهدي، ودخول الحرم بالسلاح، مثل شيخي علي المزروعي، وحامد

---

(8) يقع المسجد في حي الخزان في الرياض.

الأحمدي، وفيصل محمد فيصل، وعبد الله الحربي، وقد وقع لكل من فيصل وعبد الله الحربي قصتان مثيرتان للدهشة والأسى.أما فيصل فقد سمعت منه مباشرة -بعد سجني عقب الاحتلال واجتماعي به في الزنازين- كيف دخل الحرم مع الداخلين، وهو الذي لم يقتنع بقصة المهدي ولا بحمل السلاح.

يقول فيصل:» كنت قادما من المدينة، ومررت بمزرعة علي الحضيني لنتزود بالماء وراحت العائلة، والتقيت بعلي، وبعد السلام جلسنا نشرب القهوة، فأخبرته بموقفي من المهدي وحمل السلاح في الحرم، ثم دخل إلى بيته وعاد بعد برهة ثم قال لي: هل تريد أن تلتقي بجهيمان؟ فوافقت، وفعلا خرج علينا جهيمان بعد برهة، وبعد السلام جلسنا نشرب الشاي. ثم قال لي جهيمان: أنت يا فيصل رجل الكل يقدرك ويسمع منك، وما كان لك أن تتخلف عن الإخوان. فقلت له: أنت تعلم يا جهيمان أنني سبق أن قلت لك إن الله لم يشرح صدري لهذه القضية، وأن فيها مخالفات شرعية كثيرة، والصورة عندي ملتبسة لم أستطع أن أميز فيها بين الحق والباطل». فقال له جهيمان وهو يضرب على صدره: «تعال وعلي»[9]. وهكذا ذهبت بعائلتي إلى نجران، وعدت ودخلت الحرم وبايعت محمد عبد الله القحطاني. لم أطلق النار إلا في الأيام الأولى، ثم لما فقدنا محمد عبد الله نزلت إلى جهيمان في الخلوات وهو محاصر وكلمته جهيمان عن فقدان المهدي، وجاءنا خبر من بعض الإخوان أن محمد عبد الله قد قتل.

وأضاف فيصل:» غضب جهيمان وقال: إن محمد عبد الله لا

يمكن أن يكون قد قتل، لأنه المهدي المنتظر، والصحيح أنه حصر في مكان ما من الحرم».

نهاية الأحلام

لقد كان هناك مجموعة من الإخوان رفضت فكرة قتل المهدي المنتظر محمد عبد الله القحطاني، أو موته حتى بعد فشل حادثة الحرم، والتعرف على جثته من قبل أخويه سعيد وسعد وابن أخته، وقد كان بعضهم يقسم أنه لم يمت، مثل عبد الرحمن حموده وهو فلسطيني ويوسف أكبر، واتهم الإخوان الذين شهدوا قتل محمد عبد الله بعدم اليقين بمهدية محمد عبد الله، وأنهم يسعون إلى الإرجاف بين صفوف الإخوان، وهكذا لم يجرؤ أحد أثناء الحصار على تكرار الحديث عن قتل المهدي، أو أسره.

وسألت فيصل عما كان يعمله في القبو، فقال لي: «كنت معتزلاً في زاوية من الخلوة مع الجرحى والمصابين، والغريب أن الإشاعات والرؤى كانت تتواتر بيننا بشكل غريب، مثل خبر الخسف في الجيش القادم من تبوك، التي سألتك عنها».

كان فيصل قد سألني أول دخولي إلى الزنزانة معه عن صحة خبر الخسوف بالجيش القادم من تبوك؛ فأخبرته أنه لا صحة لذلك، وأن

---

(9) أي تعال معي ودع الأمر لي، أنا أحتمل تبعاته عنك.

أي شيء من الأحداث المرتبطة بخروج المهدي المنتظر لم يقع منها شيء، فاستغرب ذلك وقال:» كان هناك في الخلوات كل يوم رؤيا أو خبر، حتى إن جهيمان هو الذي بث خبر الخسف بالجيش، وقال إن أحد الإخوان سمعه من راديو القوّات المحاصرة لهم في موقعه المتقدم للحراسة«.

أما عبد الله الحربي فحكايته أعجب من حكاية فيصل، فقد كان عبد الله معتزلاً الإخوان لعدم قناعته هو الآخر بمهدوية محمد عبد الله، وحمل السلاح في الحرم، فاعتزل الإخوان قبل دخولهم الحرم بشهور، ولما وقع اقتحام الحرم أخذت عبد الله الحمية، وقرر أن يقوم بحركة لتخفيف الحصار على الإخوان، من خلال القيام بعملية لاقتحام الحرم النبوي مشابهة لعملية اقتحام الحرم المكي، فذهب إلى ساجر بحثا عن أعوان بين قبيلة جهيمان، واصطدم بنقطة تفتيش، وطلبوا منه التوقف فعصى الأوامر والإنذارات المتكررة وهرب منهم، وحاول مقاومتهم بإطلاق النار عليهم من سلاح بحوزته، وبعد إنذاره المتكرر تبادلت معه قوّات الأمن إطلاق النار، فوقع قتيلا. وقد أخبرني بقصته أحمد العسكري، وهو يمني من الإخوان يعمل في الزراعة في ساجر، ولم يدخل الحرم، وكان معه في هذه الواقعة، وكان يحثه على الاستسلام إلا أنه رفض ذلك.

احتلال الحرم

قبل الخوض في كيفية دخولهم إلى الحرم، يجب أن أشير إلى أن مجمل ما سأرويه هنا أحكيه عن فيصل محمد فيصل، وبعض من سجنت معهم ممن شارك في احتلال الحرم.

علمت بنية الجماعة في دخول الحرم والاعتصام به في شهر محرم من السنة والقرن الهجري الجديد مصادفة، إذ التقيت بناصر محمد في الرياض، بعد خروجي من المسجد الجامع في العقد الثاني من شهر ذي الحجة-أوائل نوفمبر 1979، وبعد السلام سألني: هل ستذهب إلى مكة ومبايعة المهدي؟ فأخبرته بعدم قناعتي بمهدوية محمد عبد الله القحطاني. فأخبرني أن الإخوان قد تواصوا في ما بينهم على التجمع في مكة، ودخول الحرم فجر صباح الأول من شهر محرم 1400 هجرية، وسيبايعون المهدي بين الركن والمقام.

بعد ذلك وقع الحادث في التاريخ المذكور، وحدث لغط حماسي بين المجموعة التي تقاعست عن دخول الحرم، بسبب عدم قناعتها في قضية المهدي المنتظر، وكانت الصحف هي المتوافرة لدي كمورد وحيد لحادثة الحرم. وطالت أيام المقاومة، من داخل الحرم، وخشيت أن أتصل بأحد من الإخوان فيلقى القبض عليَّ، وبقيت على هذه الحالة حتى إلقاء القبض عليَّ في 15 محرم 1400 هـ. وبعد التحقيق معي وأخذ إفادتي نقلت إلى سجن بني حديثا على طريق مكة- المدينة.

هناك وضعوني في غرفة، وكان معي فيها فيصل محمد فيصل اليامي، وقد فوجئت بوجوده لمعرفتي المسبقة بموقفه من تحديد المهدي بمحمد عبد الله القحطاني، يقول:» ذهبت بأهلي إلى نجران، وعدت إلى مكة، وكان الإخوان على قدم وساق في التحضير لدخول الحرم، فجهزوا وانيتين (سيارتين خاصتين بنقل الماء)، وقد وقع الاختيار على سيارات

نقل الماء، لأن هناك في بدروم الحرم بئراً يشرب منها بعض أهل مكة، فمن المعتاد أن تقف هناك سيارة أو سيارتان، تنتظر دورها في تعبئة خزانها. المهم أن الإخوان ملأوا إحدى السيارتين بتمر والأخرى بالسلاح والذخيرة، كما أنهم ملأوا خزانات الوقود الرئيسية والاحتياطية في الوانيتين تحسباً لكل طارئ، علماً أن بعض الإخوان من أهل مكة قد أدخلوا بعض قطع السلاح الخفيفة، وخبأوها في أكثر من خلوة من خلوات الحرم الموجودة في البدروم، قبل موعد الاقتحام بأيام.

اقتضت الخطة بأن يدخل السلاح بثلاث طرائق، يتسلسل استعماله زمنيا، هكذا تدخل المجموعة الأولى وهي بسلاحها الفردي، الذي تحمله معها من خارج الحرم، أو الحاصلة على بعضه من داخل الحرم والمخبأ في الخلوات، ومهمتها تأمين الساعة الأولى، ويدخل الوانيت في الساعة نفسها، ثم تدخل الجنائز الوهمية محمولة على أعناق الإخوان، وكان أكثرها جنائز نساء، والسبب أن جنائز النساء مقببة فلا تصف ما تحتها، كما أنها تحمل أكثر، وأدخلت الجنائز الحرم قبل التكبيرة الأولى لصلاة الفجر، ووضعت في مكان قصي عن الحرم بعد التكبيرة الأولى، وتم الأمر هكذا، قام بالتكبيرة الأولى، وكان الإخوان قد وزعوا عناصرهم على جميع أبواب الحرم، فكان عند كل باب عنصر أو عنصران.

أخبرني أسامة عواد ابراهيم القوصي، وهو مصري كان في السنة النهائية في كلية طب القاهرة، وقد قدم مساعدة طبية للإخوان داخل الحرم، وهو ممن دخل الحرم وبايع المهدي، بأن الإخوان بدأوا في إغلاق أبواب الحرم بمجرد أن بدأ الإمام بقراءته. قال القوصي: «كنا نسمع

إغلاق أبواب الحرم ونحن خلف الإمام نصلي».

وهنا يخبرني أحدهم: أنهم سمعوا إطلاق رصاصة، واتضح في ما بعد أن مطلقها أحد الإخوان بسبب مشادة بينه وبين أحد حراس الأبواب غير المسلحين وقتها، وأن هذه الرصاصة قد ارتدت على مطلقها فقتلته. تناقل الإخوان من الجماعة هذه القصة، لأن هذا الرجل سمي أول شهيد في حادثة الحرم، كما أنه والد زوجة محمد بن عبد الله القحطاني «المهدي المنتظر»، ووالد زوجة سعيد أخي المهدي، ولا أذكر اسمه إلا أنه من عسير.

يخبرني أحد الإخوان: أنهم سمعوا أصوات تكبير من بعض الإخوان المتحمسين، أثناء الصلاة، ولا أدري هل هذا التكبير إشارة لأمر متفق عليه بينهم، أم أنه جاء عفوياً. وبعد أن سلم الإمام، وقام ليصلي صلاة الميت، بادر مجموعة من الإخوان إلى الميكرفون وسيطروا على الوضع، وسط هتافات التكبير والحمد. حاول الشيخ محمد السبيل إمام الحرم صبيحتها ، أن يعظهم فلم يسمعوا له بل اقتيد هو وبضعة عساكر إلى إدارة الحرم، حيث تحفظوا عليهم في إحدى الغرف. ثم قاموا بتوزيع دفعة من السلاح، ثم بدأ فيصل اليامي خطبته المكتوبة، والتي سرد بها أهدافهم من اقتحام الحرم، ومبرراتهم حول ذلك. كما هو مثبت في نصها الذي أوردناه في الملحق.

كان جهيمان يقاطع الخطبة، ويعطي توجيهاته لأتباعه وتوزيعهم على مواقع معينة داخل الحرم، أو يعلق على موقف معين، وبعد ذلك وزع

السلاح والذخيرة على الموجودين في صحن الحرم، ووقف محمد بن عبد الله القحطاني «المهدي المنتظر» بين الركن والمقام، كما ورد في نص حديث الرسول، فبايعه أولا جهيمان، ثم بايعه باقي الإخوان الموجودين حوله، ثم قام نور الدين بن بديع الدين بن إحسان الله شاه الراشدي بترجمة الخطبة للأوردو لمجموعة من الباكستانيين. قال لي أحد من شهد هذا الموقف:» إن نور الدين كان يخطب في الباكستانيين مشهراً مسدساً يلوح به في الهواء.

تمت البيعة للمجموعة الموجودة في صحن الحرم، ثم قيل لمحمد عبد الله القحطاني (المهدي): أن هناك بعض الإخوان لم يبايعوا بسبب أنهم متمركزون في مواقع دفاعية، وليس من المصلحة أن يتركوا مواقعهم، فقرر محمد عبد الله المرور عليهم في مواقعهم، وأخذ البيعة منهم، وكان بعضهم في المنارات، وبعضهم في المسعى، وبعضهم فوق سطح الحرم، وعند المداخل، وفعلا تم ذلك، ومر محمد عبد الله عليهم، وأخذ البيعة منهم، وحثهم على الصبر في القتال.

حصل في هذا الوقت قنص من المنائر على القوات الموجودة في الخارج، فردت عليهم القوات، واستعر الرمي والقنص، وحاولت مركبة مدرعة الدخول من المسعى من جهة المروة، ففجروها بعبوات مولوتوف مكونة من زمزميات فخارية، كانت تستعمل في السقاية، وبنزين وفتيلة من القماش. كل هذه المواد كانت متوفرة وقتها في الحرم، فالزمزميات الفخَّارية كانت هي الأداة المنتشرة والمستعملة في سقاية الناس ماء زمزم، والبنزين كان موجوداً في خزانات الصهريجين الذين استعملا في إدخال التمر والسلاح، أما القماش فمتوفر بكثرة.

أقيمت متاريس مكونة من السجاد المطوي في المسعى، وفي بعض الأماكن، وأُمنت بعض الخلوات بالماء والتمر والذخيرة لتكون مكان إمداد وملجأ، ومكان راحة.وفي هذه الفترة، وأعني الثلاثة الأيام الأولى، كان محمد عبد الله (المهدي) يمر خلالها على المرابطين في مواقع الدفاع، ثم انقطعت أخباره عنهم. وذكر أحدهم لجهيمان أن محمد عبد الله قد أصيب في المسعى، وذكر له آخر أنه قتل في المسعى، فغضب جهيمان وقال لهم: «إن المهدي لا يمكن أن يقتل قبل أن يحقق رسالته، التي من أجلها اختير كمهدي، هو لم يقتل وانما حُصر. وشاع بين الإخوان أن المهدي قد حصر في مكان ما من الحرم».

يقول فيصل محمد فيصل: بعد نهاية اليوم الثالث، لم يشاهد أحد محمد عبد الله (المهدي المنتظر)، وتضاربت المعلومات حول قتله أوإصابته أوحصره من قبل القوات السعودية، ومنع جهيمان أي حديث عن قتل المهدي، وتجادل معي في ذلك –والكلام لفيصل محمد فيصل–، لأنني طلبت منه التسليم وعدم إطلاق النار بسبب أن المهدي مجهول المصير، وأننا في الحرم، ولا يجوز رفع السلاح فيه، فما بالك بإطلاق النار؟ فغضب مني وقال لي: «إن هذا الكلام يبث روح الهزيمة بين الإخوان، والمهدي لم يقتل، ولن يقتل حتى تتحقق باقي العلامات المنصوص عليها، ونحن الآن ننتظر العلامة الثانية، وهي الخسف بالجيش القادم من تبوك، لكي يقاتلنا، والمهدي حصر في مكان ما من الحرم وسنفك حصاره».

أضاف لي فيصل: وعندها رميت سلاحي، وأويت لإحدى الخلوات

منتظراً الخسف بالجيش القادم من تبوك. وبعد حديثي مع جهيمان بعد ذلك بيومين، أتانا جهيمان وأخبرنا أن الرؤيا قد تواترت بأن الجيش القادم من تبوك قد خسف به، وبعد ذلك بيومين أتانا أحد الإخوان وهو مستبشر وقال:» إن فلان من الإخوان، وهو من أهل الصدق والورع وكان مرابطاً في الخطوط الأمامية، سمع في الليلة الماضية الراديو الموجود عند العسكر، وكان صوته واضحاً، أن الجيش القادم من تبوك لمحاربة الإخوان المعتصمين بالحرم قد زلزلت الأرض من تحته وخسف به، وأن خسائرهم كبيرة فكبر بعض الإخوان».

وكان السبب في تطرقنا لهذا الموضوع، أنا وفيصل، أنه سألني حالما رآني معه في الزنزانة عن صحة خبر الخسف بالجيش القادم من تبوك، فنفيت ذلك وأخبرته عن استقرار الأوضاع وأن الجياة عادت إلى طبيعتها في مكة نفسها، وذلك بعد شهر محرم الحرام. ومما فهمته من مجموعة منهم أنهم كانوا يسمعون يوميا بأحلام أو بأخبار كانت تروج بينهم وعليهم، كلها تعزز قضية المهدي أو الخسف بالجيش، أو تحث على الصبر والثبات.

أظن أن المجموعة أصيبت بحالة من الهوس الجمعي، أو كانت تحت تأثيره، خصوصاً وأنهم في الأسبوع الثاني من الحصار لاذوا بخلوات الحرم، وكان جهيمان يخرج بمجموعات من أعوانه فيطلقون النار عند أبواب القبو. كما انحسر القتال من المنارات والسطح إلى الدور الثاني، ثم انحسر إلى الدور الأول، وأخيراً إلى البدروم، ومن مجمل البدروم إلى أجزاء متفرقة من غرف البدروم، وفي اليوم الأخير حصروا ، وفتح عليهم فتحات

من السقف ورموا بالقنابل المسيلة للدموع، وفي جميع مراحل المواجهات كانت مكبرات الصوت تناشدهم أن يستسلموا وأن يلقوا السلاح.


قضايا
الإسلاميين في الخليج
التنوير - الديمقراطية - الإعلام
المسبار


صدر عن
مركز المسبار
مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre


INSIDE THE KINGDOM
روبرت ليسي
المملكة
من الداخل
تاريخ السعودية الحديث
المسبار


رماح الصحائف
السلفيّة الألبانيّة وخصومها
المسبار


حلم الخلافة
حزب التحرير
والتمرّد على الدولة
المسبار


رائحة البارود
مراجعات
الجماعة الإسلامية في مصر
المسبار


الإسلام الحضاري
(النموذج الماليزي)
المسبار


شيعة العراق
المرجعيّة والأحزاب
المسبار

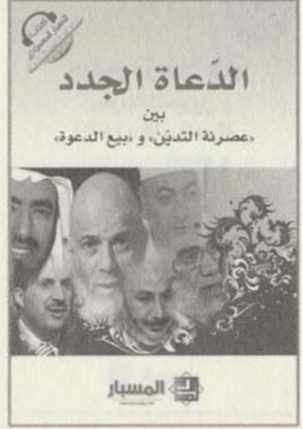

السنّة في لبنان
رهانات السّياسة والطائفيّة
المسبار

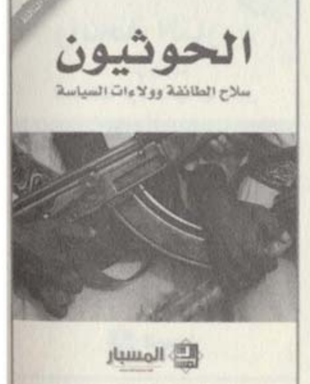

إسلام بلا دماء
تيّار اللاعنف الإسلامي
المسبار


الحركة الإسلاميّة
في كردستان
المسبار


الشعائر الدمويّة
جبهة الإنقاذ الجزائريّة
من التأسيس إلى النكبة
الجزائر
العاصمة
الجزائـــــر
المسبار


الصفويّة
التاريخ والصراع والرواسب
المسبار


الدّعاة الجدد
بين
«عصرنة التديّن» و «بيع الدعوة»
المسبار


الحوثيون
سلاح الطائفة وولاءات السياسة
المسبار


السلفيّة الجهاديّة
دار الإسلام ودار الكفر
المسبار


الإسلام الأوروبي
صراع الهويّة والاندماج
المسبار


الطائفيّة
صحوة الفتنة النائمة
المسبار


صناعة المفتي
التعليم الديني
المسبار


حراسة الإيمان
المؤسسات الدينية
المسبار


الإخوان المسلمون
والسلفيون في الخليج
المسبار


عودة العثمانيين
الإسلامية التركية
المسبار

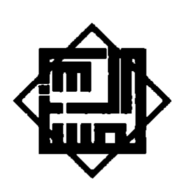

الإخوان المسلمون
في
سوريا
ممانعة الطائفة
وعنف الحركة
المسبار


من قبضة بن علي
إلى ثورة الياسمين
الإسلام السياسي في تونس
المسبار


قصة وفكر المحتلين
للمسجد الحرام
أحمد عدنان - ناصر الحزيمي
منصور النقيدان
المسبار


رشيد الخيّون
100 عام من
الإسلام
السياسي
بـ العراق
1 الشيعة
المسبار


رشيد الخيّون
100 عام من
الإسلام
السياسي
بـ العراق
2 السنّة
المسبار



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

www.almesbar.net

المراسلات البريدية:

ص.ب. 333577

دبي، الإمارات العربية المتحدة

للاشتراك:

هاتف: 77 151 36 4 971+

فاكس: 78 151 36 4 971+

info@almesbar.net

الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج

أراد مركز المسبار لهذا الكتاب أن يرسم جزءاً من الخارطة الإسلامية في الخليج العربي، متناولاً التيارات الإسلامية السائدة فيه، فغطت الدراسات تجربة هذه التيارات، بحيث بدا التنوع والاختلاف وتعددت الملاحظات حتى في إطار التنظيم الواحد، فتجربة الإخوان في السعودية تختلف عن تجربتهم في الإمارات التي تغاير تجربتهم في الكويت والبحرين وتختلف كذلك عن قطر. لذلك احتاجت كل تجربة من هذه التجارب إلى دراسة مختصة، يتجلى ذلك بيّناً في مضامين هذا الكتاب الذي حاز نصيب الأسد في دراساته، تياران كبيران فاعلان، وهما الإخوان المسلمون، والسلفيون.


ISBN 978-9948-443-44-5





info@almesbar.net